مجلة مجمع اللغة السريانية

المجلد الاول

١٩٧٥

الفـهـرس

الكاتب	المقالة	الصفحة
بولس بهنام	الفيزياء والكيمياء فى المؤلفات السريانية	5
يوسف حبي	قواعد اللغة السريانية عبر العصور	47
كوركيس عواد	المطران أدي شير وبقايا مكتبة سعرد	79
زكا عيواص	قصة أهل الكهف فى المصادر السريانية	103
اندراوس صنا	اكتشاف الأبجدية	127
فيصل دبدوب	ماسوية الماردیني	171
بطرس حداد	رحلة الأب فنشنسو إلى العراق	179
اندريه دي هاله	نهضة سريانية لدى المسيحيين العراقيين	205

الفيزياء والكيمياء في المؤلفات السريانية

بقلم المثلث الرحمة المطران مار
غريغوريوس بولس بهنام

تمهيـــــد :

بدأت دراسة العلوم الطبيعية في المدارس السريانية منذ القرن الرابع بنطاق محدود وذلك بحسب الحاجة اليها ، واخذت بالتوسع رويدا رويدا كواسطة لا كغاية وظهرت بوادرها في منتصف هذا القرن في بعض شذرات شعرية وردت في قصائد الملفان العالمي مار افـرام السرياني ، ولم نحـز كتبا او مقالات تدرس العلم الطبيعي دراسة علمية صحيحة حتى ظهـور الطبيب الالمعي سرجيس الراسعيني حيث ترجمت العلوم اليونانية او معظمها الى السريانية ، وشرع العلماء السريان ينسجون على منوالها شرحا وتعليقا تارة ، وتأليفا وتصنيفا طورا ، ولسرجيس بحوث طبيعية نفيسة رغمـا عن اشتغاله بالطب والفلسفة وغيرهما ، فيكون هذا العالم اذن اول كاتب سرياني عني بالعلم الطبيعي بعد تضلعه منه في المدرسة الاسكندرية بوجه خاص .

وفي القرن السادس نفسه سطع نجم مدرسة دير قنسرين واخذت على عاتقها تدريس الفلسفة اليونانية وعلومها فضلا عن السريانية وآدابهـا . وامتازت بالعلوم الفلسفية والفلكية واللغوية ، ونبغ في مطلع القرن السابع استاذ قنسرين العبقرى العلامة ساويرا سابوخت وهو اكبـر العلمـاء السريان في العلوم الفلكية والطبيعية[1] . وعلى يديه نبغ تلميذه الذائع

---

(١) اللؤلؤ المنثور ، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٥ .

الصيت العلامة يعقوب الرهاوى (٧٠٨+) مغترفا من بحر مدرسة قنسرين ما لذّ وطاب لنفسه الكبيرة من المعارف والعلوم ، وامتاز بالعلم الطبيعي كما امتاز بغيره ، فألف كتابه النفيس «الايام الستة» وفيه من البحوث الطبيعية ما استوفى الشروط العلمية كاملة • فبحث في المقالة الثانية منه المادة وخواصها والعناصر الاربعة ، وتناول المعادن والنترات والاملاح بدراسة مستفيضة موفقة • ودرس في المقالة الثالثة النبات واعقبه فى المقالة السادسة ببحث الحيوان ثم الانسان ، ودراساته هذه مشبعة كاملة استند فيها على مصادر غزيرة يونانية وسريانية قديمة ، الامر الذي منح بحوثه صبغة خاصة قلما توفق فيها غيره من الباحثين فى هذه المواضيع •

وفي غضون القرن العاشر ظهر الاسقف الرهاوي المجهول صاحب كتاب « علة كل العلل » الذي تطرق فيه الى بعض النواحي العلمية الطبيعية بطريقة تختلف عن طريقة صاحب « الايام الستة » فبحث المادة وخواصها ، والعناصر الاربعة التى قال بها علماء الطبيعة الاقدمون من اليونان •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا تركنا جميع المؤلفين السريان ، وذهبنا صعدا الى القرن الثالث عشر نجد فيه صنواً للرهاوي الكبير في جميع البحوث الفلسفية والعلمية وعلى الاخص العلوم الطبيعية على اختلاف انواعها ، مبثوثة في مؤلفاته الجليلة « زبدة الحكم » و « منارة الاقداس » و « الاشعة » فاشبع هذه المواضيع درساً وتحقيقاً •

درس في مؤلفه الاول «زبدة الحكم» العلوم الطبيعية دراسة عالية دقيقة • فاطلعنا على كيفية دراسة هذه العلوم • وبحث القوة والطبيعة ، ومواضيع العلم الطبيعي ومبادئه ، الاجسام ، والذرة وتجزئتها أو (تحطيمها بحسب التعبير الحديث) وقوتها ، والحركة الطبيعية والجاذبية والانجذاب،

والعناصر والغازات والتركيب والتحليل الماديين • وعمل الحرارة والبرودة وبقية مواضيع الكيمياء العلمية ، وسفه الكيمياء الكاذبة التى ادعاها بعض متأخري العصور الوسطى • والمعادن واصنافها والنبات والحيوان • وقد درس كثيراً من هذه المواضيع في كتاب « الاشعـة » و « منارة الاقداس » ولكن بطريقة اخرى • ومجمل ما نستطيع قوله في هذا العالم العبقري انه لم يترك مزيداً لمستزيد في المواضيع الطبيعية المعروفة الى عصره • وسنجد كل ذلك فى الصفحات القادمة •

وهناك مجموعات مفضلة في العلم الطبيعي تركتها الاقلام السريانية في العصور الماضية منها ستون في علم الحيوان ، اثنين وثلاثين فصلا تعرف بعلم « الطبيعيات » (فيزيولوجيا) نشرها تيشين في روستوك سنة ١٧٩٥ • وكتاب يشمل واحد وتسعين فصلاً نشره لاند فى الجزء الرابع من التحف السريانية ص١–٩٩ • وهناك مجموعة هامة تبحث في الحيوانات والاشجار والحجارة لمؤلف نسطوري ، ولابن الصليبي مقالة فى بنية الجسم الانساني فضل منها نبذتان[٢] وغير ذلك ولكن بأهمية محدودة •

هذا اهم ما نجده فى المكتبة السريانية العامة عن مادة العلوم الطبيعية وهو كافٍ كمؤونه للبحث في مضمار عملنا هذا ليظهر الفكرة الطبيعيـة التى انتجتها قرائح كتابنا السريان الاقدمين ، وسنضع امام قارئنا العزيز اهم المواضيع العلمية ليطلع على الجهد العلمي الذي بذله اولئك العلماء رغما عن انشاق التى قاسوها في العمل والجهاد الموفقين •

---

(٢) اللؤلؤ المنثور ص ١٦٤ •

(١)

تحديد العلم الطبيعي أو الفيزيولوجيا

يحدد العالم السرياني «العلم الطبيعي» بكونه العلم الذى اتحدت فيه الاعمال بالمادة ولا ينفصلان ، وموضوعه العالم المادي عامة ، باعتباره يتحرك ويسكن ويتغير »[٣] .

(٢)

الطريق المؤدية الى العلم الطبيعي

قبل ان يدخل بحثه الطبيعى يضع امام المتعلم طريقا خاصاً بدراسته ، وهـذا الطريق يتلخص في ابراز قواعد العلم ذاتـه ، وهي لديه ثلاث : المبادي ، والاسس ، والبحث ، ويعتبر هـذه القواعد الثلاث أجزاء أصيلة للعلم ، ويعتبر العلم ذاته شيئاً « كلياً » اما التقديم والتأخير بين القواعد والعلم ، فيكون بالنسبة الى الطبيعة والادراك ، فبالنسبة الى الطبيعـة تتقدم القواعد على العلم باعتبارها أجزاءه الاصيلة التي يتركب منها ، وبالنسبة الى الادراك فيتقدم العلم باعتباره كُلاً ينظره العقل وحده كأنه لا يتجزأ[٤] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومعنى ذلك ارشاد الدارس الى القاء نظرة عامة الى هذا (الكل) ثم تجزئته بحسب اصوله وفروعه وتناول كل فرع من فروعـه على حدى ليسهل درسه ، واذا اقتضى الامر تجزء الجزء أيضا الى أجزائه الاخرى وبهذا يسير المتعلم سيراً وئيداً في طريق العلم حتى نهايته مارا على كل جزء مرور الفهم الكامل والدرس الدقيق .

واذا أردنا دراسة هذا العلم دراسة علمية صحيحة ينبغي لنا تقسيمه تقسيما منطقيا مضبوطا ليسهل علينا فهمه ، فبعد النظر الى (الكل) نظـرة

---

(٣) تجارة الفوائد القسم الثاني : المقدمة (ابن العبري) .
(٤) زبدة الحكم ج٢ ف١ نظرية ١ .

عامة ، نعود فنتناول الاجزاء بالنسبة الى القرب والسهولة ونأخذ الاقرب منها والاسهل الى الادراك ونطابقه على الاختبار والتجربة ثم نرتقي الى الاصعب فالاصعب من الحركات والمحركات ، وما يدور حولها من المفاهيم العلمية .(٥)

ونلحظ هنا ظاهرة علمية هامة ، وهي دراسة العلم نفسه ومطابقته على العمل ، الامر الذي يمكننا من السير تدريجيا الى قمة الفهم بطريقة علمية صحيحة ، وبما أن العلم الطبيعي يدور حول (المادة) ومن المادة يتركب (العالم المادي) الاكبر ، فيلقي العالم نظرة شاملة ليتفهم مباديء العالم عامة ، ومصدره ليعود بنا الى تجزئته جزءاً جزءاً ، فما هو هذا (العالم المادي الاكبر ؟ وما هو مصدره وهل هو شيء أزلي أم حادث ؟؟) كل ذلك سنراه في السطور التالية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣)

نظرة العلماء الاقدمين الى العالم المادي وفكرة العلماء السريان

(العالم المادي)

العالم المادي هو هذه المجموعة الكبرى من القوى الطبيعية المتحدة بنظام واحد دقيق ، والعاملة جنباً الى جنب كجسم واحد عظيم يتعلق كل عضو بعضو آخر . ويسير الجميع الى هدف مشترك واحد وضعه له الخالق الحكيم منذ الازل .

لا يهتم العلم اليوم بأصل « العالم المادي » ولا يهمه صدوره مهما كانت ينابيعه الاولى ، انما يتناول ما كان في متناول الحاسة البشرية بدراسة دقيقة توصل بها الى أعلى الذرى . واستنتج منها نتائج باهرة ، وسخر قوى

---

(٥) زبدة الحكم لابن العبري . الفصل السابق النظرية الرابعة .

الطبيعة لخدمته بشتى مناحي الصناعة والابتكار ، ولا ندري ماذا يخفي الغد من العجائب والغرائب ، سيتوصل اليها علماء الطبيعة في العصور القادمة ، أما العالم القديم فرغماً عن نشاطه ومثابرته على التفكير والعمل المضني ، فقد كان ديدنه التفكير بما وراء هذه المرئيات والمحسوسات ليجد لها أصلا ويندفع بكليته الفكرية ليصل الى الينبوع الاول الذي صدر عنه هذا الكون العجيب ، وللفلاسفة الطبيعيين الاقدمين فكر متضاربة في هذا المضمار لا يخلو بعضها من تفكير عميق واستنتاج رائع ، وقد أورد معظمها العلامة ابن العبري(٦) ، كأمثلة لما اعتقده فلاسفة الطبيعة في هذا الكون المادي • ثم يعود الى تشريحها واحداً بعد واحد ، وتفنيدها بصورة متتابعة ليحل محلها الفكرة الوحيدة التي يعتقدها صحيحية بالنسبة الى تفكيره العلمي •

ولما كان هذا الكون منذ القديم مثاراً لدهشة الانسان كان لابد للعلماء من التفكير به منذ شرع الانسان يفكر في ما حوله ، ومن هذا التفكير نشأت الآراء المتضاربة في أصل العالم وينبوعه ، وسبب هذا الاختلاف في الآراء هو كون العلماء القدماء ، كانوا يبنون نظرياتهم على الحدس والتخمين والترجيح والاستنتاج • وبطبيعة الحال ، كلما اختلفت المقدمات اختلفت معها النتائج ، وهكذا كان ، فقد نظر بعض العلماء الى الطبيعة المائية المنتشرة في الكون ، ولاحظ ان الماء والرطوبة عامل أساسي في تنمية الاجسام الحية ، سواءالنباتية أو الحيوانية ، ومن هنا جاءت مقدمات خاصة تفرض ان أساس الحياة هو الماء ، فذهب الباحثون الى الاستنتاج ان أصل هذا الكون هو (الماء)(٧) ونظر آخرون الى عمل الهواء في تكوين القوة الحية في الكائنات

---

(٦) منارة الاقداس لابن العبري • مقدمة المقالة الاولى •
(٧) طاليس الملطي وهوميروس الشاعر اليوناني •

فاستنتجوا ان أصل الكون هو (الهواء)[٨] ولاحظ غيرهم ان الحرارة عامل هام في تكوين الحياة فقرروا ان أصل العالم الكوني هذا (النار)[٩] هكذا اختلفت النتائج باختلاف المقدمات ، وهذا انما يدل على تفكير عميق .

ولم يقف علماء الطبيعة عند هذا الحد بل راحوا يقدمون النتائج الكثيرة في هذا المضمار . بعد التأمل في قوى الكون المختلفة . فقرر كثيرون منهم أن للكون مبادىء متعددة كتعدد القوى الكونية ، وأعلنوا أن باتحاد هذه القوى المتضاربة نال هذا الكون وجوده ، وسيبقى موجودا طالما هي متآلفة متحدة ، واذا ما اختلفت يوماً فحينئذ يكون فناؤه[١٠] .

واعتقد جميع هؤلاء العلماء ان المادة أزلية . ولم نر حاجة لسرد هذه الآراء لبعدها عن الروح العلمية التي نتوخاها في بحثنا هذا ، وقد أوردها علامتنا ابن العبري مقتضبة للسبب نفسه ثم فندها بطريقة منطقية رائعة وقرر تبعا للفلاسفة الاثبات ، والعلماء الثقات ان هذه المادة أوجدها الخالق الحكيم اداة لتكوين هذا العالم واستخدمها في جميع مرافقه ، ووضع في بعضها (بذرة) الحياة[١١] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موضوع العلم الطبيعي

علمنا سابقاً أن موضوع العلوم الطبيعية عامة « العالم المادي » باعتباره يتحرك ويسكن ويتغير[١٢] ، وفيه تبحث جميع المواضيع المادية الطبيعية

---

(٨) اناكسيميوس وديوجانيس .
(٩) ديونوفاسوس وهيرقليطس .
(١٠) انكساغوروس لونيفوس وديموقراطيس وابيقوروس، وابيقوروس وانباذ وقليس واريسطو والرواقيون ، وجميع هؤلاء العلماء من اليونان القدماء .
(١١) منارة الاقداس . المقالة الاولى . الباب الاول كله .
(١٢) منارة الاقداس : المقالة الاولى . الباب الاول كله .

لانها أعراضه الجوهرية التي تتصل به باعتباره متغيرا ، وجميعها مواضيع محسوسة وما ينتج منها كذلك محسوس ، كالتحركات والمؤثرات والعوامل التي تدفعها الى الحركة والعمل كالقوى الطبيعية في الكائنات الجامدة والحياة في الكائنات الحية والمواضيع التي تتعلق بها أو تصدر عنها ، كالامكنة ، والاشكال والجهات • وهذه المواضيع كلها تتناولها الحواس ، ويعيها الادراك(١٣) •

والطبيعة الكبرى هي مبدأ الحركة والسكون ، ولكن ليس ذلك في كل جسم مادي ، بل في الاجسام التي تتحرك أو تسكن جوهرنا ، ولا يقصد هنا الحركة المكانية وحسب ، بل الكيفية والكمية والموضوعية وغيرها(١٤) أيضاً •

ومعنى ذلك أن موضوع العلوم الطبيعية يتناول حركة المادة وسكونها ، ويشرح هل هذه الحركة طبيعية أم جوهرية أم خارجية طرأت عليها من مؤثر غريب عنها ، وبعد أن يعين العلم جوهرية الحركة أو السكون ، يدخل موضوعه الذي يتناول الكائنات التي تتحرك أو تسكن من ذاتها ، سواء كانت الحركة والسكون متأتيتين من القوة الكامنة في المادة كالجاذبية والانجذاب أو غيرها من المؤثرات الباطنية ، أم من قوة الحياة البادية فيها كالاجسام الحية النباتية والحيوانية •

وخلاصة القول أن العلم الطبيعي يتناول كل مادي في الوجود من المملكتين الكبراوين الجامدة والحية • ولابد لنا من القاء نظراتنا الى العلوم الطبيعية الاربعة : الكيمياء ، الفيزياء ، النبات الحيوان •

---

(١٣) تجارة الفوائد • المقدمة •

(١٤) منارة الاقداس : المقالة الاولى •

الكيمياء

اذا أردنا دراسة علم الكيمياء في المؤلفات السريانية لا يجب علينا أن نتوقع كتباً خاصة بهذا العلم الجليل ، لان الاقدمين لم يدرسوه دراسة منظمة كما درسوا غيره من العلوم وانما نستطيع ان نتصيد مواضيعه أو معظمها تصيدا فنراها منتشرة في مواضيع العلوم الطبيعية المختلفة ، واذا القينا نظرات فاحصة الى تلك المواضيع نجد المؤلف السرياني قد بذل جهدا عظيما في دراسة موضوعه بحسب ما سمحت له ظروفه ، وتوصلت اليه معرفته .

ذاعت في العصور الوسطى فكرة خائبة في الكيمياء الكاذبة ، ولم تجد اذنا صاغية عند العالم السرياني بل بالعكس نجده قد أهملها كل الاهمال ، ولا نستطيع وجود شيء منها في المؤلفات السريانية الكثيرة ، وفضلا عن ذلك نجد العلامة ابن العبري يتجرد لتكذيبها وتزييفها حاملا عليها حملة شعواء واليك كلامه في هذا الصدد :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ان الاجسام المعدنية تخضع للانفصال والاجتماع والانكسار والطرق ، وهي تؤثر في بعضها ، وتتأثر بعضها في بعض . واذا ذابت بعضها في بعض تمازج . واذا تنقت ، انفصلت وبطريقة صناعية يمكن أن يتلون بعضها بألوان البعض الآخر ، كالفضة التي اذا اذيبت في الكبريت تنال لون الذهب ، والنحاس اذا اذيب في الزئبق يبيض لونه ، واذا اذيب النحاس في فومفولوكوس Phompholocos أي (الطاطيا) أو التوتيا يصفر كلون الزعفران . واذا ذوب الزئبق في الكبريت يحمر ، الى ما هنالك من الامتزاجات العنصرية التي تسبب لها تغييرات كثيرة . »(١٥)

---

(١٥) ابن العبري ـ كتاب الكون الثالث من زبدة الحكم ـ الباب الرابع ـ الفصل الثالث النظرية الثالثة .

ان الفكرة العلمية الصحيحة التي يقدمها هذا العالم في نظريته هذه تنفي استحالة العنصر المعدني الى عنصر آخر جديد فلم نجد الا تغييرا باللون فقط الامر الذي لا يستطيع تغيير الجوهر الى جوهر جديد لذلك نسمعه يوجه كلامه الى أصحاب الكيمياء الكاذبة بقوله :

« من جراء هذه الظواهر (العرضية) ضل أصحاب صناعة الكيمياء (الكاذبة) وظنوا ان هذه التغييرات نزلت الى لباب هذه المواد ، وغيرت جواهرها تغييرا ، وذلك لانهم وجدوا ان العمل الصناعي هذا يشبه العمل الطبيعي ، ويمت اليه بكل الصلات ، ويصير مثله تماماً بتمام . غير ان العلم الصحيح يكذب زعمهم هذا ويخيب ظنهم ، لانه يميز بين التغيير الشكلي العرضي ، وبين العمل الطبيعي للطبيعة وحدها . وعليه اذا يستر بياض الفضة بصفرة الذهب ، فان جوهر الفضة يبقى محفوظا ، واذا رأيته بالعين أصفر ، فان البوتقة (الكور) كفيلة باظهار حقيقته . والنحاس الاحمر يستحيل الى لون الزعفران اذا مزج بالتوتيا ، وأما معدنه يبقى نحاسا ولا يتغير مطلقا ، ومتى حاول أن يجعل النحاس فضة ، يحاول أن يخلق عنصرا جديدا ، الامر الذي لا يمكن »[١٦] .

هذه نظرة العلماء السريان الى الكيمياء الكاذبة ، وعلينا الآن ايراد المواضيع الكيمياوية المنتشرة في مؤلفاتهم الطبيعية لنجد مدى جهودهم العلمية في هذا المضمار .

١ ـ المادة

اتبع السريان في موضوع المادة ، فكرة العناصر الاربعة فحددوها بقولهم : « ان المادة هي هذه العناصر الاربعة التي يتألف منها هذا الكون

---

(١٦) فيه ايضا : النظرية الرابعة .

الطبيعي ، ومنها يتكون العالم بما فيه »[١٧] . وذكر يعقوب الرهاوي – وهو أول عالم وصلتنا مؤلفاته الطبيعية كاملة – بأن هذه العناصر الاربعة خلقت ممتزجة كأنها كائن مادي واحد ففي هذا التراب الارضي كانت بقية العناصر كامنة . وكان هذا الكون كله كتلة واحدة كروية الشكل تمتزج فيه عناصره الاساسية الاربعة ، النار ، والهواء ، والماء ، والتراب ، ولم يكن بالامكان تمييز عنصر عن آخر ، كما كان مستحيلا أن يتغلغل بها شعاع من نور أو وميض من ضياء ، لانها كانت ممتزجة بالتراب والماء والهواء ، ولم يكن بالامكان تمييز عنصر عن آخر ، وكذلك كان التراب ممزوجا بالعناصر الثلاثة الباقية . ولم يكن بالامكان أن يلمس اذ لم يكن كيانه ترابيا نقيا ، وكذلك الماء كان متغلغلا في هذه العناصر الاخرى ، ومثله الهواء ، وخلاصة القول كان الكون كله خليطا من هذه العناصر المختلفة .

أما عملية انفصال هذه العناصر الاربعة ، فكانت عملية شاقة بالنسبة الى الطبيعة ، أما بالنسبة الى الخالق فكانت سهلة جدا .

وقد أورد هذا العالم مثلا لتنقية هذه العناصر عن بعضها البعض وشبهها بخليط من المعادن كأن يقصد بعض الغاشين أن يحتالوا بالناس فيمزجون مع الفضة أو الذهب مادة غريبة كالنحاس والزنك أو غيرها ، فيأخذ الصائغ هذا المزيج المغشوش ويصهره في بوتقة مضيفاً اليه قليلا من الرصاص ، وبعد أن تصل الحرارة الى درجة معلومة نجد المعادن تنفصل عن بعضها بعض . ويتماسك كل معدن بذراته الخاصة نقياً ، على هذه الصورة كانت عملية فصل العناصر الاربعة المتمازجة عن بعضها بعض . بكلمة واحدة من الخالق الحكيم .

---

(١٧) علة كل العلل : المقالة الرابعة – الفصل الخامس .

وقد أورد مثلا آخر لانفصال هذه العناصر عن بعضها البعض وقال « اذا أخذنا قنينة زجاجية كروية الشكل شفافة ، ووضعنا فيها بمقادير متساوية زئبقاً ويسميه hodrgoron ونظنه أساس كلمة hedrogen الهيدروجين ، وعسلا نقياً وماء وزيتاً فنجدها حالا تتصارع بقوة لتأخذ كل مادة مكانها المناسب بالنسبة الى نوعيته الطبيعية، فيستقر الزئبق في الطبقة السفلى، والعسل فوقه والماء فوق العسل والزيت فوق الجميع ، واذا شئنا قلب القنينة رأسا على عقب نجد عملية الصراع العنصري بين هذه المواد يبدأ من جديد ولا تهدأ ثورته حتى تأخذ كل مادة مكانها الطبيعي بحسب النوعية العنصرية .

واذا شئت جرب عملية اخرى ، خذ اناء زجاجيا فارغا . واسكب فيه ماء بصورة فجائياً تجد حالا صراع الهواء مع الماء ليرتفع فوق بالنسبة الى مكانه الطبيعي ، فيمزق الماء تمزيقاً بشكل فقاقيع حتى لا يبقى شيء منه تحت الماء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذا شئت أفرغ الوعاء الى نصفه وأضف على الماء كمية مناسبة من التراب الناعم واخلطه خلطا كاملا حتى يتمازجا تماما فيفقد كل منهما منظره الطبيعي ، ودعهما يركدان ساعة من الزمن نجد أن كل واحد منهما يأخذ مكانه الخاص به بالنسبة الى نوعيته الطبيعية ، فيستقر التراب في القعر ، ويصعد الماء فوقه ، بينما يكون الهواء فوقهما جميعا ، وهكذا يحدث كلما امتزجت هذه العناصر في بعضها البعض ، وهكذا كان انفصالها عندما أمرها الخالق بذلك » .(١٨)

والمادة هي مبدأ جميع الاجسام وبواسطتها تتخذ جميع الاجسام وتلتقي في نقطة طبيعية واحدة لان « الجسم الطبيعي وبما انه جسم طبيعي

---

(١٨) الايام الستة ص٤٧ ـ ٥٠ .

له مبادىء خاصة ، وبما أنه (مادة) ويتغير له مبادىء اخرى ، ومبادؤه الجسمية ، أما هي أجزاؤه وأما ليست أجزاءه ، ولديه جزآن طبيعيان أولا كالخشب بالنسبة الى الكرسي ، وهذه هي (المادة) ، والثاني ، كالشكل الخارجي بالنسبة الى الكرسي ، وهذه تدعى الصورة أو النوع ـ ولديه أيضا مبدآن خارجان عن ذاته : الاول : علته الفاعلة ، وهي القوة التي عملته بهذه الصورة الحاضرة ، والثاني علته الكمالية أو المثالية ، وهي الغاية التي من أجلها عمل ذلك الجسم بالصورة الراهنة »[١٩] .

ولما كانت جميع الاجسام تبدل هيئاتها الخارجية وتنعدم الغاية التي عملت لاجلها تلك الهيئة المنعدمة ، تبقى المادة ثابتة بصورتها المادية الطبيعية ، ولا تتغير مطلقاً عن ماديتها كلما تغيرت أشكالها الخارجية ، لذلك تكون المادة مجردة سالمة من التغير ، لان « النوع الجسمي العام سابق لجميع الانواع الطبيعية الخاصة ، والمادة أصل جميع الانواع العامة والخاصة ، فالمادة اذن ، جوهر طبيعي سابق لجميع الانواع ، واذا أخذت مجردة فهي عديمة الشكل والشبه »[٢٠] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما كانت المادة أصلا لجميع الانواع الجسمية الطبيعية العامة والخاصة ، وبما انها قابلة للتغير الشكلي ، كان لابد لها من (أصل) أول تصدر عنه كمبدأ سابق لها . وهذا المبدأ السابق هو « العلة الفاعلة » الاولى لان « العلة الفاعلة هي مبدأ عام ، واصل مبدع لجميع الكائنات الطبيعية ، وهذه العلة هي القوة الاولى التي عملت الكائن الطبيعي الاول ، ومنه صدرت جميع الكائنات الطبيعية ، أي المادة الاولى ، التي كانت أصلا

---

(١٩) زبدة الحكم . السماع الطبيعي . الباب الاول . الفصل الرابع . النظرية الثانية :

(٢٠) المصدر السابق . النظرية الثالثة .

أولا للنوع الاول ، ومنه صدرت بقية الانواع التابعة ، كالعناصر والمعادن والنباتات والاشجار والحيوانات ، ويجب أن يكون مبدأ جميع هذه الانواع سابقاً لها ، ولا يجب أن يكون مبدأ طبيعيا لهـا ، والا كان سابقاً لذاته ، وهذا محال ، فانه اذن ، العقل الاول والروح الفاعل ، الذي عمل الكل في الكل في عالمنا هذا الارضى ، وأما علة العالم الارضي ، الكاملة العامـة فهي الخير عامة ، الذي لاجله خلقت جميع الكائنات الطبيعية »[٢١] .

٢ ـ التركيب والتحليل والمزج

التركيب والتحليل حالتان تطرآن على الاجسام بالتناوب ففي الحالة الاولى ، يظهر الجسم كاملا مستوفيا شروطه الطبيعية ، وفي الحالة الثانية تتميز العناصر عن بعضها بعض منفردة ، الامر يدل على أن الجسم الكامل هو ما تألف منها جميعا كاملة كجسم الانسان مثلا ، وهو الحاوي هـذه العناصر مجتمعة، فانه يتركب من الاعضاء ، والاعضاء تألفت من الحجيرة،والحجيرة من الدم ، والدم من الاغذية ، والاغذية من الارض المؤلفة من العناصـر الاربعة التراب والماء والهواء والنار ، لانه اذا القى الانسان بذرا في الارض، فان لم يغطه التراب ، فان حرارة الشمس تحرقه .

وفي حالة التحلل تظهر هذه العناصر الاربعة التي تألفت منها المركب ، لاننا اذا حللنا أحد أعضاء الحيوان بطريقة كيمياوية علمية نجده قد عـاد ترابا وماء ، وهذان العنصران اذا مزجا فمن الضـرورة تكـون الحـرارة منضجة لهذا المركب[٢٢] .

ان (النوعيات) التي تتفاعل وتؤثر في بعضهـا بعض ، تكـون سـببا

(٢١) ذات المصدر : النظرية السادسة .
(٢٢) زبدة الحكم ـ كتاب الكون والفنـاء الفصـل الخامس والنظـريـة الاولى .

للكون والفناء ، وهي : الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ، ولطافة التكوين وغلاظته • والقساوة واللين ، والخشونة والنعومة ، والالوان والاطعمة ، وهذه وان كانت تكسو بعضها بعضا ، غير أنها معلولة لهذه الحالات الاربع ، فهذه اذن ، هي النوعيات الاولى ، التي تتركب منها أربع حالات ، الحار اليابس وهذه هي النار ، والحار الرطب وهذا هو الهواء ، والبارد الرطب وهو الماء ، والبارد اليابس وهو التراب(٢٣) •

وهذه العناصر الى أن تجمعت نتجت منها بعض الحالات الهامة في تركيب الاجسام الامر الذي لا يناله الجسم الا باجتماعها مثال ذلك اذا اجتمعت الرطوبة باليبوسة ، وامكان تكييفه وقبوله الشكل المطلوب بواسطة الرطوبة ، وبواسطة الحرارة ينال المركب ميوعة ونضوجا واذا اضيفت اليهما البرودة ينال بقاء تركيبه ، هذه هي الفوائد الضرورية لهذه النوعيات الاربع الاولى • وهي قوى العناصر(٢٤) •

وللمزج نتائج عامة في تكوين المركبات ، فان العناصر المتضادة النوعيات ، عندما تجتمع في مركب واحد تتلاشى نوعية كل منها في العناصر الباقية • وتظهر نوعية جديدة في ذلك المزيج متوسطة بين جميع هذه النوعيات وتشبه جميعها • وتلاشي نوعياتها تكون في تقلص أجزاء كل منها ، لان أكثر كل نوع يتمازج مع أكثرية النوع الآخر(٢٥) •

ان نوعية كل من هذه العناصر لا تلاشيها نوعية العنصر الآخر ، بل تخضع نوعيته لنوعية اخرى من جهة ، وتخضعها لسلطانها من جهة اخرى وذلك لفائدة المركب الذي لولا هذا التمازج لما أصبح في حالته

(٢٣) فيه النظرية الثانية •
(٢٤) المصدر السابق النظرية الرابعة •
(٢٥) فيه الفصل السادس النظرية الاولى •

الحاضرة[٢٦]

٣ ـ العناصر الاربعة :

علمنا سابقاً ان العناصر الاربعة هي النار ، والهواء ، والماء ، والتراب. وكانت منذ فجر تكوينها متمازجة ثم انفصلت عن بعضها بأمر الخالق ، وأصبح كل عنصر قائما بذاته كائنا منفردا ، له صفاته الخاصة وميزاته النوعية الطبيعية ، وهي تحوي كل ما في الكون من امكانيات طبيعية . ولكل منها طبيعتان بارزتان[٢٧] ، وهي أجسام بسيطة متحركة حركة دائمة في مركز الكون الى أقصى أقاصيه ، وتدعى خفيفة وثقيلة بآن واحد وحركتها متأتية من قوة لا ارادية كامنة فيها بصورة طبيعية[٢٨] وهذه العناصر يمكنها أن توجد في أي مكان كان ولكن بتفاوت وهي كل ما يلي ، التراب ثم الماء ثم الهواء ، أما النار فانها لا توجد الا في مكانها الخاص وحيث توجد مادة قابلة للاحتراق .[٢٩] واليك دراسة كل عنصر بمفرده :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ا ـ النار :

النار حارة يابسة وهي مكونة من جهة ومتلفة من جهة ثانية[٣٠] ، ولها تأثير عظيم في تماسك ذرات العناصر الثلاثة الباقية. لانها متصلة بجميعها اتصالا وثيقا فتشدها شدا وتكون منها شكلا كرويا مستديرا وهي جسم متماسك حار خفيف لطيف ، نيّر بل ينير جميع الاجسام الباقية ، وبما أن النار متصلة بجميع الاجسام فهي كامنة مستترة في جميعها بصورة لا تضر

---

(٢٦) فيه النظرية الثانية .
(٢٧) علة كل العلل . المقالة الرابعة الفصل الخامس (بحث المادة والعناصر) .
(٢٨) زبدة الحكم . كتاب السماء والعالم . الباب الخامس . الفصل الاول النظرية الاولى .
(٢٩) فيه النظرية الثانية .
(٣٠) علة كل العلل المقالة الرابعة الفصل الخامس (بحث النار) .

بها ، ولكن اذا أصابها من الخارج يتلفها ويأتي عليها [٣١] . وهي دائرة بدورة الافلاك سواء في داخل الارض أو في أجوائها أو في أجواء بقية الاجرام السماوية . وطبيعتها الحارة تجعلها ترتفع فوق جميع العناصر كلما امزجت في أية مادة كانت ، وتتأثر من البرودة التي تداهمها فتنطفىء . وكلما انطفأت منها ذرة أفسحت مجالا لاضطرام ذرة جديدة ، وهكذا حتى تنتهي المادة التي أصابتها .

وهناك نوع آخر من الاحراق يحدث عندما تتصل النار اللاهبة بجسم من الاجسام الارضية (كالحجارة والمعادن) والماء والهواء تشركها باضطرامها اشراكاً كلياً اذ تستحيل هذه الاجسام الى نار وتيلها نفس لونها ، وبعد فترة قصيرة تغادرها النار فتعود الى حالتها الطبيعية ،وهكذا يحدث الانطفاء[٣٢] .

وللنار طبقة واحدة مشتعلة بالجو كما هي متصلة ببقية الاجسام الارضية[٣٣] ويبوسة النار هي يبوسة خاصة بحيث لا تتلصق في الاجسام ولكن ليست صعبة الاختراق كالارض[٣٤] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب ـ الهواء :

الهواء جسم رقيق نقي شفاف صاف بل أكثر لطفاً ونقاء من العناصر الثلاثة الباقية ، لذلك يخترق البصر بدون مانع فينظر أجساما كثيرة سابحة فيه عن بعد ، وللطفه لا يمنع من أن تمتزج به بقية العناصر وكأنها تستحيل الى طبيعته وان كانت مضادة لها . كبرودة الماء ، وحرارة النار ،

---

(٣١) الايام الستة ص٦٧ ـ ٦٨ .
(٣٢) منارة الاقداس . الركن الثاني . الباب ٣ الفصل ١ .
(٣٣) زبدة الحكم . المصدر السابق . النظرية ٤ .
(٣٤) الاشعة . المقالة الاولى . الباب الاول . الفصل ٥ . الشعاع ١ .

فيقال عنه تارة باردا ، وطورا حارا لانه يقبل هاتين الحالتين بسهولة ولياقة تامة • ويسمح لهذين الجسمين أن يمتزجا فيصبح معهما كأنهما معه كائن واحد ، وهو أيضا يحيط بالعناصر احاطة تامة من جهاتها الست(٣٥) •

والهواء حار رطب • وبهذا تعيش الكائنات الحية ولذلك تستنشقه كسبب أساسي لحياتها ، وكل شيء ينتج عن الهواء حار ورطب ، ومكون للحياة والصحة ، وحافظ للاجناس الحية جميعها ، وخير هذا الكون بحفظ الحياة فيه سالمة كاملة ولذلك سمي الهواء ، خيّراً وخيراً واستمرار البقاء(٣٦) •

والبرهان على كون الهواء حاراً هو :

أولا : اننا عندما نريد جعل الماء بخاراً أو هواء • نسخنه بوساطة الحرارة ونزيد في غليانه حتى يستحيل الى جسم بخاري يشبه الهواء تماما ، ولو كان الهواء باردا لكان سائلا أو جامدا مثل الماء •

ثانيا : لان الهواء رطب ، ولو كان باردا لاصبح ماءً ، وهو ليس كذلك اذن هو حار رطب(٣٧) • والبرهان الاخير على كون الهواء رطباً سهولة قبوله كل شكل من الاشكال(٣٨) وسرعة زوالها عنه وسهولتها(٣٩) •

وللهواء أربع طبقات ، الاولى ملتصقة بالارض ، والثانية عالقة بالابخرة المتصاعدة من الارض وهذه طبقة باردة ، والثالثة طبقة الهواء الحقيقي ،

---

(٣٥) الايام الستة ص٦٦ •
(٣٦) علة كل العلل • المصدر السابق ـ بحث العناصر •
(٣٧) منارة الاقداس • الركن ٢ الباب ٣ • الفصل ١ المقصد ٤ •
(٣٨) الاشعة • المقالة ١ • الباب ١ • الفصل ٤ • الشعاع ٢ •
(٣٩) زبدة الحكم • المصدر السابق الفصل ٣ • النظرية ٣ •

والرابعة طبقة الهواء الممزوجة بالنار[٤٠] .

واذا لامست طبقة الهواء الخارجية (العليا) مسام النار تكون كروية حقيقية ، واذا لامست طبقتـه الداخلية السفلى الارض لا تكـون بالحقيقـة كروية بسبب الجبال والوديان والوهاد الكائنة على وجه الارض[٤١] .

وله ثلاث حالات مختلفة بالنسبة الى الطبقات الثلاث المار ذكرها ، الحالة الاولى تجرها على الارض وهو نقي شفاف ، والثانية عند ارتفاعـه قليلا تجد بعض الذرات الرملية عالقة فيه من الارض نفسها ، وفي هـذه الحالة يشبه الحصاة الشفافة متأثرا بعنصري التراب والمـاء . ولا يسـمح لقوته وهدوئه أن يكون بعيداً عنهما ، ولا أن يكونا قوته لئلا يكون تحتهما ، وفي الحالة الثالثة ، وهي الحالة العليا والاخيرة يحيط بجميع العناصر كجسم أصم قوي يحرسها لئلا تبدد ذراتها وذلك بأمر الخالق[٤٢] .

ج ـ المـاء :

الماء جسم أكثر رقة وميوعة ولينا من عنصر التراب ، وأكثر كثافة ووزناً وتماسكاً من الهواء . وهو رطب رقيق سائل شفاف نقي ، وأكثر برودة من التراب ، وضد اليبوسة الارضية . ولونه وطعمه ورائحته من طراز خاص[٤٣] .

والماء طبيعياً بارد رطب[٤٤] وليس الماء سائلا بطبيعته بل هو جامد الا اذا قلّت برودة بحرارة العناصر الحاضرة أهمها النار[٤٥] ، واذا ابتعد

---

(٤٠)فيه ايضا الفصل ١ النظرية ٤ .
(٤١) فيه ايضا الفصل ٣ النظرية ١ .
(٤٢) الايام الستة ص ٦٦ ـ ٦٧ .
(٤٣) المصدر السابق ص ٦٥ .
(٤٤) علة كل العلل . المقالة ٤ الفصل ٥ (بحث عنصر الماء) .
(٤٥) الاشعة . المقالة ١ . الباب ١ الفصل ٣ . الشعاع ٢ .

عنه ما يسخنه وهو حرارة الشمس فيعود الى طبيعته الاولى وهي التجمد ، وهو شفاف بصورة أقل من الهواء وبالتالي له بعض اللون والبرهان على ذلك اننا نراه ثم اذا ملأنا قنينة زجاجية نقية ماء نقياً نجد شعاع الشمس يرجع عنه ولا يخترقه ، أما الشكل العام للماء الكائن على سطح الارض فانه كروي مثل الارض ، والدليل على ذلك رؤية الجالس في السفينة عند اقترابها الجبال ، قمة الجبل أولا ثم ينجلي رويدا رويدا حتى سفوحه(٤٦) .

ولرطوبة الماء حالتان ، الاولى كونه ينال شكل الاناء الذي يحتويه ، وحالما يغادره ذلك الشكل الراهن ، والثانية سرعة تغلغله في دقائق التراب الامر الذي ينيله تماسكا في هذه الذرات فيجعل منها جسما متحدا متماسكا(٤٧) .

الماء النقي عديم الطعم ، وأما الماء الذي فيه ملوحة أو مرارة أو كبريت ، فانه يكتسب ذلك من الاراضي التي يمر فيها أو يتجمع ، ويوجد في بعض مناطق جزيرة صقلية ماء حامض الطعم بينما يوجد في مناطق اخرى ذو طعم مر أما المالح فيوجد منه في مناطق كثيرة(٤٨) . وللماء طبقة واحدة فقط في الكون الارضي(٤٩) .

د ـ التراب :

التراب جسم بارد يابس مضاد للحار الرطب ، وفيه خاصية الانحلال

---

(٤٦) منارة الاقداس . الركن ٢ الباب ٣ الفصل ٣ المقصد ٤ .
(٤٧) زبدة الحكم . كتاب السماء والعالم . الباب الخامس . الفصل ٤ جميع نظرياته .
(٤٨) فيه ايضا .
(٤٩) فيه ايضا .

والفناء ، وهذا ضد الحياة والخير وهـو الموت[٥٠] ، والدليل على برودة التراب واضح يحس به الانسان ، أما يبوسته فهي واضحة من كونه يتكيف بصعوبة ، ويترك شكله الكائن هو فيه بصعوبة أيضا ، ولذلك عندما تنفصل ذراته بعضها عن بعض لا تعود تتماسك وتتحد الا بواسطة الماء ورطوبتـه وذلك بعكس العناصر الثلاثة الباقية[٥١] .

وللتراب ثلاث طبقات ، الاولى وهي القريبة من المركز العام للارض ، والثانية هي الطبقة الممتزجة بالماء ، والثالثة بعضها ظاهة وبعضها مغطى بمياه البحار[٥٢] .

(٤)

ترتيب العناصر عند العلماء وكيفية اتحـادها

(الالفة الكيمياوية)

لم يذكر العلماء العناصر الاربعة بترتيب واحد ، بينهـم اختـلاف في التقديم والتأخير كل بالنسبة الى فكرته الخاصة ، فالرهاوي ذكرها كمـا يلي وشرحها مجملة : التراب ثم الماء ، ثم الهواء ، ثم النار[٥٣] ، وذلك في القرن السابع الميلادني ، أما الاسقف الرهاوي المجهول صاحب كتـاب (علة كل العلل) ذكرها وشرحها على نسق آخر وهو : الهواء ، ثم التراب ، ثم النار ، ثم الماء[٥٤] وذلك في القرن العاشر ، أما ابن العبري في القرن الثالث عشر ، فقد ذكرها في كتابيه ، الاشعة ومنارة الاقداس على الترتيب التالي : التراب ، الماء ، الهواء ، النار . وأما في موسوعـة (زبدة الحكم)

---

(٥٠) علة كل العلل . المقالة ٤ الفصل ٥ (بحث عنصر التراب) .
(٥١) زبدة الحكم . المصدر السابق .
(٥٢) زبدة الحكم . المصدر نفسه . الفصل الاول . النظرية ٤ .
(٥٣) الايام الستة ص ٦٥ .

فذكرها كما يلي : النار ، الهواء ، الماء ، التراب(٥٥) .

والسبب في هذا الاختلاف هو طريقة بحث كل منهم وحاجته الى الموضوع الثلاثي مثل غيره ، وأما في شرح العناصر نفسها فانهم متفقون بالمعنى العام وان كان لكل منهم طريقته الخاصة ونقاطه التي اختار دراستها دون غيرها .

علمنا سابقا أن العناصر الاربعة انفصلت بأمر الله لكي تفسح مجالا لوجود الكائنات الحية ، ومع ذلك بقيت لهذه العناصر المضادة بعضها لبعض علاقات وثقى في كيانها ووجودها . وهذه العلاقة هي سبب الوجود والبقاء للموجودات النباتية والحيوانية ، فكيف أمكن ائتلاف هذه العناصر وسيرها جنباً الى جنب في مضمار الوجود مع الفروق العنصرية السحيقة الكائنة في نوعياتها الطبيعية ؟ وكيف تولد هذا الحب والشوق العظيمين بينها ، بينما الحار مضاد للبارد ، والرطب لليابس ، والهواء مبيد للتراب ، والماء يطفىء النار ، ومع ذلك نجدها سائرة بنظام دقيق لا يتعداه ولا يتلف بعضها بعضا ، ان هذا الائتلاف نتج على النحو التالي : علمنا أن الهواء حار رطب . تآلف مع النار ، وهي حارة يابسة ، ومع الماء وهو بارد رطب وهكذا تآلفت حرارة الهواء مع حرارة النار من جهة ، ورطوبته مع رطوبة الماء من جهة ثانية ، وأما التراب فانه بارد يابس ، فتآلفت برودته مع برودة الماء ويبوسته مع يبوسة النار ، بهذه الطريقة تآلفت هذه العناصر المتضادة ونجمت من تآلفها وتمازجها (المادة) وعنها نشأ كل ما في الكون تحت هذه القبة الزرقاء وذلك بقدرة الخالق بحكم القادر على كل شيء .

وقد أوجد المكون القدير « شوقاً » طبيعياً بين هذه العناصر

---

(٥٥) راجع المواضيع ذاتها في كتب ابن العبري الثلاثة المشار اليهما في حواشي الصفحات الماضية .

المتضادة لكي تأتلف وتتجاوز وتنتج نتائج الوجود العجيبة وقد شبه الاسقف الرهاوي هذا « الشوق » بشوق الكائنات الحية بعضها الى البعض الآخر الامر الذي منه يستمر وجود الكائنات الحية وذلك بفعل التزاوج والتآلف ولمحافظة الكائن على نوعه العنصري • وذكر انه اعتمد بهذا التعليل على فكرته الخاصة بعد تجارب في الحياة كثيرة •(٥٦)

(٥)

ذوبان الاجسام وتكييفها

تذوب بعض الاجسام في أجسام اخرى أو تتكيف بأشكال مختلفة، وذلك أما بتأثيرات طبيعية كالحرارة والبرودة ، أو بتأثيرات كيمياوية ، فالحرارة والبرودة عاملان مهمان جدا في عمليات التذويب أو عكسها • واذا أذابت الحرارة بعض الاجسام تكون البرودة سببا لتصليبها والعكس بالعكس ، فتأثيرات الحرارة بدرجات مختلفة تكون سببا لانواع التذويب والتحليل والتبخير أو بالعكس ، وتأثيرات البرودة تكون سببا لانواع التصليب والتيبيس أو بالعكس مثال ذلك ، اذابت الحرارة المعادن فالبرودة تصلبها ، أما التأثيرات الكيمياوية في عملية التذويب والتصليب فهي كثيرة جداً(٥٧) •

ان تأثير الحرارة في الاجسام الرطبة يكون بحالات مختلفة فيكيفها بحسب نسبة رطوبتها فبعض الاجسام الصلبة عندما تطرأ عليها الحرارة بدرجات مختلفة تهيج ذراتها الرطبة فقط وتؤدي الى تبخر الرطوبة أو تصاعد الغازات الكامنة فيها ، فمادة التبخر هي الماء ، ومادة التصاعد الغازي هي الاجسام الترابية ، والبخار ماء ذائب ، والغاز جسم ارضي محلل(٥٨) •

---

(٥٦) علة كل العلل • المقالة ٤ الفصل ٥ (نهاية بحث العناصر) •
(٥٧) زبدة الحكم ـ كتاب الكون والفناء ـ الباب ٣ الفصل ١ النظرية ١ -
(٥٨) فيه النظرية ٢ •

أما الاجسام الصلبة التي فيها بعض الزيوت المعدنية أو العضوية المتأتية من امتزاج الرطوبة باليبوسة فهذه اذا كانت ضعيفة تذوبها الحرارة بسهولة كالشمع مثلا ، واذا كانت قوية كبعض الحجارة الكريمة لا تذوب ولا تلين مهما كانت درجة الحرارة قوية ، وأما اذا كانت متوسطة الصلابة أو معدنية كالحديد وغيره فان درجة معينة من الحرارة تذيبها ولكن لا تقطع ذراتها عن بعضها ، ولا تفرز بخاراً أو غازاً ، وهناك بعض الحجارة الكريمة « كيبا اميانطيس » لا تذوب وحدها من شدة الحرارة مهما كانت قوية ، وعندما تدق وتصغر أجزاؤها وتخلط بأجزاء اخرى ذائبة من حجر « ارمزونيسون » وتسلط عليها جميعا حرارة قوية جدا فانها تذوب ، والنحاس النقي بدون خلط آخر ، يذوب بحرارة قليلة ، ويفرز النحاس والفضة غازا كبريتيا عند ذوبانها بحرارة مناسبة • ولذلك يكون النحاس والفضة أكثر قبولا للذوبان من جميع المعادن(٥٩) •

وأما الاجسام القابلة الاشتعال تفرز غازاً غير رطب ولا بارد ، والاجسام التي فيها شيء من الرطوبة والبرودة هي غير قابلة الاشتعال ولا تستحيل الى كتلة (نارية) لان الرطوبة تمنع ذلك • وجل ما تؤثر فيها الحرارة هو أن تسخنها • أما الاجسام اليابسة واللطيفة فاذا كانت يابسة قاسية ، أو رطبة غير ذات زيت ، فانها لا تحترق ولا تذوب ، والجسم الذي يصبح كالجمرة ولا يشتعل يستحيل الى كتلة مضيئة منيرة ، بدون أن ينفصل منه شيء لانه صلب جداً وذلك مثل الحجارة ، أو يكون رطباً جداً فيفرز غازاً لطيفا لا يشتعل ولا يذوب ، والاجسام التي تحترق ولا تستحيل الى جمرات نارية ، فاذا لا يستحيل الى غاز لا يصبح مضيئا

(٥٩) فيه النظرية ٤ •

كالزيت . وما يشتعل ويستحيل الى جمر ففيه الوجهان[٦٠] .

والجسم الذي يذوب ويسيل ، يحتاج الى برودة جامدة مرافقة باليبوسة ، لكن اذا اذيب بواسطة النار أو الحرارة وأصبح سائلا تبقى ذراته متماسكة ، لانها ان لم تبق فانه يستحيل غازا ولا يمكن تجميره[٦١] .

الاجسام المركبة ، هي اقل رطوبة من الاجسام المحلولة ، وكلما لان الجسم وذاب ، اذا كيف بالحرارة الزيتية ، فبواسطة حرارة قوية تلين صلابته ، ويتفسخ جوهره ، ثم يذوب ، وذلك كالحديد ، والنشادر والزرنيخ والملح ، فان جميع هذه المواد ، اذا سخنت بالكبريت او (الارسهنيقون او الامهنيون او الالقارونيون) فانها تذوب[٦٢] .

ومجمل القول ان معظم الاجسام ، فانها تذوب في البرودة او الرطوبة ، وتتجمد بالحرارة او اليبوسة ، فالاجسام المائية تصلبها البرودة وتذيبها الحرارة ، وكل جسم غلبت عليه الرطوبة كالشمع او الشحم فان الحرارة تذوبه ، والبرودة تجمده ، وكل جسم غلبت عليه القوة الهوائية كالرغوة وغيرها فان الحرارة تجمده والبرودة تذيبه ، فالرغوة تتكون من يبوسة هوائية مزيجة من المواد المائية ، والحليب يجمد بواسطة التجبن ودم بعض الحيوانات لايجمد لقلة المواد الكافية للتجمد فيه ، وتعرف مفاعيل كل من الحرارة والبرودة من التضاد الكائن بينهما[٦٣] .

---

(٦٠) فيه النظرية ٦ .

(٦١) زبدة الحكم ـ كتاب الكون والفناء ـ الباب ٣ الفصل ١ النظرية ٧ .

(٦٢) المصدر السابق النظرية ٨ .

(٦٣) ذات المصدر النظرية ٩ .

(٦)

المعـــــادن

في هذه الارض تختفي انواع كثيرة وضروب من الاجسام المتنوعة وجدت لفائدة الانسان ، كالحديد والنحاس ، والزنك والرصاص والفضة والذهب والكهرباء واللآلىء والحجارة الكريمة الثمينة كالجزع[٦٤] والعقيق[٦٥] والزبرجد[٦٦] والفيروزج[٦٧] واليشب[٦٨] والبلور[٦٩] والمغناطيس[٧٠] والماس[٧١] وانواع اخرى كثيرة من الحجارة كالكحل والزرنيخ والشب[٧٢] والمفر[٧٣] والزاج[٧٤] وتوبال النحاس[٧٥] وانواع اخرى متنوعة ، وترسبات زيتية تسيل من دهونة

---

(٦٤) الجزع أكثر بياضا من الذهب ويشبه العسل الاصفر ، ابن بهلول ص ١٤٣٠ .

(٦٥) العقيق لونه كلون الذهب ويشبه العسل الاحمر ، ابن بهلول ص ١٩٢٤ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦٦) الزبرجد

(٦٧) الفيروزج لونه أخضر وكلون السماء . ابن بهلول .

(٦٨) اليشب ليس له صفاء البلور وهو كلون اللبن . ابن بهلول ص ٨٥٣ .

(٦٩) البلور حجرة كريمة بيضاء كلون الماء الصفاء ابن بهلول ص١٨٣٦ .

(٧٠) المغناطيس الشرح في ابن بهلول ص ١٠٠٦ .

(٧١) الماس

(٧٢) الشب وعلامته عند الكيمياويين القدماء ابن بهلول ص ١٦٨٣ .

(٧٣) المغر تراب أحمر يصبغ به الغنم الابيض . ابن بهلول ص١٠٨٣ .

(٧٤) توبال النحاس ويقول ابن بهلول ان جبريل صححه بهذا الشكل ص ٨٩٩ .

(٧٥) الزاج : ابن بهلول ص ١٩٦٣ .

الارض ، وبعض هذه الامور هي صالحة وضرورة للطب وغيرها لصناعات كثيرة ، ولاستعمال البشر كالحناء[٧٦] والقار والكبريت والنفط ، والفحم الحجري[٧٧] والحجارة على اختلاف أنواعها تعد نوعا من المعادن لان مؤثرات كثيرة طرأت عليها حتى كونتها بالشكل الذي نراها عليه .

ولتكوين المعادن اسباب طبيعية وكيمياوية كثيرة سنراها في سياق هذا البحث واذا تكاملت المؤثرات على الجسم الفلاني فانه يستحيل من حالة الى حالة جديدة ليتكون منه معدنا من المعادن ، وهذا هو عمل الطبيعة في تكييف هذه الكائنات الجامدة وصوغها واخراجها الى حيّز الوجود حاملة طابعا جديدا وخواص طبيعية جديدة .

فتكوين الحجارة عامة يكون على شكلين : الاول بطريقة (التخزيف الطبيعي) المتأتي من مؤثرات الحرارة العامة والرطوبة الارضية وتفاعل قوى طبيعية اخرى ، فالطين اللزج اذا تعرض لحرارة قوية بدرجة معينة ومرت عليه مدة من الزمن طويلة ومرت عليه تأثيرات طبيعية أخرى ، يستحيل في حالته الراهنة الى حالة الجماد . والثاني ، بطريقة كيميائية ، وذلك عند تسرّب ماء مشبع بالمعادن والكلس الى منطقة فيها تراب من نوع خاص ، وتطرأ عليه الحرارة من الارض وتمر عليه فترة من الزمن ، او تصادفه برودة شديدة او حالة كيميائية طبيعية اخرى فانه يستحيل الى جماد ، كما يتجمد ماء البحر فيصبح ملحاً[٧٨] .

ويقدم العلامة ابن العبري برهانا طبيعيا آخر على ذلك وهو تحجر بعض الحيوانات والاشجار في بعض المناطق وذلك بواسطة العوامل الطبيعية

---

(٧٦) الحناء ابن بهلول ص ٨٨٠ .

(٧٧) يعقوب الرهاوي ـ الايام الستة ـ ص ٥٣ .

(٧٨) زبدة الحكم ـ كتاب المعادن ـ الباب الاول الفصل الاول النظرية ٢ .

وانسكاب بعض الترسبات المعدنية عليها في حالات خاصة ، تم تحجر الترسبات نفسها في بعض المغاور والمناطق المائية بالطريقة نفسها ، وهي غير ما نسميه اليوم بالستالكتايت والستالكمايت[٧٩] .

وبالطريقة الكيميائية الطبيعية نفسها تكون الصواعق فتستحيل المواد السابحة في الجو جسماً نارياً يشبه معدنا ويسقط على الارض ، ويذهب هذا العالم الى ابعد من ذلك فيقول ان التحجر يصيب حتى بعض الشرايين الحيوانية فتنتج منه امراض كيمياوية متأتية من بعض الافرازات في الدم الحيواني كداء النقرس وداء المفاصل او التهاب المثانة او حصر البول الامر الذي يحدث من تحجر الكريات الدموية من هذه الترسبات الشاذة[٨٠] .

ان المادة الاولى والاساسية لجميع المعادن او القابلة الطرْق ، او التي تذوب بالنار هوالزئبق ، والدليل البسيط على ذلك عودة هذه المعادن الى سائل يشبهه تماما ، وجميع المعادن التي تذوب بحرارة قوية يحمر زئبقها ، فالرصاص يذوب بحرارة خفيفة ، واذا ارتفعت درجة الحرارة عليه ، فان زئبقه يستحيل الى سائل احمر تبعا للاحمرار الناري والدليل الثاني على كون الزئبق المادة الاساسية لهذه المعادن ، هو كونه يمتزج بجميعها . ولكن باختلافه واختلاف الكبريت الذى يمتزج فيه يختلف نوع المعدن فتتولد تبعاً لهذا الاختلاف المعادن الكثيرة لان جميع هذه المعادن تتكون من الزئبق ممزوجاً بالكبريت[٨١] .

والزئبق نفسه يتكون من مادة مائية ممزوجة بمادة ترابية خاصة

---

(٧٩) فيه : النظرية ٣

(٨٠) فيه : النظريتان ٤ ، ٥ .

(٨١) المصدر السابق النظرية ١ . وكتاب (علة كل العلل) المقالة ٧ الباب ٢ بحث المعادن .

لطيفة ، ومادته المائية تغلب على مادته الترابية • وتبـــدو مادته ثقيلة بسبب انعدام المادة النارية فيه، فانعدام المادة النارية وقلة المادة الهوائية فيه تسبب ميوعته ولاسيما كثرة الرطوبة والمادة المائية فيه ، واما سبب بياض لونه ، فان التمازج الشديد بين المادة الترابية اللطيفة والمادة الهوائية الخفيفة فضلا عن قـــوة تماسك ذراته التى بواسطتها لا تنفصل عن بعضها بعض ، ولكنهـــا تغلي متمازجة في الحرارة وسبب هربه من النار اذا ادني منها فان كثرة المادة المائية فيه ، والذي يجعله جامدا متماسكا اكثر هو رائحة الكبـــريت التى تجعله مثل الرصاص ، ولذلك ، الرصاص المغلي السائل هو زئبق ، والزئبق الجامد هو رصاص[٨٢] •

اما كيفية تكوين المعادن من الزئبق فيكون على النحو التالى ، مـــن الزئبق النقي ، والكبريت الابيض النقي ، تخلق الطبيعة الفضة ، واذا كان الكبريت اكثر نقاء واكرم نوعاً وفيه قوة نارية لطيفة ، فاذا امتزج بالزئبق النقي فانه يتكون الذهب ، واذا كان الكبريت عكراً مشوشا فيخلق النحاس، واذا كان الزئبق سيئاً غير نقي وفيه مادة ترابية اكثر من الحاجة ، ويكون الكبريت ايضا معكرا فيتولد الحديد ، واما تكوين الرصاص فيتكون من امتزاج الزئبق النقي ، والكبريت غير النقي ، وبما ان فيه مادة هوائيـــة متحدة من المادتين اتحادا قويا ، فانها تخرج عند اتحادهما وتمازجهمـــا ، وعند خروج المادة الهوائية هذه تبعث صوتا رنانا ، والقصدير يتكون من زئبق ممزوج بمادة ترابية ثقيلة ، وكبريت غير نقي ضعيف آسن ، لذلك يكون رخواً ضعيفا[٨٣] •

---

(٨٢) علة كل العلل : الباب الثالث الفصل ٢ النظرية ٣ •
(٨٣) المصدر السابق : الباب ٣ • الفصل ١ النظريات ١ ـ ٤ • راجـع عنه المعادن منارة الاقداس الركن الاول •

والمعادن عامة أربعة أنواع : المعادن الحجرية ؛ المعادن التي تذوب ؟ الكبريتات والاملاح • المعادن الحجرية : كالزاج ، والزئبق المدبر (فوريطس) والمغنيسيا ، وهذه المعادن صلبة متفتتة قابلة للاحتراق ولا تذوب ولا تقبل الطرق ، لانها تكونت من مادة مائية قليلة الرطوبة ومن مادة ترابية ، الامر الذي خلق منها مادة شبه مائية ، ولذلك لا تذوب معظمها الا بتأثيرات طبيعية وعلى قلة •

والمعادن التى تذوب وتقبل الطرق ، وان كان بعضها لا يذوب ولا يقبل الطرق ، لكنها تلين ولكن بصعوبة ما خلا الماس فانه لا يقبل الطرق ولا يلين ، واذا طرقت على سندان الصائغ يغوص فيه ، ولا يؤثر فيه الحديد ، والمعادن التى تقبل الطرق فانها متكونة من جوهر مائي ممزوج بجوهر ترابي بقوة ، ولا تنفصل ذراتها عن بعضها البعض فيتجمد العنصر المائي بالبرودة الشديدة ، وتبقى منها بعض الذرات الزيتية غير جامدة منتشرة بين ذراتها ، ولذلك يقبل هذا الجسم الطرق فيتمدد او يذوب •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والكبريتات ، تتكون من عنصر مائي اختمر بشدة في العنصرين الترابي والهوائي ، وفيها عنصر زيتي كثير مختمر بالحرارة ، ثم بالبرودة • والشب والنشادر فيهما عنصر مائي اكثر من السابق ولذلك يغلي لا دفعة واحدة ، فمادتهما هي غاز مائي حار لطيف ناري تمتزج فيه يبوسة شديدة فتجمده •

والاملاح تتكون من عنصر ملحي وكبريت ، وذرات حجرية ، فالزاج ، يتكون من هذه العناصر وفيه شي قليل من المواد التى تذوب • وتوبال النحاس يتكون من ذوب ملاحة الزاج والكبريت وعندما تستحيل الى عنصر الاجسام القابلة الذوبان تجمده • ولكن اذا امتزج ببعض عنصر الحديد يحمر لونه او يكتسب لون الزعفران ، وذلك مثل توبال النحاس

نفسه ، واذا امتزج فيه بعض عنصر النحاس فيصبح لونه اخضر[٨٤] .

والمعادن بالنسبة الى قوتها وضعفها تكون ، أما صلبة الجوهر ، وقابلة للطرق كالحديد والنحاس والفضة والذهب ، او قابلة التفتت كاليواقيت واللآلىء ، او ضعيفة الجوهر وقابلة الليونة وحجرية كالزجاج ؛ او ملحية تذيبها الرطوبة بسهولة كالشب والزرنيخ الاحمر ، او دسمية فيها مادة زيتية كثيرة ، ولاتذوب بالرطوبة بسهولة كالكبريت والنشادر[٨٥] .

واهم المعادن عند علماء الطبيعة هي سبعة وقد درسوها كمايلى :

١ ـ الذهب : يتكون الذهب في بيئة ترابية طيبة ، والهواء النقي ، وحيث تكون حرارة الشمس غالبة ، ونضج فيها الكبريت النقي ممتزجا مع الزئبق الطاهر ، فاذا كان الكبريت أقل نسبة من الزئبق يكون الذهب المتكون منهما ابريزاً احمر ، واذا كانت حرارته قليلة يتكون ذهبه اخضر ليناً ، واذا امتزج فيه شيء من النحاس يتكون قويا صلبا .

٢ ـ الفضة : تتكون الفضة في بيئة ترابية نقية ايضا ، والهواء المناسب ، وتكون حرارته غالبة على الاولى ، اما معدن الفضة فانه طيب كالذهب الا انه يختلف عنه بلونه وثقله ، وهو اقل منه حرارة .

٣ ـ النحاس : يتكون في بيئة جافة تغلب عليها الحرارة ، ويكون الكبريت فيه اكثر صلابة وحرارة ، فاذا امتزج فيه الكبريت حينئذ يستحيل الى نحاس احمر ، وفى النحاس ايضا انواع مختلفة بحسب الامتزاج والبيئة .

٤ ـ القصدير : يتكون القصدير في بيئة ترابية اكثر برودة ورطوبة

---

(٨٤) فيه : الباب ٣ . الفصل ١ النظريات ١ ـ ٤ . منارة الاقداس . الركن الاول .

(٨٥) فيه النظرية الخامسة .

من الاولى ، ويكون الكبريت الذى يتكون منه قليل الحرارة ابيض ، فاذا امتزج فيه الزئبق ، يتكون منه القصدير الابيض ، وهو من الاجسام الرخوة .

٥ ـ الرصاص : يتكون في بيئة ترابية رديئة ، وهواء رديء تمتزج فيه غازات ثقيلة مشبعة بمواد رديئة كثيرة ، فالكبريت الذي يطبخ وينضج في مثل هذه البيئة الرديئة الثقيلة فاذا امتزج فيها الزئبق تحيله الى رصاص اسود ، ويسمى الفضة المجذومة ، ويشبه بالاجسام الحيوانية الرديئة الصحة والتكوين فتضرب بالجذام .

٦ ـ الحديد : ان البيئة الجبلية التي تكثر فيها البرودة واليبوسه ، وتكون الابخرة المتصاعدة من اجواف الارض باردة يابسة ، فالكبريت الذى في مثل هذه البيئة اذا امتزج بالزئبق يتكون من الحديد وفيه انواع كثيرة ايضا ، كالحديد الصلب ، والحديد اللين ، والحديد الهندي المسمى الفولاذ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتوجد انواع مختلفة في جميع المعادن ، الذهب والفضة والنحاس والقصدير ، والرصاص والحديد ، وذلك ناتج من كيفية تمازج الكبريت بالزئبق والتربة والبيئة والهواء والابخرة المتصاعدة من اجواف الارض .

٧ ـ الكهرباء : المعدن الذي يسمى (الكهرباء) هو جسم مركب تارة من الذهب والفضة ، وطورا من معادن اخرى ثمينة مثلها وهى تشبه معدن الجسم البشري مثلاً حيث تتحد العناصر فى هذا الجسم الواحد بينما يحتفظ كل عنصر كيانه الخاص سالماً .

واما الحجارة الكريمة فتكوينها ايضا يشبه تكوين المعادن ولكن تختلف عنها التربة والحرارة والغازات المتصاعدة من جوف الارض الامور التى تتفاعل تفاعلا طبيعيا وتنتج هذه الاجسام الثمينة . وهى نوعان اساسيان

الحجارة الكريمة المعدنية ، وهذه تتبع في تكوينها الطريقة الطبيعية المذكورة ، والحجارة الكريمة الحيوانية ، وهذه تتكون حول بعض الحيوانات البحرية كالمرجان وغيره(٨٦) .

(٧)

الذرّة

« الذرّة » هي الاكتشاف العلمي الحديث الذي شغل فكر الانسان في هذا العصر ، فهل خلقت نعمة للانسان او وجدت نقمة للقضاء على المدنية البشرية ؟ هذا ما ستجيب عليه الايام القليلة القادمة ، الا ان الانسان فكر في الذرة منذ عصور المدنية الاولى ، ولكنه لم يستطع أن ينتهج منها خيرا او شرا الى سنة ١٩٤٥ حيث انجلى امرها كسلاح رهيب يقضي على مدنية بكاملها .

درس علماء الطبيعة دقائق الكون ، وعندما بلغوا بدراستهم ما يسمى بـ (الجسم) وقفوا يفكرون بأجزائه فقرر علماء اليونان قديما ان «الجسم» يتكون من « ذرات » ولكن هذه الذرات كائنات دقيقة لا يمكن تجزأتها وبقي العالم الطبيعي يدرس هذا العلم معتمدا على دراسات الفلاسفة القدماء ، معتقدا أن « ذرة » الجسم لا يمكن تجزأتها ومن اجتماع ذرات كثيرة وتلاصقها تتكون جميع الاجسام المادية ، الا اننا نلحظ في القرن الثالث عشر بادرة هامة جديدة في حقل هذا العلم اذ أعلن العلامة ابن العبري غير وجل ولا هياب ان « الذرة » التي يتكون منها هذا الجسم لا يمكن الا تتجزأ وأعطانا براهين عقلية مبنية على العلم والتجربة . وقد عقد ثلاثة فصول منافية في كتابه الجليل « زبدة الحكم » معالجا موضوع تجزئة « الذرة » أو كما يعبر المعنيون في هذا العلم اليوم بتحطيمها .

---

(٨٦) علة كل العلل . المقالة ٧ الباب ٢ بحث المعادن .

ولما لم يكن هناك طرق عملية لاختبار هذه الناحية الهامة كان لابد للعلماء من الاعتماد على الشروح العقلية فجاءت البحوث في هذا الموضوع نظرية صرفة ، ومع ذلك فقد توصل هذا العالم الجليل الى قلب هذه الحقيقة العلمية ، فقدم لنا براهينه بصورة منطقية بحسب الطريقة التي كانت متبعة عندهم .

يورد هذا العالم الجليل رأي العلماء القدامى في قضية عدم امكان تجزأة « الذرة » بالقوة أو بالفعل بحسب التعبير الفلسفي القديم(٨٧) ثم يتصدر للرد عليهم بالطريقة المنطقية نفسها وهذا برهانه :

« لو كان هناك « ذرة » لا تتجزأ لكان أحد الامرين ، اما أن لا يمكن أن تتحد معها ذرة اخرى واما يمكن ، ولو لم يكن ممكنا لما شاهدنا ضخامة وحجوما كبيرة في الاجسام ، وذلك محال . واذا يمكن ، يحدث أيضا أحد الامرين ، أما تداخل الذرات بعضها في بعض ، وأما لا ، وأذا تداخلت هذه الذرات بعضها في بعض ، لما أمكن أيضا وجود الاجسام الكبيرة في المادة ، ولكان حجم السماء ـ أو الارض ـ كحجم البيضة ، وهذا محال ، واذا أمكن عدم تداخلها بعضها في بعض ، لاصبح لكل (ذرة) جانبان ، فتلتقي باحدهما بالتي تليها ، وبالثاني لا تلتقي ، ولكل جسم له جانبان فيقسم الى اثنين ، فليس اذن « ذرة » لا تتجزأ » .

ويدرس عالمنا الفاضل تجزأة الذرة أو تحطيمها بأربع نظريات اخرى أو أكثر ، وكلها تسير طبقا للطرق المنطقية المعروفة في الفلسفة القديمة فيؤيدها من الوجهة النظرية تأييدا كاملا ، بحيث لم يترك مزيدا لمستزيد ، الا اننا نلحظ في النظرية الثالثة في الفصل نفسه بادرة هامة في حقل دراسة

(٨٧) ابن العبري ـ زبدة الحكم ـ السماع الطبيعي ـ الباب الثاني الفصل الاول النظرية لاولى .

« الذرة » فيتكلم عن وجود أجسام كروية متحركة حركة دائرية في داخل « الذرة » كأني به شاهدها بالطرق العلمية الحديثة •

واذا أردنا دراسة التجزأة الذرية في دراسات هذا العالم العبقري ، لا نراها بعيدة عن التحطيم « الذري » الذي يقول به الآن علماء الطبيعة ، أما عن « القوة » الكامنة في « الذرة » والتي يمكن استخدامها لأغراض بشرية كثيرة كما هو راهن الآن ، فلم يكن معروفا لدى علماء العصر ، الا انهم عرفوا ان قوة تنبثق من بعض الاجسام المعدنية وتسبب انطلاقات تشبه ما عرفه الآن علماء الذرة ، الا أن الفكرة كانت في طي التبلور •

الفيزياء

علم الفيزياء وليد العصر المتأخر ، لذلك لا تجد دراسات فيزيائية منظمة في المؤلفات القديمة ، الا اننا لا نعدم مواضيع هامة في هذا المضمار منتشرة هنا وهناك في مؤلفاتنا السريانية كبحث الجاذبية الطبيعية العامة ، والقوة والحركة والهواء وضغطه ، وبعض صفات المادة ، وحالات الماء الثلاث المعروفة ، والحرارة وما اليها ، والحركة ، والظلال ، وتموجات الصوت وسرعته وما الى ذلك من المواضيع الفيزيائية ، واليك هذه المواضيع :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١)

الجاذبية

الجاذبية قوة عامة منتشرة في دقائق هذا الكون • وفي كل جسم شيء من هذه القوة تؤدي به الى حركة طبيعية خاصة بالنسبة الى حالته • فالحجرة الساقطة من علٍ ، لا تسقط الا بواسطة هذا القانون الطبيعي العام ، وهذا ما يعرف « بالحركة الجوهرية »[٨٨] في الجسم ، فاذا القيت حجرة الى

(٨٨) السماع الطبيعي الباب ٤ الفصل ٩ النظرية ٢ •

أعلى في الجو نراها صاعدة بسرعة حتى ينتهي تأثير القوة التي رشقتها ، وحينئذ تأخذ بالهبوط متأثرة بالقوة الجاذبة العامة حتى تصل الى الارض مقرها الاساسي(٨٩) .

وكما أن قوة عظمى للجذب في الارض ، عامة ، في كل جسم من الاجسام المادية المنفصلة عنها شيء هذه القوة ، فهبوط الحجرة الملقاة من فوق ، ليس بتأثير الانعام فحسب ، بل بتأثير القوة الطبيعية الكامنة فيها والحاكمة عليها ضرورة بالهبوط من جهة ، وبتأثير القوة العامة الكامنة في الارض من جهة ثانية(٩٠) . وبواسطة هذه القوة العامة نفسها تموت حركات الاجرام في طول الجو وعرضه منها دائرية ومنها مستقيمة(٩١) ، والحركة الدائرية سابقة لجميع الحركات المتأتية من هذه القوة العامة(٩٢) ، ولا يمكن أن تجتمع الحركات في جسم واحد بآن واحد مطلقاً(٩٣) .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

ولو أردنا مقابلة هذه النظرية العلمية التي قال بها القدماء بنظريتنا العامة في هذا العصر ، لا تجدها بعيدة عنها كثيراً ، ويتوقف الفرق بينهما على نقطة واحدة ولكنها هامة ، وهي أن العلماء القدماء كانوا يعتقدون أن الحجرة الهابطة ذاتها فيها قوة الهبوط ، ولولا هذه القوة لما استطاعت الهبوط الى الارض ؛ بينما نعتقد اليوم أن سبب هبوطها ليست القوة الكامنة فيها للهبوط ، بل القوة الجاذبة العامة في الارض ، هذه القوة التي تسبب جذب جميع الاجسام ، وهذه القوة وان قال بها القدماء الا انهم اهتموا

(٨٩) فيه الفصل ١٠ النظرية ١ .
(٩٠) فيه الباب ٥ الفصل ١ النظرية ٢ .
(٩١) فيه الفصل ٨ النظرية ١ .
(٩٢) فيه النظرية ٢ .
(٩٣) فيه النظرية ٣ .

بالناحية الاولى أكثر ، أي بسقوط الجسم الى أسفل بقوة الهبوط الكائنة فيه نفسه ويفرد العلامة ابن العبري بحثا خاصا بهذه القوة نستفيد منه المعلومات التالية :

في كل جسم قوة الانجذاب أو (الميل) والدليل على ذلك ، ان الزق المملوء هواء ، لا يستقر تحت الماء الا بقوة قسرية قاهرة ، ولو زالت هذه القوة نراه يعوم حالا وذلك بقوة الهواء الكامن فيه والذي يطلب الارتفاع بالقوة الطبيعية التي فيه ، وكذلك الحجرة اذا رشقت في الفضاء نراها تهبط الى أسفل وذلك بقوة الانجذاب الكامنة فيه(٩٤) . وهذا الانجذاب أما طبيعي كسقوط هذه الحجرة أو قسري كصعودها في الفضاء(٩٥) ولا يمكن أن يكون انجذابان طبيعي وقسري معاً في جسم واحد الى جهتين مختلفتين ويمكن اجتماعهما في جسم واحد الى جهة واحدة فقط ، كرشق الحجرة من أعلى الى أسفل ، وفي هذه الحالة تتحد القوتان القسرية والطبيعية في حجرة واحدة الى جهة واحدة(٩٦) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاجسام كلها حاوية هذه القوة ، وبها تعمل أعمالها الطبيعية بحسب الظروف التي وضعت لها ، وقد تصور العلامة ابن العبري جسمين أحدهما مجرد من قوة الانجذاب ، والثاني مشحون بها ، وعمل مقارنة بينهما ليظهر عمل هذه القوة في انجذاب الاجسام الى محور الجاذبية العامة فقال : يستطيع الجسم الخالي من قوة الانجذاب أن يتحرك نحو الهدف بقوة قسرية مسافة ما معينة وذلك جزءاً واحداً بالمئة من الساعة ، بينما اذا وضع عوضه جسم آخر مفعم بهذه القوة ، وتقطع عنه القوة القسرية (التي

---

(٩٤) السماع الطبيعي الباب ٥ الفصل ١ النظرية ١ .
(٩٥) فيه النظرية الثانية .
(٩٦) المصدر السابق النظرية ٤ .

كانت تحرك الجسم الاول) فنجد أن زمن حركته تفوق زمن حركة الجسم الخالي من القوة الانجذابية[٩٧] . وهكذا يمضي في شرح هذه القوة الانجذابية الكامنة في جميع الاجسام المادية حتى يشبعها درساً وتحقيقاً بحسب نظام بحثه .

أما الجاذبية الكونية العامة ، والتي بها ترتبط الافلاك والاجرام السماوية ، فهي مقررة عند هؤلاء العلماء ، فيذكر مؤلف «علة كل العلل» في القرن العاشر ان هذه الاجرام مرتبطة بنظام واحد دقيق ، وبواسطته تدور هذه الاجرام حول بعضها بعض دورة سريعة هائلة ويشبه دورانها وعدم تفككها باناء ماء يعلق بسلك ويدار دورة سريعة فلا تهرق قطرة واحدة من الماء ، كذلك سرعة دوران هذه الافلاك تحفظ اتزانها في الدوران الامر الذي تحافظ على دقة وقوة الجاذبية التي بها ترتبط هذه الاجرام بعضها في بعض[٩٨] .

ويتحدث عن هذه الجاذبية فيقول : من التأمل بالتضاد والتبدل اللذين في طبيعة الافلاك العجيبة ، تأكدنا أن خاصيتين أو (ذاتيين) تكمنان فيها كما رتبها الخالق الحكيم هاتان الخاصيتان ترتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا لا ينفصم . وبواسطة هذا الارتباط ترتبط الافلاك كلها بعضها ببعض ، وتدور كلها بنظام دقيق ، ولا يستقر هذا النظام في جزء واحد من الفلك ولكنه منتشر بين جميع اجرامه بناموس طبيعي دقيق خفي ، ويعرف هذا الناموس بأنه نظام ثابت لا يتبدل ، وقد أخذنا معرفة هذا الناموس من التجارب الكثيرة التي في هذا الكون[٩٩] .

---

(٩٧) فيه الفصل ٢ النظرية ١ .
(٩٨) علة كل العلل المقالة ٥ الباب ٢ .
(٩٩) المصدر السابق المقالة ٥ الباب ٣ .

واذا عدنا الى التأمل بسبب الارتباط الوثيق بين الاجـرام الفلكيـة طبقاً لشرح هذا العالم ، نجد انه ناتج عن (الخاصيتين) التي تصل بينها ، وهاتان الخاصيتان هما القوتان المتضادتان اللتان تربطان دقائق هذا الكون بنظام عجيب ، وهما ، القوة الجاذبة والقوة الدافعة في كل جرم من اجرام هذا الفلك الواسع ، وهما السببان الرئيسيان في تسيير هذا النظام الكوني العجيب الذي أبدعه الخالق الحكيم جلّت قدرته •

(٢)

السرعـة والحركة

السرعة والحركة متلازمتان فلا سرعة بدون حركة ، ولا حـركة بدون سرعة وان كانت بطيئة في بعض الاحيان ، لذلك يدرسهما العالـم السرياني كشيئين غير منفصلين ، فهناك اذن حركة سريعـة ، وحـركـة بطيئـة •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحركة السريعة ، هي أن يقطع الجسم المتحرك مسافة طويلة في وقت معين ، أو مسافة معينة في وقت قصير ، والاسرع من ذلك ان يقطع مسافة طويلة في وقت قصير ، والحركـة البطيئـة هي أن يقطع الجسـم المتحرك مسافة قصيرة في وقت معين ، أو مسافـة معينـة في وقت طويل ، والاكثر بطئا من ذلك أن يقطع الجسم مسافة قصيرة في وقت طويل[١٠٠] •

وأسباب السرعة والبطء تعـدد الى مذهـلات الجسـم الطبيعيـة ، والمؤثرات الخارجية الطارئة عليه[١٠١] •

والحركة ، هي انتقال الجسم من حالة الى حالة ، كأن ينتقل من القوة

---

(١٠٠) السماع الطبيعي • الباب الثالث • الفصل ٦ النظرية ١ •
(١٠١) فيه النظرية ٥ •

الى الفعل[١٠٢] ، وهي كمال للجسم ، لان بدونها يبقى الجسم في حيز (القوة) وبما ان الحالة الجديدة أي (الفعل) هي خير للجسم ، والخير كمال أول ، فالحركة اذن كمال أول تنقل هذا الجسم من اللاوجود الفعلي الى الوجود الفعلي[١٠٣] .

ويعود العالم السرياني فيحلل كيفية وجود الكمال الاول ، والكمال الثاني من الحركة نفسها ، فانها تكون تارة كمالا أول ، وطورا كمالا ثانياً ، ولا يحوز الجسم وجوده الحقيقي الا اذا حاز الكمالين بصورة تدريجية ، وهو يقرر ان الجسم لا يخرج من القوة الى الفعل بواسطة الحركة دفعة واحدة ، بل تدريجيا ، والكمال الاول هو خروج بعض أجزائه الى الفعل والكمال الثاني ، يتم عندما يخرج الكائن بكليته الى الفعل الحقيقي وتنتهي عنده الحركة[١٠٤] .

وكل متحرك يجب أن يكون له محرك ، والا لظل في حركة دائمة بدون هدف معين . وبالتالي يكرر الكائن علة لذاته ، وهذا محال ، والبرهان على ذلك ، لو تحرك الجسم من ذاته لتطلب . أما مكانا خاصة للحركة ، أو لم يتطلب ، وكلا الافتراضان باطلان ، الاول باطل ، لانه لو كان كذلك لتوقف عن الحركة عند حد ذلك المكان ، ولو توقف اذن ، لا يتحرك من ذاته واذا لم يتطلب مكانا خاصا ، لكانت حركة بدون هدى ، وهذا أيضا محلي ، فللجسم المتحرك اذن ، محرك خارج عنه[١٠٥] .

ولا يعتقد العالم السرياني ان كائناً طبيعياً هو سبب الحركة ، ولو كان

---

(١٠٢) فيه الفصل ١ النظرية ١ .
(١٠٣) فيه النظرية ٢ .
(١٠٤) فيه النظرية ٥ .
(١٠٥) فيه الفصل ٢ النظريتان ١ و ٢ .

كذلك لوجب أن يتحرك كل جسم • ويعلل عقيدته هذه بثبوت الاجسام الطبيعية ، ويقول ، لو كان الجسم الطبيعي اللامتحرك سببا للحركة لما رأينا شيئاً في الكون يتحرك لثبوت السبب ، ويستنتج من ذلك ان كائناً آخر يجب أن يكون سببا أساسيا لجميع المتحركات في الكون ، وهذا الكائن يجب أن يكون بعيداً عن الطبيعة كلها ، وهو « القوة » ويستعرض الحركة الارادية الصادرة من الكائنات الحية ويقول ان النفس وحدها كافية أيضا أن تكون سببا للحركة ويجب أن يكون هناك سبب آخر[١٠٦] وهو « أغراض النفس وأهدافها » •

وللحركة أنواع كثيرة منها :

١ ـ الحركة المكانية : كحركة الجسم من مكان الى آخر •

٢ ـ وضعية : وهي تبدل أجزاء المتحرك كحركة الكون اللامكانية عامة •

٣ ـ الحركة الكمية : وهي الزيادة والنقصان اللذان يطرآن على الجسم المتحرك •

٤ ـ الحركة الكيفية : كانتقال الجسم من لون الى لون آخر •

والحركات الثلاث الاولى هي حركات مكانية حقيقية • أما الحركة الاخيرة فيمكن أن تكون أحيانا عقلية فقط ، كتبدل الارادة ، ونسيان العلم أو بعضه •

والحركة اما أن تكون « قسرية » وهي أن يحرك الجسم محرك خارجي أو « طبيعية » كأن تحرك الجسم (قوة) داخلية فيه ، وهذا اذا تحرك الجسم الى ناحية خاصة واحدة تدعى حركة طبيعية ، وسببه قوة

(١٠٦) السماع الطبيعي الباب الثالث الفصل ٢ النظريات ٣ و٤ و٥ •

طبيعية ، واذا تحرك الى جهات كثيرة بحسب الحاجة تدعى حركة «ارادية» وسببها النفس العاقلة ، وهو خاص بالانسان وحده[١٠٧] .

وللحركة ثلاثة اتجاهات : الاول ، مستقيم كأن يتحرك الجسم على خط مستقيم من نقطة معينة الى نقطة معينة اخرى ، والثاني مستدير . وهو الدوران . كدوران الافلاك حول بعضهـــا بعض . والثالث : يتألف من كليهما كحركة العجلة السائرة[١٠٨] .

وهناك شروح اخرى عن الحركة في مؤلفي العلامـة ابن العبـري « زبدة الحكم ـ السماع الطبيعي » و « تجارة الفوائد » .

نكتفي بما أوردنا هنا لاطلاع القارىء على نوعية الفكرة السريانية في هذا الموضوع[١٠٩] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١٠٧) تجارة الفوائد القسم الثاني الباب الاول موضوع الحركة والسماع الطبيعي الباب ٣ الفصل التاسع النظرية ١ .

(١٠٨) السماع الطبيعي الباب الثالث الفصل ٨ النظرية ١ .

(١٠٩) الى هنا ينتهي ما كتبه المثلث الرحمات المطران بولس بهنام تاركا تتمة البحث فى المواضيع التالية : الهواء وضغطه ، صفات المادة ، حالات الماء الثلاث ، الحرارة .. اذ لم يمهله المنون لتكميل ما بداه . علما انه قد باشر بكتابة هذا البحث بتاريخ ٢٧ مايس ١٩٥٥ كما ورد في مقدمة البحث الذي بحوزتنا .

قواعد اللغة السريانية عبر العصور

الاب الدكتور يوسف حبّي

تمهيـــد

نود التركيز في هذا البحث على الكتب التي وضعها المؤلفون في قواعد اللغة السريانية من نحو وصرف ، منذ أقدم العصور وحتى يومنا هـذا ، بشتى اللغات واللهجات ، متحاشين على قدر الامكان كل ما هو متداخل والموضوع دون أن يمسه في الصميم ، كالمصنفات في اللغة السريـانيـة بالعموم ، وشروحات الالفاظ أو المعاجم • كما اننا نهمـل مـا يمت الى اللغة الآرامية القديمة بصلة ، مكتفين بملحـق مقتضب عن ذلك • فـلا نتناول الا قواعد اللغة السريانية منذ عصور ما بعد الميلاد ، لانها المرحلـة المتطورة من اللغة ، وهو ما يهمنا بالاكثر •

وفي النية أن نستكمل بحثنا هذا ببحوث اخرى لاحقة نتناول فيهـا الجوانب المتبقية في اللغة السريانيـة وتاريخهـا ، والخط وأشـكالـه ، واللهجات وأنواعها ، والادب ومشاهيره ، الى ما في ذلك من موضوعات نستوفي بها القصد ، مقدمين بذلك بيبلوغرافيا كاملة في اللغة السريانيـة وتراثها •

ولما كان المجال واسعا جدا ، ويتخطى قابلية فرد واحد ، وكثيرا ما لا يتاح لنا الاطلاع على المصادر والمراجع التي لا منـاص لنا بدونهـا لعمل مثل هذا ، بسبب شحتها أو انعدامها كليا في مكتباتنـا العـراقيـة ، فليساعدنا ذوو الاختصاص والاطلاع بمـا يعرفونه من كتب أو بحـوث تستكمل بها هذه البحوث التي نريدها اسسا وأدوات لكل عمل علمي في

هذه الميادين • وسيبدو لنا جليا كم خطرة هي المجازفة في الاقدام على سبر غور كذا بحوث دون الالمام باللغات الاجنبية أيضا ، فان معظم المصادر هي بهذه اللغات ، والقسم الاكبر منها لا يزال غير معرب ، الا أن الامل كبير في أن تنشيط هذه الدراسات ويستوفي تراثنا الزاخر بعض حقه •

لا غرو ان التطرق الى موضوعات قواعد أية لغة كانت ، يبدأ بميلاد اللغة عينها وترعرعها • كذا الحال بالنسبة للغة الآرامية قديما ، السريانية فيما بعد • ومعروف أيضا أن اللغويين والنحويين الاوائل هم اناس « عمليون » أكثر منهم « نظريين » ، أعني أنهم يصيغون قواعد لغتهم أو يصنفون الكلام الى أقسام عامة بيّنة المعالم ، أو يحاولون ايجاد تعاليل لظاهرات اللغة المختلفة ، ويكتبون وفقا لما استدلوا عليه أو استنبطوه • وقد يلقنون تلاميذهم تلك المبادىء الاولية ، الا أنهم لا يسجلون معلوماتم واكتشافاتهم في بحث أو كتاب • ثم يأتي آخرون فيضعون المقالات والبحوث والكتب الاولى في قواعد اللغة • يليهم من يواصل العمل ويدفع به الى الامام •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس لنا أن نتناول مسيرة النحويين الاوائل الا بنوع عابر ، مكتفين بتسجيل آثارهم ، مطبوعة كانت أم مخطوطة •

(١) المسيرة الاولى :

نضع ا لمسيرة الاولى كلها في تاريخ النحو السرياني تحت هذا الرقم • ونعني بالمسيرة الاولى التطور الذي حصل بالنسبة الى اللغة وخطوطها • أما على ذكر الحروف والحركات وقواعد الصرف والنحو فسنأتي عليه في سياق البحث بأكمله •

من المسلم به اليوم أن الناس الاولين استخدموا الاشكال والاشارات الصورية والرمزية للتعبير عن الكلام ، فكانوا ينقشون أو

يصورون ذلك على الحجر والطين • غير أن هذه المحاولات البدائية كانت معقدة وصعبة ، ولم تكن تعبر عن الوحدة الصوتية التي هي في الاساس من كل لغة ، حتى اتيح للساميين أن يستنبطوا الالفباء ، فتطور علم اللغـة من الكتابة المقطعية ، كما في الهيروغليفية أو المسمارية ، الى الـكتـابـة الصورية ـ الرمزية للحروف لصامتة خاصة ، وهذه الحروف عدت نواة للابجدية • ثم كانت مرحلة الابجدية التي اعتبرت بحق معجزة البشرية الكبرى •

وكان الساميون يستعملون حروف الهجاء الفينيقية في بداية الامر • ويختلف الباحثون في تحديد أصل هذه الحروف ، فمنهم من يرجعهـا الى الخط المسماري ، وغيرهم الى الخط الهيراطيقي أو الديمواطيقي أو الهيروغليفي ، وآخرون الى الكريتي أو السينائي أو الجبيلي أو الكنعاني • غير انه من الواضح أن الكتابة السامية انقسمت الى شكلين متميزين ، لهمـا عدة فروع ، وهما : كتابة سامية شمالية ، وكتابة سامية جنوبية ، وذلك في نهاية الالف الثاني ومطلع الالف الاول قبل الميلاد • وبينما تفرع عن الخط السامي الجنوبي الخط السبئي والحبشي وغيرهمـا ، تفـرع عن الخط السامي الشمالي الخط الآرامي والعربي والعبري وغيرها •

لا نستطيع أن نسهب في هذه القضية ، كما ليس بوسعنا أن نحدد دور الآراميين بالضبط في دفع هذه المسيرة • لذا نحيل القارىء الى كتاب دير ينجر والبيبلوغرافيا الواسعة التي فيه •

ثم كان أن طور الناطقون بالآرامية خطهم فأضحى مربع الشكل ، حتى تشعبت الخطوط الآرامية وفقا للامكنة والازمنة • سيما وان الارامية كانت قد غدت لغة عامة لرقعة واسعة من موطن الساميين ، لا بل تعدت هذه الحدود الى البلدان والممالك المتاخمة • ولنا بقايا خطوط آرامية قديمـة وكتابات تعود حتى القرن الثالث قبل الميلاد •

وبرزت الكتابة الرهاوية والباليرية بشكل واضح • ولنا بقايا منها تعود الى القرن الثاني والثالث الميلادي •

وظهرت كذلك الكتابة التي سميت في فترة لاحقة بالاسطرنجيلية ܣܛܪܢܓܠܝܐ وهي في الاصل حروف منفصلة هندسية الشكل وذات طابع زخرفي ، لذا دعي أيضا بالخط الثقيل والمفتوح •

وكانت المدارس السريانية قد انتشرت وازدهرت ، وأخذ استعمال الاتصال بين الحروف يعم في أوساط الرها ونصيبين وغيرهما من الاماكن ، فكان الخط الرهاوي ، وهو خط جميل واضح ، متصل الحروف عادة ، لا بل مكون من حرف كبير وحرف صغير ، لم تكن تنقصه سوى مقاييس أتم وأدق ، الامر الذي سيتبلور في القرنين السادس والسابع •

ومنذ هذا العهد فما بعده نلقى خطوط لهجات كبرى ثلاث للسريانية : خط اللهجة الشرقية ، وهي لهجة سكان العراق من منطقة آشور وحتى الجنوب وبلاد فارس • خط اللهجة الغربية ، وهي لهجة سكان أعالي ما بين النهرين وسوريا • وخط لهجة سكان فلسطين •

يقول ابن العبري ، في كتاب النحو الكبير ، ان اهتمام السريان الغربيين كان أكبر من اهتمام الشرقيين باصول اللغة وقواعدها وخطوطها• والحق ان الناطقين بالسريانية من الشرقيين كانوا أشد حفاظا على اصالة الخطوط القديمة ، كما انهم انصرفوا خاصة الى التأليف في شتى مناحي المعرفة والعلوم ، بينما ركز الغربيون على اللغة وقواعدها وخطوطها • فنجد امالة الخط السرياني جهة اليسار منذ القرن السادس ، كما ظهرت مضاعفة كتابة بعض الحروف ، كاللام ، منذ القرن السابع • وكان ان عرف القلم السرياني انحطاطا ملحوظا في القرن التاسع ، ولكنه ما لبث أن استعاد جماله في القرن العاشر بفضل الرجوع الى المخطوطات القديمة ،

لا سيما في استنساخ الكتاب المقدس والانجيل خاصة ، فبرزت تسمية الخط بالاسطرنجيلي ، بينما تطور الخط الرهاوي الى خط بسيط هو الخط الغربي المعروف ܣܛܐܠܐ ܕܐܬܘܪܝܐ .

تأثر علماء اللغة السريانية ونحويوها باليونان أولا ، وذلك منذ أن وقفوا على كتاب النحو اليوناني (الغرماطيقي) لديونيسيوس القورنثي فنقلوه الى السريانية ، ثم تأثروا بالنحويين العرب الاوائل . الا انه لا ينبغي المبالغة في ذلك ، لان ثمة محاولات لمؤلفين سريان تسبق هذه المحاولات . وكانت لهم بحوث ودراسات قيمة أرست لغتهم السريانية على اسس راسخة وجلية ، وضبطت قواعدها ، فسلمت من الفساد والتشويه ، كما بعثت فيها نسمة تجددية عملت على تطور اللغة وتقدمها عبر العصور ، الى جانب التعقيد والتصنع اللذين كان النحويون يسيانهما أيضا .

Bibl: بيبلوغرافيا

ما عدا كتب القواعد التي سيأتي ذكرها تباعا ، وفيها مقدمات شيقة عن الموضوع ، انظر :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

David DIRINGER, **Writing,** London 1965; J.G. FEVRIER, **Histoire de l' Ecriture, Paris** 1959. G.R. DRIVER, **Semitic Writing,** London 1954; J. NAVEH, **The Developement of the Aramaic Script,** Jerusalem 1966; J. FRIED**RICH, Geschichte der Schrift, Heidelberg** 1966; **Corpus Inscriptionum Semiticarum,** Paris 1889-93; **Répertoire d'épigraphie sémitique,** Paris 1900-5; F. ROSENTHAL, **An Aramaic Handbook,** Wiesbaden 1967; H. POGNON, **Inscriptions sémitiques de la Syrie, de la Mésopotamie et de la région de Mossoul,** Pairs 1907; J. B. SEGAL, **Some Syriac Inscriptions of the 2nd-3rd Century A. D.,** BSOA 16 (1954); E. JENNI, **Die altsyrischen Inschriften,** 1-3. Jah., Theol. Zeit. 21 (1965), 371-85; J. PIRENNE, **Aux origines de la graphie syriaque,** Syria 40 (1963), 101-37. E. RENAN, **Histoire générale des langues sémitiques,** 4e éd., Paris 1868, J.-B. CHABOT, **Les langues et les littératures araméannes,**

Paris 1910 F. VATTIONI, **Preliminari alle iscrizioni aramaiche,** Augustinianum IX (1969), 305-61;

تيودور نولدكه ، اللغات السامية ، ت رمضان عبدالتواب ، ط٢ (شتراسبورج ١٨٩٩) ، القاهرة ١٩٦٣ ؛ اسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، ت ، القاهرة ١٩٣٠ : سبتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ت يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٥٧ : البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم ، كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية ، ط ٢ ، حلب ١٩٥٦ والخ •

أولا ـ المؤلفون الشرقيون

(٢) افراهاط :

يذكر عبد يشوع الصوباوي في جدوله الشهير[1] بأن افراهاط الحكيم ، المتوفى بعد سنة ٣٤٥م ، كتب « قصائد في الابجدية » (ص ٥٤ ـ ٥٥) • ويشرح ابراهيم الحاقلاني ، ناشر جدول عبد يشوع ، ذلك بقوله (ص ١٧٥ فما بعدها) انهما النقطتان اللتان توضعان أما فوق الحرف أو تحته لان الاولين ـ كما يقول ايليا برشينايا في مقدمة قواعده الذي سيأتي ذكره في حينه ـ كانوا يقرأون بحكم العادة والتقليد نقلا عمن سبقهم ، فلم يحتاجوا الى التحريك ، حتى استنبط علماء اللغة النقط والحركات •

وقد دبج هارتفيج بحثا في النحو لدى افراهاط ، يغفل عن ذكره عادة المؤلفون ، وهو :

E. HARTWIG, **Untersuchung zur Syntax des Afraates, Greiswald-Leipzig 1893.**

---

(1) Catalog. Librorum Chaldeorum ... , Hebediesu Metrop. Sob., Abrahamo Ecchelensi..., Romae 1653.

وسيأتي ذكر هذا الجدول باسم عبد يشوع أو عبد يشوع ـ الحاقلاني •

للمزيد من معرفة شخصية وآثار هؤلاء المؤلفين نحيل القارىء الى كتب « الادب السرياني » العديدة بدءاً من السمعاني •

(٣) افرام :

ويذكر عبد يشوع في جدوله أيضا (ص ٤٤ ـ ٤٥) بأن مار افرام ، المتوفى سنة ٣٧٣ ، وضع مصنفات في الابجدية ܡܡܪܐ ܕܡܪ ܐܦܪܝܡ ܩܕܫܐ • ويشرح الحاقلاني ذلك بقوله ان افرام كان أول من وضع النقط (ص ١٨٥) • ولا يزال عمل افرام هذا شبه منسي ، ما عدا محاولة جيجر القديمة :

Abraham GEIGER, **Alphabetische und akrostichontiche Leider bei Ephräm,** ZDMG 21 (Leipzig 1867), 469-76.

(٤) احودمه

يقول يوحنا برزوعبي في كتاب قواعده ، الذي سيأتي ذكره ، ان مار احودمه مطران تكريت ، المتوفى سنة ٥٧٥ ، الف كتابا في النحو السرياني على اصول النحو اليوناني (برصوم ، اللؤلؤ ، ٤٢) •

(٥) يوسف الاهوازي :

كان يوسف الاهوازي مقرئا في مدرسة نصيبين • توفي سنة ٥٨٠ • والف مقالة في النحو ، على حد قول برحذبشبا عربايا (ايشو عدناح مطران البصرة ، الديورة ، عدد ١٢٦) • وثمة مخطوطتان من مقالته هذه • الاولى في المكتبة البطريركية الكلدانية تحت رقم ٣٥ وهي من القرن ١٦ ، والثانية في برلين رقم ١٨٩ (ساخا و ٢٢٦) من سنة ١٨٨٢ •

ونقل يوسف كتاب « تكني » لديونيسيوس التراقي في النحو اليوناني وانتفع به في وضع مقالته • كما وضع نظاما للتفريق بين الكلمات

المتفقة في الهجاء والمختلفة في اللفظ عن طريق النقط ، فاستنبط النقط الكبيرة ܦ ܬ ܟ (١)

(٦) عنانيشوع :

أما عنانيشوع المتوفى بعد سنة ٦٦٠ فقد وضع مصنفا في اختلاف القراءة وتمييزها ܟܬܒܐ ܕܦܫܩܢܐ ܘܦܠܓܢܐ (عبد يشوع ٦٤٥ ـ ٦٥) • وقد نشره غوتهيل •

كما لعنانيشوع معجم لشرح الالفاظ الغامضة نشره هوفمان •

وعنانيشوع هو الساعد الايمن لايشوعياب الحديابي ، المتوفى سنة ٦٥٩ ، في ترتيب الطقس الشرقي • يقول المرجي عنه أنه « نقل الينا وزودنا بتصحيح الاسماء والكلم الغامضة لكتب الاباء » (كتاب الرؤساء ، ت الاب البير أبونا ، الموصل ١٩٦٦ ، ٧٤ ـ ٧٦ • وانظر ص ٨١–٨٢) •

وثمة مخطوطات عديدة من مصنفاته أهمها : الفاتيكانية السريانية Vat. Syr. ٤١٩ لسنة ١٥٧٢/١ ، سعرد ١٠٧ و ١٠٨ من القرنين ١٦ و ١٧ • وقد لقينا ضمن مخطوطات دير السيدة (القوش) مخطوطة

(١) لا صحة لقول ماري بن سليمان (المجدل ، ٤٥) انه صار رئيسا أو مفسرا في مدرسة نصيبين • ولا صحة لقول ابن العبري (التاريخ الكنسي ٢ ٧٧) انه استبدل القراءة الرهاوية بالشرقية ، اذ كان النساطرة حتى يومذاك يلفظون كالغربيين • انظر :

E. O. MERX, Historia artis grammaticae apud Syros, Leipzig 1889; 28. A. BAUMSTARK. **Geschichte der Syrichen Literatur,** Bonn 1922, 116-7;

مراد كامل ـ محمد حمدي البكري ، تاريخ الادب السرياني ، القاهرة ١٩٤٩، ١٥٤ ، الاب البير ابونا ، ادب اللغة الآرامية ، بيروت ١٩٧٠ ، ١٥٦ ـ ١٥٨، كما ينبغي تمييز هذا الكاتب عن يوسف حزايا أو الرائي •

يذكرها فوستي[1] تحت رقم ٢٩٠ ، ليست بالقديمة ولكنها مستهلكة ، يحمل القسم الاول عنوان «كتاب الاسماء المتشابهة تأليف مارعنانيشوع مع اضافات حنين (بن اسحق) :

ܟܬܒ ܫܡܗ̈ ܕܡܬܕܡܝܢ ܠܗܕܕ̈ ܕܐܬܠܦ ܡܪ ܥܢܢ̈ܝܫܘܥ ܥܡ ܬܘܣ̈ܦ̈ܬ ܚܢܝܢ

وكذلك في المخطوطة رقم ٢٢٥ (فوستي ٢٩٢) والتي تحتضن مجموعة مقالات ، ذيل هو المصنف المذكور آنفا ، الا ان الناسخ يضع اسم عبد يشوع بدلا من عنانشوع .

R. GOTTHEIL, **A treatise of Syriac Grammar,** by Marj Elia of Sobha, Leipzig 1886; G. HOFFMANN, Opusc. Nestor., 2,49.

(٧) يعقوب الرهاوي

من المع الكتاب الغربيين في القرن الثامن يعقوب الرهاوي المتوفى سنة ٧٠٨ ، وهو من أكابر الذين ألفوا في النحو وطوروا قواعد اللغة السريانية .

من مؤلفاته « كتاب نحو لغة ما بين النهرين » ، لم يصلنا منه سوى شذرات ، نشرها رايت . وفيها ينوه الرهاوي بشوائب الخط السرياني لاهتمامه بالحروف الصحيحة دون حروف العلة .

وله رسائل عديدة في اللغة والنحو ، منها رسالته الى كوركيس السروجي في الاملاء نشرها فيليبس ومارتن . ورسالة اخرى الى بولس الانطاكي في الالفباء واصلاح الكتابة ، وهي جواب على سؤال هذا الاخير ، وفيها يحاول أن يكمل ما ينقص اللغة السريانية ، بعد أن أحجم الاسلاف عن ذلك بالرغم من توقفهم لديها . ولسد الثغرات يقترح يعقوب اضافة حروف جديدة هي حركات يستمدها من اليونان ، مقدما سبع حالات

---

(١) انظر بومشتارك ، ٢٠٢ . وكذلك .

J. VOSTE, **Catalogue de la Bibliothèque Syro-Chaldéenne du Couvent de N. - D. des Semences près d'Alqos,** Rome-Paris 1929.

لحروف العلة ، بينما يستعمل الالف الثامنة • ويميز في المقطع الكلامي أنواعا ثلاثة: البسيط والمركب والمضاعف (ܦܫܝܛ - ܡܚܡܪ - ܡܕܒܩ)

ثمة مخطوطة برلين ١٧٤ (ساخاو ٧٠) لسنة ١٨٢٧ في رسالة الرهاوي الى كوركيس • انظر :

G. PHILLIPS, **A letter of Mar Jacob bishop of Edessa on Syriac orthographia,** Paris 1869; P. MARTIN, **Jacobi Edesseni epistola ad Georgium Sarugenum de orthographie,** Paris 1869.

أما كتابه ܡܫܬܐ ܡܚܡܪ ܢܗܪܝܐ فلنا منه مخطوطات برلين ٩٩٦ و ٩٩٧ • انظر :

W. WRIGHT, **Fragments of the turas mamlla nahraya or syriac grammar of Jacob of Edessa,** 1871, (50 Exempl. for private circulation); Merx, 74-84; P. MARTIN, Jacques d'Edesse et les voyelles syriennes, J. Asiat. 1869, 456s.; ID., **La Massore che les Syriens,** J Asiat. 1875, 132 s., E. J. REVELL, **The Grammar of Jacob of Edessa and the other Near Estern grammatical traditions.** Parole de L'Orient 3 (1972), 365-74;

برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ٣٦٣ – ٣٨٢

وهكذا فان قواعد اللغة السريانية كانت قد قطعت مع يعقوب الرهاوي شوطا بعيدا من الدقة والتطور •

(٨) تيوفيلوس

أضاف تيوفيلوس الرهاوي ، المتوفى سنة ٧٨٥ ، حركات اخرى مستمدة من الحروف اليونانية ذات الاصل الارامي • وكان تيوفيلوس ضليعا باللغات الثلاث السريانية والعربية واليونانية ، كما انه أضحى رئيس منجمي الخليفة المهدي (عبد يشوع – الحاقلاني ، ١٧٩ – ١٨٠ و ١٨٦ ؛ بومشتارك ٣٤١ – ٣٤٤) •

(٩) يوحنا برفنكايي

يقول عبد يشوع أن يوحنا برفنكابي ، الذي نجهل الزمن الذي عاش

فيه ولعله القرن الثامن ، وضع مجلدا في الالفاظ الرئيسة ܬܓ (ص ٨٨ – ٨٩)

ويظهر بأن هذا الكتاب كان محفوظا في مخطوطة قوجانس (المكتبة البطريركية النسطورية) ، على حد قول الانبا شموئيل جميل في مخطوطة رقم ٣١٣ محفوظة في دير السيدة ، ص ١٣٤ – ١٣٥ • وقد كانت مخطوطة قوجانس مكتوبة سنة ١٥٧٣ يونانية / ١٢٦٣م ، استنسخ البطريرك يوسف اودو نسخة عنها لمكتبة البطريركية الكلدانية بواسطة الشماس يونان التخومي ، وعنها استنسخت النسخة المحفوظة في دير السيدة • الا أن النسختين المذكورتين غير كاملتين (ابونا ، أدب اللغة الآرامية ، ٣٠٨ ، هامش ٦) •

(١٠) حنين بن اسحق

أكمل حنين بن اسحق ، المتوفى عام ٨٧٣ ، ما بدا به عنانيشوع من شرح للكلمات المتشابهة واعرابها (انظر رقم ٦) •

ويشهد له عبد يشوع (ص ٧٢ – ٧٣) بأنه الف كتابا في القواعد (الغراماطيقي) • غير اننا لا نلقى له أثرا •

كما أن حنين هو واضع اول معجم في اللغة السريانية (السمعاني ، المكتبة الشرقية ٣،١٦٤) •

(١١) اندراوس

يذكر عبد يشوع (ص ٩٦ – ٩٧) ان اندراوس وضع كتابا في علة التنقيط ، الا اننا لا نعرف شيئا عن المؤلف وكتابه •

(١٢) يوحنا الاثاربي

يظن انه الف كتابا في النحو ذكر شيئا منه يوحنان بن زوعبي • وقد كان ناسكا عموديا في دير الاثارب من ربوع حلب ، أدرك يعقوب الرهاوي واستفاد منه ، وتوفي سنة ٧٣٨ (اللؤلؤ المنثور ، ٣٩٣) •

(١٣) ايليا برشينايا :

ايليا برشينايا هو أحد الوجود البارزة في العلم والادب والتاريخ في القرن الحادي عشر ، لا بل في تاريخ الادب السرياني عامة • درس في دير مار شمعون بالقرب من سنا ثم في دير مار ميخائيل حتى أصبح اسقفا على نوهدرا ثم مطرانا على نصيبين وتوفي سنة ١٠٤٦ •

يقول عبد يشوع (ص ١١٤ ـ ١١٥) انه وضع كتاب قواعد (غراماطيقي) • لنا منه عدة مخطوطات أهمها : الفاتيكانية رقم ٤٥٠ وهي من سنة ١٢٧٢/١ ، واخرى تحت رقم ١٩٤ من القرن ١٦ ولكنها منسوخة على مخطوطة تعود الى سنة ١٢٤٧/٦ ، ومخطوطة محفوظة في مطرانية الكلدان في الموصل (تعود الى كنيسة مسكنته ، صنفت سابقا ضمن مخطوطات البطريركية الكلدانية) رقم ٩٠١ (ادي شير ١٠٦) وهي من سنة ١٧٨٥ يونانية / ١٤٧٤ م (وليست من سنة ١٥٦٧/٦ كما يقول بومشتارك ، ٢٨٨ ، هامش ١) ، وبرلين ١٣١٣ لسنة ١٤٨١ والخ • حقق الكتاب غوتهيل ونشره مع ترجمة انكليزية ، وشرحه ميركس • وقد دمج النساخ عادة كتاب برشينايا كمقالة مقدمة لمؤلفه برزوعبي الشهير • انظر :

R.J.H. GOTTHEIL, **A treatise on Syriac Grammar by Marj Elia of Sobh,** 1 ed., Leipzig 1886; 2ed. Berlin 1887. Merx, 112-24.

ولايليا برشينايا « كتاب الترجمان في تعليم لغة السريان » حققه لاغارد ونشره بيتيشر :

P. A. BOETTICHER, **Praetermissorum libri duo e recognitione P. de Lagarde,** Göttingen 1879, 1-89.

(١٤) ايليا الطير هاني

وضع الجاثليق ايليا الاول المعروف بالطيرهاني ، والمتوفى سنة ١٠٤٩ قصائد نحوية (عبد يشوع ،

١١٢ – ١١٣) في ١٨ فصلا • وقد نشره بيتهجن • ولنا مخطوطة منه في برلين رقم ٨٨ لسنة ١٢٥٩ وهي التي اعتمدها بيتهجن في تحقيقه الكتاب وترجمته الى الالمانية • وثمة مخطوطات اخرى أهمها مخطوطة اورمية ٧٣ لسنة ١٥٣٧/٦ ، وفي اورمية كذلك عدة مخطوطات تحت الارقام ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ١٠٤ أكثر متأخرة ، كما في دير السيدة رقم ٢٨٨ ، عدد ٣ (فوستي) •

والطيرهـاني أول من أدخل الاسلوب العربي فيالنحـو السرياني • ويعتمد برزوعبي في كتابه النحو الكبير على ما كتبه الطيرهاني في الحركات •

Friedrich BAETHGEN, **Syrische Grammar des Mar Elias von Tirhan,** Leipzig 1880; Merx, 137-57, 194-200.

(١٥) يوحنان برزوعبي :

من أكابر نحويي السريانية يوحنان برزوعبي • كان راهبا وكاهنا في دير سبريشوع بيت قوقا في منطقة حدياب (اربيل) ، وعاش حتى مطلع القرن ١٣ •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول عنه عبد يشوع (ص ١٢٠ – ١٢١) انه جمع مصنفات نحوية ورتبها وعمل منها مجلدا واحدا •

ليوحنان كتابان في النحو • النحو الكبير وفيه جمع مؤلفات سابقيـه أمثال ايليا برشينايا وايليا الطيرهاني ، لا بل ان المخطوطات تضع كتاب أو مقالة برشينايا في النحو كمقدمة لكتاب برزوعبي بينما تدخل مقـــالات الطيرهاني في متن الكتاب • والنحو الصغير وقد وضعه على البحر السباعي وأراده بحثا موجزا ومدرسيا يسهل على الطلاب حفظـه • اتبع برزوعبي النهج السرياني في كتابيه ، وقد فاق جميع من سبقه في هذا الميدان ، حتى ليستطاع القول انه هو الذي خلق علم النحو عند السريان بالمعنى الصحيح ، بعد أن كان النحو حتى عهده مقتصرا على مقالات وبحـوث في الحروف

والحركات كمحاولات الرهاوي وبرشينايا خاصة • فهو يخصص فصولا في الاسم والضمير والفعل وفعل الاسم والظروف وأشارات الوصل والحركات الكبيرة والصغيرة •

نلقى كتابي برزوعبي مجموعين الى بعضيهما عادة في المخطوطات ، لا بل مسبقين بكتاب ايليا برشينايا • فللاطلاع على المخطوطات انظر رقم ١٣ • وقد نشر الاب مارتن الكتابين وحللهما ميركس ، واستند الناشر الى مخطوطتي الفاتيكان ٤٥٠ واللندنية ٢٥٨٧٦ • انظر :

P. MARTIN ,**Traité sur l'Accentuation chez les Syriens Orientaux**,. Paris 1877; Merx, Baumstark, 310-1.

(١٦) برملكون

يقول عبد يشوع (ص ١٢٠ ـ ١٢١ والحاقلاني ص ١٩٦) ان (يوسف) ايشوعياب برملكون مطران نصيبين ، انتوفى في النصف الاول من القرن ١٣ ، له مسائل نحوية [illegible] وضعها بالعربية ، ما خلا المسالة الكبرى التي بعنوان « شبكة النقط » [illegible] ويذكره منكنا في قواعده بعنوان :

[illegible] • وهو كتاب ضخم • وفيه بحث في النقط المستخدمة كحروف علة لضبط الحروف الصحيحة • والمسألة منظومة على البحر الاثني عشر لمساعدة الطلاب على استظهارها ، وقد سار فيها على نمط ايليا برشينايا • نلقاها عادة في المجاميع التي تضم قواعد برشينايا وبرزوعبي • وقد حللها ميركس ونشر مقتطفات منها (ص ١١١) •

(١٧) برشقاقو :

لسويريوس يعقوب برشقاقو أو ابن شكو ، المتوفى سنة ١٢٤١ ، ست مقالات بعنوان المحاورات (ديالوغ) ، خص الاولى منها بالنحو والمنطق •

درس النحو على برزوعبي في دير بيتقوقا وأكمل دراسته العربية على كمال‌الدين موسى بن يونس الموصلي • وهـو يتتقد برملـكون على مسائله النحوية •

لنا مخطوطة من مقالته ، ضمن كتاب يعقوب الرهاوي ، محفوظة في برلين ٢٠٧ وهي من سنة ١٨٢٦ • انظر : ميركس ، وقد نشره في كتابه « تاريخ فن النحو لدى السريان » ؛ بومشتارك ١–٣١٢ ؛ ابونا ٤٨٨–٤٥٠ ؛ اللؤلؤ المنثور ٥٠١–٥٠٤ • وانظر مخطوطتي دير الشرفة رقم ١١٦ ورقم ١٩٦ •

(١٨) داود بن بولس :

وألف داود بن بولس من بيت ربان ، من القرن ١٣ ، عدة مقالات نحوية نلقاها في مخطوطة برلين ٨٨ لسنة ١٢٥٩–١٢٦٠ ، وهي تدور حول الكلام والنقط • انظر عنها دراسة غوتهيل :

R. GOTTHEIL, Proceeding of the American Oriental Society, 15 (1891), New Haven.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونجد لـه مقالة نحويـة ، في الادوات ، في مخطوطـة دير السيدة ٢٢٥ (فوستي ٢٩٢) ص ٢٥٥ •

(١٩) ابن العبري :

مما لا شك فيه ان أعظم النحويين السريان هو المفريان غريغوريوس أبو الفرج ابن العبري ، المتوفى سنة ١٢٨٦ ، وأحد كبـار آبـاء اللغـة السريانية ومشاهيرها •

استفـاد ابن العبري من مصنفات سـابقيه فألف في ميدان النحـو ثلاثة كتب :

كتاب الاضواءأو اللمع ܟܬܒ ܫܘܪܪ̈ܝ ويسمى أيضا بكتاب القواعد الكبير ، وضعه اجابة الى بعض الطالبين ، وأتمه بدقة وابداع على كلا المذهبين الشرقي والغربي ، وقسمه الى أربعة أبواب : في الاسم والفعل

والحرف والمشترك ، كما يزودنا بالضوابط اللغوية والفوارق المميزة لصيغ الاسماء والافعال • وثمة مخطوطات عديدة منه أهمها : الفاتيكانية ٤٢٢ سنة ١٢٧٧/٦ ، بورجيا ١٣٢ لسنة ١٢٨٤/٣ ، برلين ٣٣٣٥ لسنة ١٣٣٢، وغيرها ، منها أيضا في خزانة بطريركية السريان الارثوذكس ، دير مار بهنام ، دير السيدة والخ • نشره مارتن ونشر القسم الخاص بالحركات فقط فيليبس وحققه ونشره ثانية موبيرغ :

P. MARTIN, Oeuvres Grammaticale d' Aboulfaradj dit Barhebraeus, Paris 1872: I La Grande Grammaire. II. La Grammaire métrique et un traité en vers des mots amibgus: A Moberg, Le **Livre des** Splendeurs, Lund 1922.

كتاب القواعد أو المدخل الى القواعد ܟܬܒܐ ܕܩܠܝܣܐ

وهو منظوم بالوزن السباعي المقفى ، حبكه في بغداد في مدة اسبوعين • وقد ألحقه بمقالة في شرح الالفاظ المبهمة • أهم مخطوطاته : دبلين ١٥٠٤ لسنة ١٢٩٩ ، فلورنسا ٦٢ لسنة ١٣٥٩ ، برلين ٧٢٣ لسنة ١٤٧٨ ، دير مار بهنام ١٤/٥ لسنة ١٤٩٣ و ١٨/٥ لسنة ١٥٩٠ ونسخ اخرى في هذا الدير ، ودير السيدة وخزانة بطريركية السريان الارثوذكس والخ • ونشره مارتن كما ذكرنا •

كتاب الشرر ܟܬܒܐ ܕܫܪܪܐ أشار اليه في نهاية كتابه اللمع ، وهو مفقود •

يمكننا القول أن النحو السرياني وصل مع ابن العبري مرحلة متقدمة جداء وقد عرف النحويون السريان أن يستفيدوا عبر العصور من علوم غيرهم وتراث اللغات الاخرى ، فحذوا حذو اليونان أولا أيام كانت الثقافة الهلينية هي نبراس البشرية ، ثم استفادوا من خبرة النحويين العرب في أبواب هامة كالمبتدأ والخبر والتوكيد والبدل والعطف لكنهم لم يعرفوا ان يستفيدوا

من مهمة التعريف مثلا ، كما يعاب عليهم ، وعلى سائر نحويي العصـور القديمة والمتوسطة ، انهم لم يفكروا في وضع الاصول الضابطة للقواعد لانهم لم يدركوا الاسس المبنية عليها • وسيكون هذا حصيلة عمل المتأخرين من النحويين ، لاسيما من الغربيين والمستشرقين •

(٢٠) عبد يشوع الصوباوي :

لعبد يشوع الصوباوي ، المتوفى سنة ١٣١٨ ، مقالة في معرفة الفصل أو التمييز بين الجمل ، واخرى في الاسماء المتشابهة مع شرح للالفـاظ المبهمة • انظر مخطوطة دير السيدة ٢٢٥ (فوستي ٢٩٢) ص ٢٠٩و٢٥٠ •

(٢١) مجهـول :

في مخطوطة فاتيكانية رقم ٥٧١ تلقى كتابا في الحـروف المتحـركـة والصامتـة ܟܬܒ ܕܡܫܬܘܬܐ ܕܐܬܘܬ ܐܡ ܕܐܬܘܬ يـرد فيـه يرد فيه ذكر ايليا برشينايا ودنحا وتلميذ برنون واحوذمه • مؤلفه مجهول• والمخطوطة كتبها الشماس اسطفـان في أيـام البطريرك يـوسـف اودو (المتوفى سنة ١٨٧٨)[1] •

(٢٢) توما مطران داسان :

في مخطـوطـة فـاتيكانية رقـم ٦١١ كتـاب يقـع في ١٢٠ ص ، ويشتمل على مقـدمـة وفصـول في اللغـة والفعـل والضمـير واسم الفعل والظرف وحروف الجر والادوات والنقط ، نسخه المطـران مـلوس في الموصل سنة ١٨٨٧ ، ومؤلفه توما مطران داسان • الا اننا نجهل هوية هذا المؤلف !

(1) A. Van LANTSCHOOT, **Inventaire des manuscrits syriaques des Fonds Vaticans (490-631), Barberini oriental et neofiti,** Città del Vaticano 1965.

(٢٣) يوسف المارديني :

ربما في أواخر القرن ١٥ نلقى مقالة في اللفظ الصوتي ليوسف المارديني ، وهي في ١٦ ص • انظر كتاب القواعد لمنكنا ، بيبلوغرافيا •

(٢٤) عميرة :

في بداية عصر النهضة كتب جرجس عميرة ، وهو من الموارنة اللبنانيين ، كتاب قواعد طبع سنة ١٥٩٦ • يذكره الحاقلاني (جدول عبد يشوع ، ١٨٧) • وعنوانه :

G. M. AMIRA, Grammatica Syriaca seu Chaldaica? 1596.

وانظر مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٦٤ •

(٢٥) الحاقلاني :

ولابراهيم الحاقلاني ، المتوفى سنة ١٦٦٤ ، كتاب قواعد مطبوع في باريس سنة ١٦٢٨ • كما انه في تعليقاته على جدول عبد يشوع الصوباوي ، الذي نشره مع ترجمة لاتينية سنة ١٦٥٣ ، يستغل مقالة افراهاط في الابجدية لكي يقدم لنا بحثا في القواعد من ص ١٧٥ وحتى ص ٢٤٨ فيه الكثير من الجدل ردا على بويسيوس الذي يتنكر لعلم النحو لدى السريان• (انظر أيضا أبونا ، ٦٤٩ ـ ٦٥٠) •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٦) الرزي :

وألف سركيس الرزي كتابا بعنوان قواعد اللغة السريانية ، باللهجة الغربية ، وهو في ١٨٤ ص • يذكر انه مطبوع في روما سنة ١٦٣٥ ، أو لعله المطبوع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٧ ، ٣٨٣ ص • وثمة مخطوطة منه في الفاتيكان (بربريني) تحت رقم ٥٥ •

(٢٧) الشدراوي :

وضع اسحق الشدراوي ، الماروني اللبناني أيضا والمتوفى سنة ١٦٦٣ ، كتابا في قواعد اللغة وطبعه في روما سنة ١٦٣٦ • وانظر رقم ٢٦٦ من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس •

(٢٨) العاقوري :

كما انشأ ايشوع العاقوري ، الذي أصبح بطريركا على الموارنة باسم يوسف وتوفي سنة ١٦٤٧ ، كتابا في القواعد طبعه أيضا في روما سنة ١٦٤٧ • وانظر مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٦٧ ، ومخطوطة دير الشرفة رقم ١٢١ ش •

(٢٩) مجهولون :

نلقى في مخطوطة فاتيكانية رقم ٥٢٦ كتاب قواعد موجز مكتوب سنة ١٧٢٩ نجهل مؤلفه • وفي المكتبة الوطنية بباريس أكثر من كتاب قواعد نجهل المؤلف والتاريخ • انظر الارقام ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ • وكذلك في مكتبة دير الشرفة • انظر الارقام ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٥٣٠ للمطران طيمثاوس اسحق الموصلي ، ١٢ ش غراماطيق للخوري ارسانيوس الفاخوري سنة ١٨٦٣ ، ١٣ش ، ٥٥ ش ، ٨٦ ش ، ١٢١ ش والخ •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣٠) القطربلي :

للخوري يعقوب القطربلي ، المولود في قطربل (آمد) والمتوفى سنة ١٧٨٣ ، كتاب في الصرف بعنوان زهرة المعارف [illegible] في ٣٧٨ ص • منه مخطوطة في برمنكهام رقم ١١٣ لسنة ١٧٩٥ • وقد لخص منه كتاب صرف أيضا محفوظ في برلين ٩٣ ، القدس ٢٢٥ و ٢٢٦ وديرالسيدة (فوستي) ٢٩٨ ، ٢٩٩ و ٣٠٠ • (انظر اللؤلؤ المنثور ٥٧٨ – ٥٧٩) •

(٣١) التولاوي :

وللخوري بطرس التولاوي المتوفى سنة ١٧٤٥ كتاب قواعد لا يزال مخطوطا (انظر الكفرنيسي ، ٤٤٩ ومخطوطات دير الشرفة) •

ويذكر الكفرنيسي كتابين آخرين في القواعد لمجهولين •

وفي دير الشرفة أكثر من مخطوطة للغراماطيقي الشـهواني ، تأليف الخوري انطونيوس شهوان الماردني سنة ١٧٥٨ •

(٣٢) السمعاني :

وضع يوسف سمعان المتوفى سنة ١٧٦٨ كتابا في نحو اللغة السريانية (ابونا ، ٦٥٨) •

(٣٣) مجهولان :

ثمة كتب في القواعد لمجهولين محفوظة في خزانات اخرى •

وبحاجة الى كشف وتحقيق ، منها كتابان في خزانة دير مار بهنام :

أ ـ القواعد السريانية ، تحت رقـم ١١/٨ ، ٢٤٠ ص • وقـد تـم استنساخ الكتاب في ١١-١١-١٨٧٠ •

ب ـ رقم ١١/١ في قواعد السريانية والفاظها ومعانيها ، ٣٧٨ ص •

(٣٤) مجهول :

وطبع في اورمية سنة ١٨٩٠ كتاب قواعد ، عدد صفحاته ٧٢ ، وذلك من قبل ارسالية رئيس أساقفة كنتربري بعنوان :

ܟܬܒ ܡܕܪܫ ܕܐܬ ܒܗ ܡܕܪܫ ܠܟܬܒ ܡܕܪܫ

(٣٤) كوشران ؟

وطبع في اورميه سنة ١٨٤٥ كتاب في القواعد ، لعل مؤلفه كوشران (J. G. COCHRAN) عدد صفحاته ٩٦ وبعنوان :

ܟܬܒ ܡܕܪܫ ܕܐܬ ܒܗ ܡܕܪܫ

(٣٦) خياط :

ووضع البطريرك عبد يشوع خياط ، المتوفى سنة ١٨٩٩ أيام كان مطرانا ، كتاب أساس للقراءة حسب اللفظ والقواعد ، نشره بالخط الشرقي في الموصل سنة ١٨٦٩ بـ ١٦٣ ص من الحجم الصغير وفي المطبعة الكلدانية

تحت عنوان : ܩܠܝܢܐ ܕܡܠܦܢܘܬܐ ܕܣܘܪܝܝܐ

(٣٧) الكفري :

والف الاب نعمة الله القدوم الكفري ، المتوفى سنة ١٩١٠ ، كتاب قواعد بعنوان : مورد التحقيق في اصول الغراماطيق ، طبعه في قزحيا سنة ١٨٧٣ ثم سنة ١٨٩٦ .

(٣٨) القرداحي :

وللقس جبرائيل القرداحي المتوفى سنة ١٩٣١ ، كتابان في النحو ، وكتاب في الشعر . والاخير شهير جدا ، وهو بعنوان الكنز الثمين في صناعة شعر السريان وتراجم شعرائهم المشهورين ، طبعه في روما سنة ١٨٧٥ . أما كتابا النحو فالاول بعنوان : كتاب المناهج في النحو والمعاني عند السريان ، ط ٢ ، روما ١٩٠٦ . والآخر بعنوان : الاحكام في عرف السريانية ونحوها وشعرها ، فرغ من وضعه سنة ١٨٧٩ .

(٣٩) جميل :

للابنا شموئيل جميل رئيس اديرة الكلدان ، المتوفى سنة ١٩١٧ ، كتاب قواعد بعنوان : ܩܠܝܢܐ ܕܡܠܦܢܘܬܐ بالخط الشرقي ، لنا منه ثلاث مخطوطات في دير السيدة (فوستي ٣٠٢ ، ٣٠٣ و ٣٠٤) أقدمها من سنة ١٨٨٢ ، ومخطوطة في برلين .

(٤٠) المقدسي :

وألف المطران طيمثاوس ارميا مقدسي المتوفى سنة ١٩٢٠ (أيام كان راهبا وكاهنا) كتاب قواعد بالخط الشرقي نشره سنة ١٨٨٩ في مطبعـة الآباء الدومنيكان بالموصل ، عدد صفحاته ٢٢٥ وهوبعنوان: ܩܠܝܢܐ ܕܡܠܦܢܘܬܐ

(٤١) داود :

أما المطران اقليميس يوسف داود ، المتوفى سنة ١٨٩٠ ، فقد أجاد في هذا المضمار ووضع كتابا شيقا بعنوان : كتاب اللمعة الشهية في نحو اللغة

السريانية على كلا مذهبي الغربيين والشرقيين ، بالعربية والسريانية وبالخط الغربي ، كانت طبعته الاولى سنة ١٨٧٩ في مجلدين ، الاول ٢٠٨ ص والثاني ٤٦٤ ص ، والطبعة الثانية سنة ١٨٩٦ ، الاول ٤٧٩ ص والثاني ٤١٤ ص ، في مطبعة الآباء الدومنيكان بالموصل .

وقد نقله الى اللاتينية البطريرك اغناطيوس افرام رحماني المتوفى سنة ١٩٢٦ وطبعه سنة ١٨٩٦ في المطبعة المذكورة بـ ٧٣٠ ص وبعنوان :

Grammatica aramaica seu syriaca philologice exposita, Mausili 1894.

(٤٢) منا :

وألف المطران يعقوب اوجين منا المتوفى سنة ١٩٢٨ كتابا شهيرا بعنوان : الاصول الجلية في نحو اللغة الارامية على كلا مذهبي الشرقيين والغربيين [illegible] طبعه في الموصل في مطبعة الآباء الدومنيكان سنة ١٨٩٩/٨ ، بـ ٣٥٢ ص .

(٤٣) منكنا :

وألف الفونس منكنا ، أيام كان استاذا في معهد مار يوحنا الحبيب بالموصل ، كتاب قواعد سريانية باللغة الفرنسية بـ ١٩٧ ص ، وفيه فصلان شيقان في الحركات وحروف العلة وبيبلوغرافيا ، وهو بعنوان :

A. MINGANA, **Clef de la langue araméenne** ou Grammaire complète et pratique des deux dialects syriaques occidental et oriental, Mossoul 1905.

(٤٤) أرملة :

وللخوري اسحق أرملة المتوفى سنة ١٩٥٤ كتاب بعنوان : الاصول الابتدائية في اللغة السريانية ، طبع في بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٢٢ ، بـ ١٠٣ ص وبالخط الغربي والعربية .

وقد شرح تمارينه في كتاب رغبة الاحداث [illegible] طبع الجزء الاول في بيروت ، المطبعة اللبنانية سنة ١٩٠٧ ، والجزء الثاني في دير الشرفة .

(٤٥) دريـان :

للمطران يوسف دريان المتوفى سنة ١٩٢٠ كتاب : الاتقان في حرف لغة السريان ، طبع في بيروت طبعة ثانية سنة ١٩١٣ ، ٤٤٦ ص .

(٤٦) دولبـانـي :

ومنذ محاولات القرداحي ومقدسي وداود ومنكنا الذين استفـادوا من مجهود النحويين السريان القدامى ، كما استفاد الاخيران خاصة من علم الغربيين المستشرقين ، أخذت تكثر كتب قواعد اللغة السريانية ، سيما الموجز والمدرسي منها .

فوضع المطران فيلوكسينس حنا دولباني المتوفى سنة ١٩٦٩ (أيـام كان راهبا) كتابا بعنوان : كتاب الاساس في قواعد اللغة السريانية بالخط الغربي ، نشر الجزء الاول في المفردات في المطبعة السريانية بدير الزعفران سنة ١٩١٥ بـ ١٩٢ ص . أما الجزء الثاني ، في المركبـات ، فـلا يـزال مخطوطا . وهو بالعربية والخط السرياني .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٤٧) بيـداري :

للخوري بولس بيداري ، المتوفى سنة ١٩٧٤ ، كتاب قواعد بعنوان : مرشد الدارسين طبع في المطبعة الآثورية بالموصل سنة ١٩٢٣ بـ ٦٠ ص ، وهو بالخط الشرقي وبعنوان : ܡܘܕܝܢܐ ܕܡܫܡܫܢܐ

(٤٨) كوناط :

للخوري اسقف متي كوناط الهندي والمتوفى سنة ١٩٢٨ كتـاب قواعد بعنوان : M. KOUNAT, Syriac Grammar

(٤٩) قليتـا :

ووضع يوسف قليتا ، المتوفى سنة ١٩٥٥ ، عدة كتب في القواعـد والقراءة هي :

أ ـ قواعد اللغة الآرامية الشرقية ، باللهجة الدارجة ، وطبعه في المطبعة الآثورية بالموصل سنة ١٩٢٩ بـ ٢٥٥ ص .

ب ـ قواعد انكليزي ـ آشوري ، نشره في المطبعة عينها سنة ١٩٢٤ بـ ٣١٢ ص .

جـ ـ دفتر الخط الالقوشي ، ودفتر الكتابة الاسطرنجيلية ، وكتب قراءة .

(٥٠) الكفرنيسي :

ووضع الاب بولس الكفرنيسي كتابا شيقا في القواعد بعنوان: غراميطيق اللغة الآرامية السريانية [illegible] (صرف ونحو) ، بالعربية والخط الغربي ، نشره سنة ١٩٢٩ ، ثم أُعيد طبعه ثانية سنة ١٩٦٢ في مطبعة الرهبانية اللبنانية المارونية ، بيروت سنة ١٩٦٢ بـ ٤٦٢ ص . ويذكر ٢٣ مرجعا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥١) دنو :

وألف نعمة الله دنو ، المتوفى سنة ١٩٥١ ، كتاب : التحفة الآشورية في أحكام اللغة السريانية ، طبع الجزء الاول منه ، في تصريف الصيغ السبع ، في المطبعة السريانية بدير الزعفران سنة ١٩٢٠ ، بـ ١٩ ص . وله : دروس القراءة السريانية ، جزءان ، القدس ١٩٢٩ والموصل ١٩٣٩ .

(٥٢) العناني :

وللدكتور على العناني وليون محرز ومحمد عطية الابراشي كتاب : المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها والموازنة بين اللغات السامية ، القاهرة ١٩٣٥ .

(٥٣) سابا :

وللخوري بطرس سابا ، المتوفى سنة ١٩٦١ ، كتاب : مرشد الطلبـة السـريـانيـين الى كلتـا لهجتـي الغـربيـين والشـرقيـين ، بالعربية والخطين ، طبع الجزء الاول منه لصف الصغار المبتدئين في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٤٨ بـ ١٢٠ ص• والجزءان الآخران مخطوطان ومحفوظان لدى ابن اخته القس قرياقوس للو في برطله •

وله أيضا غراماطيق كبير بـ ٦١١ ص لا يزال مخطوطا وفي حوزة ابن اخته القس قرياقوس للو ، ولكنه الآن لدى الاب باسيل عكـولـه في بيروت •

(٥٤) غبريال ـ البستاني :

ومن منشورات الجامعة اللبنانية في اللغة السريانية جزءان :

الثاني ، النصوص والصرف ، تأليف فولوس غبريال وكميل افرام البستاني ، بالعربية والخط الغربي ، بيروت ١٩٦٥ ، ١٤٤ ص •

والثالث ، الادب والنحو ، تأليف فولوس غبريـال وكميـل افـرام البستاني ، بالعربية والخط الغربي ، بيروت ١٩٦٦ ، ٢٢٤ ص •

(٥٥) قرهباشي :

لعبدالمسيح حنا قرهباشي كتاب في قواعد اللغة السريانية ، ظهر منه الجزء الاول فقط • أما الجزءان الآخران فلا يزالان مخطوطين •

(٥٦) أيوب :

وللخور فسقفوس برصوم يوسف أيوب كتاب : اللغة السريانية ، القسم الثاني منه في القواعد والتطبيق ، بالعربية والخط الغربي ، طبع طبعة ثانية في مطبعة الرافدين بحلب سنة ٢ ـ ١٩٧٣ بـ ٢٤٨ ص •

(٥٧) وثمة كتب عديدة لتعليم القراءة فيها الكثير من الصرف والنحو نذكر شيئا منها :

١ ـ كتاب لتعليم القراءة بعنوان :

Alphabetum Chaldaicum, Romae 1634

٢ ـ آخر بعنوان :

Alphabetum Chaldaicum antiquum Estranghelo dictum, una, cum alphabeto syriaco; Romae 1636.

٣ ـ انارة الاحداث ، مخطوطة في دير مار بهنام رقم ٩/١١ ، وهو كتاب في التصاريف ومن القرن ١٧ أو ١٨ .

٤ ـ مبادىء القراءة الكلدانية ، بالخط الشرقي ، المطبعة الكلدانية بالموصل ١٨٦٩ ، ١٦٤ ص .

٥ ـ مبادىء القراءة السريانية بالخط الغربي ، مطبعة الآباء الدومنيكيين بالموصل ، ج١ سنة ١٨٧٤ ، ج٢ سنة ١٨٧٩ ، ج ٣ سنة ١٨٩١ .

٨ ـ كتاب القراءة الاول للصبيان ، الموصل ١٨٧٩ ، ١٠٧ ص ، بالخط الشرقي

٩ ـ مبادىء التهجئة لتدريس الصبيان ، مطبعة الدومنيكيين بالموصل ١٩٠٣ ، بالعربية والخط الغربي .

١٠ ـ بنفس العنوان السابق ، الموصل ١٩١٠ .

١١ ـ يوسف قليتا ، القراءة بالخط الشرقي ، الجزء الاول والجزء الثاني ، المطبعة الآثورية بالموصل ١٩٢٧ ، ١٥٧ ص

١٢ ـ نعمد الله دنو ، دروس القراءة السريانية ، جزءان ، مطبعة ام الربيعين بالموصل ١٩٣٩ .

١٣ ـ فرنسيس حداد (وبدون ذكر المؤلف في الجزئين الاولين) ، مبادىء القراءة الكلدانية ، ٣ أجزاء ، بالخط الشرقي ، مطبعة النجم الكلدانية بالموصل ١٩٣٩ .

١٣ آ ـ الاب انطونيوس مجلي ، طريقة جديدة في دروس اللغـة الآرامية السريانية ، جونيه ١٩٤٩ ، ٥٢ ص .

١٤ ـ يوحنان قشيشو ويوحنان سلمان ، القـراءة البسيطـة للغـة السريانية ، ٧ أجزاء ، القامشلي ١٩٥٠ ، بالخط العربي وبعنوان :

ܩܪܝܢܐ ܒܫܝܡܐ ܕܠܥܠܐ ܒܫܝܡܐ

١٥ ـ يوسف ميري ، كتاب القراءة الكلدانية ، ٣ أجـزاء ، عـدة طبعات ، ابتداءً منذ سنة ١٩٤٨ فما بعدها وفي مطابع بغـداد وكركوك ، بالخط الشرقي وبعنوان : ܟܬܒܐ ܕܩܪܝܢܐ ܟܠܕܝܐ

١٦ ـ كتاب التهجئة ، بالخط الشرقي ، نشرته مطرانية كركوك سنة ١٩٥١ ، مطبعة نينوى بكركوك ١٤٠ ص .

١٧ ـ فولوس غبريال وكميل افرام البستاني ، اللغـة السريانيـة ، الاول : الاصول والقراءة ، بالعربية وبالخط الغربي ، بيروت (منشورات الجامعة اللبنانية) ١٩٦٤ ، ١٠٤ ص .

١٨ ـ فيلوكسينوس حنا دولباني ، اللغة ܠܫܢܐ ، بالخط الغربي ، ط ٢ ، ماردين ١٩٦٨ ، ٨٤ ص .

١٩ ـ كبرئيل ابراهيم بصمه‌جي ، المدخل الى اللغـة السـريانية ، ܡܕܟܠ ܠܠܫܢܐ ܣܘܪܝܝܐ بخط غربي واسلوب عصري ، مطبعـة الاحسان بحلب ١٩٧١ ، ٥٦ ١ص .

٢٠ ـ عبدالمسيح نعمان قرهباشي ، دروس في القراءة ٩ أجزاء آخره في أيار ١٩٧٣ ، وقد طبع في المطبعة البطريركية لمار افرام في العطشانة .

٢١ ـ اسمرج . الخوري ، رفيق الطالب بالعربية والخط الغربي والانكليزية ، بيروت ١٩٧٢ ، ١٣١ ص .

ومن الذين نشروا كتبا لتعليم القراءة السريانية : المطران بولس بهنام ، الاب بريشوع ، المطران يوانيس يوحنان ، الشماس كوركيس آشيثا ، نعوم الياس يالاق ، الاب يشوع صموئيل ومعظم المطرانيات والابرشيات في الموصل وبغداد وكركوك والقدس وبيروت وجونيه وماردين وليسيك والملبار وطهران . وقد أسهمت كل طوائف الناطقين بالسريانية في عملية حفظ اللغة وتدريسها ووضع كتب بها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثانيا ـ المؤلفون الغربيون

نكتفي بذكر كتب القواعد التي وضعها الغربيون وفقا لتسلسلها الزمني دون الدخول في التفاصيل .

1. J. A. Von WIDMENSTADT, **Syriacae linguae prima elementa,** Antverpiae 1572, 6 + 23 p. Characteris hebraicis (بخط عبري
2. C. B. MICHAEL, **Syriasmus, id est grammatia linguae** syriacae, ? 1741.
3. J. G. C. ADLERE, **Brevis linguae syriacae institutio,** ? 1784.
4. T. YATES, **Syriac grammar** principally adapted to the New Testament in that language, ? 1821
5. A. T. HOFFMANN, **Grammatica Syriaca,** ? 1827.
6. F. UHLEMANN, **Grammatik der Syrischen Sprache mit voll**staedingen paradigmen, ? 1857.
7. R. DUVAL, **Traité de Grammaire Syriague,** Paris (F. Vieweg libr.) 1881. XL + 447 p.

8. E. NESTLE, **Brevis linguae syriacae grammatica, Karlsruhe** - Leipzig 1881; Vers. germanica, Leipzig 1898; Versio anglica, London 1904.

9. E. O. MERX, **Historia artis grammaticae apud Syros,** Leipzig 1889 (Abhandlungen für die Kunde des Morgenl. IX, 2).

10. GISMONDI, **Linguae Syriacae grammatica, et chrestomatiae,** Romae 1890.

11. R. D. WILSON, **Elements of Syriac Grammar by Inductive Method,** New York 1891 .

12. Th. NOELDEKE, **Grammatik der Neusyrischen Sprache,** Leipzig 1868; ID., **Kurzgefasse syr. Grammatik,** Leipzig 1898. ID., **Compendious Syriac grammar**, 2 ed., ? 1904.

13. A. UNGAND, **Syriche Grammatik mit Übungsbuch,** 2 ed. München 1932.

14. C. BROCKELMANN, **Syrische Grammtik mit Paradigmen, Litteratur, Chrestomatie und Glossar,** Leipzig 1938; 6 ed. 1951.

15. R. KÖBERT, **Textus et paradigmata syriaca,** Romae 1952.

16. L. PALACIOS, **Grammatica syriaca,** 2 ed. Romae-Parisis 1954.

17. Th. ARAYATHINAL **Aramaic Grammar,** 2 voll., Mannanam 19579.

18. Th. ROBINSON, **Paradigms and exercises in syriac grammar,** 4 ed., Oxford 1962.

19. L. COSTAZ, **Grammaire syriaque,** 2 ed., Beyrouth (Imprimerie Catholique) 1964, 262 p.
ID., **Tableaux de Grammaire syriaque,** Beyrouth (Impr. Cath.) 1965, 55 p.

ثالثا ـ اللهجات الحديثة او السورث

نقتصر على ما يمت الى اللهجات الحديثة للغة السريانية ، سيما في باب القواعد ، ونذكرها وفقا للتسلسل الزمني .

1. Th NOELDEKE, **Grammatik der neu syrischen Sprache am Urmia-See unde in Kurdistan,** Leipzig 1868.

2. A. MERX, **Neusyrisches Lesbuch. Texte im Dialecte von Urmia,** Breslau 1873.

3. E. PRYM - A. SOCIN, **Der neu aramäische Dialect des Tûr 'Abdin,** I. Texte; II. Vers.. Göttingen 1881.

4. A. SOCIN, **Die neu-aramäischen Dialecten von Urmia bis Mosul,** Tübingen 1882.

5. R. DUVAL, **Les dialects néo-araméens de Salams,** Paris 1883.

6. I. GUIDI, Beiträge zur Kenntniss des neu-aram. fellihi Dialectes, ZDMG 37 (1883).

7. D. T. STODDARD, **Grammar of the Modern Syriac Language** as spoken in Oroomiah, Persia, New-York-London 1885, 22 + 274 p.

8. Anonym., **Syllabaire Chaldéen. Idiome d'Ourmiah,** Paris 1886,

٩ - [illegible]

نشرته ارسالية رئيس أساقفة كنتربري الى السريان المشارقة في اورمية سنة ١٨٩٠ ، ١٠٤٠ ص .

10. E. SACHAU, **Skizze des fellihi Dialects von Mossoul,** Berlin 1895.

11. **A. J. MACLEAN, Grammer of the dialects of Vernacular** Syriac, Cambridge 1895, 364 p.

12. **R. DUVAL, Notice sur les dialects néo-araméens,** Mémoires de la Société de linguistique, 1X, 1896.

13. Th. AUDO, **Grammaire de langue chaldéenne moderne dialecte d'Ourmiah,** 1 ed. 1915; 2 ed. 1915; 2 ed. (Imprim. des Lazaristes-Ourmiah-Perse) 1911, 190 p. [illegible]

14. P. J. RHETORE, **Grammarie, de la langue Soureth ou Chaldéen vulgaire** selon le dialect de la plaine de Mossoul et des pays adjacents, Mossoul (Iprim. des Pères Dominicains) 1912, 276 p. (Bibliogr. p. 261)

١٥ـ القس يوسف قليتا ، قواعد الآرامية الشرقية باللغـة المحكيـة ، الموصل ١٩٢٩ ، ٢٥٥ ص ٠

16. C. C., Grammaire Assyrienne - Francaise , Mossoul (Imprimerie Chaldéenne) 1935, 149 p.

١٧ـ جورج كورو صليبا ، معلم اللغـة السريانية ، سـرياني ـ عـربي. القامشلي ١٩٦٥ ، ٢٨٧ ص ٠

١٨ـ نمردد سيموند ، قواعد اللغة الآثورية السوادية ، طهران ١٩٦٩ وله أيضا : لغة الام ، طهران ١٩٧٤ ٠

19. H. RITTER, **Turoyo,** die Volkssprache der syrischen christen des Tûr 'Abdin, A : Texte B. 1 Beirut 1967 Orient Institut der DMG), 43 + 609 p.

رابعا ـ قواعـد الارامية القديمـة

نكتفي أخيرا بذكر كتب قواعد اللغة الارامية القديمـة ، ونحيـل القارى خاصة الى البيبليوغرافيا الواسعة التي قام بها البروفسور فاتيوني. وتناول فيها كل ما يمت الى الآرامية بصلة ٠ نذكره مجددا هنا :

F. VATTIONI, **Preliminari alle iscrizioni aramaiche,** AUGUSTINIANUM, 1X (1969), 305-361 وفيه ذكر لـ (١٢٥٣) كتاب أو مقالة

1. A. J. WENSINCK, **Het eudeste arameesch,** Utrecht 1909.

2. CANTINEAU, **Grammaire du Palmyrénien épigraphique,** Paris 1935.

3. H. L. GINSBERG, **Aramaic studies Today,** JAOS 62 (1942), 229-38.

4. G. GARBINI, **L'aramaico antico, Roma 1956.**

5. J. N. EPSTEIN, **A Grammar of Babylonian Aramaic,** Jerusalem 1960.

المطران أدّي شير وبقايا مكتبة سِعِرد (١)

بقلم : **كوركيس عـواد**
عضو المجمع العلمي العراقي ،
ومجمع اللغة السريانية ، ومجمع اللغة
العربية بدمشق

١ ـ نُبذة في حياة ادّي شير :

السيد أَدّي شير(٢) ، مطران الكلدان في سِعِرد سابقاً ، يُعَدّ في طليعة الباحثين المحققين بين أبناء الطائفة الكلدانية ، من دينيين ومدنيين • تشهد لـه بذلك مؤلفاته الجليلة الموضوعة بالعربيـة والسريانية والفرنسية وغيرها من اللغات(٣) •

وُلد صليبا ، أو صليوا ، ـ وهذا اسمه الاصلي ـ في بلدة شقلاوة ، من أعمال محافظة أربيل ، يوم ٣ آذار سنة ١٨٦٧م • وفي سنة ١٨٨٠ ، قصد مدينة الموصل للدراسة فيها ، فالتحق بالمعهد الكهنوتي لمار يوحنا الحبيب ، التابع للآباء الدومنكيين ، وأمضَى فيه تسعة أعوام كان خلالها مثالا عاليا من

---

(١) سعرد : بلدة في جنوبي تركية ، قريبة من ديار بكر ، في شرقهـا • وقد اختلفت المراجع العربية في ايراد اسمها ، فقيل : إِسْعِرْت ، إِسْعِرْد ، إِسْعِرْذ ، سِعِرْت ، سِعِرْد •

(٢) للوقـوف على تفاصيل أحواله وأخبـار مكتبته ، تُراجَع المصـادر المذكورة في ختام هذا البحث •

(٣) أثبتنا فهرساً بأسماء خمسةٍ وعشرين من مؤلفاته المطبوعـة ، في كتابنا « معجم المؤلفين العراقيين » ١ : ١٠٤ـ١٠٦ • وراجع في هـذا الشأن أيضا :

أ ـ الأب حنا فيي (J.M. Fiey) في مجلة
Analecta Bollandiana, LXXXIII, pp. 124-129; (

ب ـ الأب ألبير أبونا : في كتابه « أدب اللغـة الآراميـة » • ص ٥٤٤ ـ ٥٥٠ •

ج ـ الأب فرنسيس شير : في مجلة « بين النهرين » ٢ [١٩٧٤] ص ٥٩ ـ ٦٣ •

أمثلة السعي الحثيث في طلب العلم واكتساب المعرفة ، حتى تخرّج في ذلك المعهد سنة ١٨٨٩ ورُسِم كاهناً باسم « أَدّي صليبا أبرهينا » . ونظراً الى ما عهده فيه رؤساؤه من فضل وفضيلة ، فقد جعلوه « نائباً أسقفياً » في أبرشية كركوك .

ظلّ القس أدّي صليبا أبرهيناً على ذلك حتى ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٠٢ . فقد رُسِم في تلك السنة مطراناً على سعرد ، وصار يُعْرَف بِـ « المطران أَدّي شير » .

لبث في سعرد حتى سنة ١٩١٥ . وكانت الحرب العالمية الاولى محتدمة . فلقي من المِحَن والأهوال ألواناً . وكان يوم ١٧ حزيران من تلك السنة أَحْلَك أيام حياته ، فقد اغتالته يدٌ أثيمة ، فأطفأت ذلك المصباح الوهّاج ، وخسر العلماء والباحثون بفقدِهِ عالماً جليلاً فذّاً ، اشتهر بمؤلفاته النفيسة التي خلّدت اسمه .

٢ ـ اشهر تآليفه :

تنوعت المناحي الفكرية التي عُنِيَ المطران أدّي شير بالكتابة فيها . فهنالك مؤلفات دينية ، ومباحث لغوية ، وتحقيق لنصوص قديمة عربية وسريانية ،وتراجم وسير لقديسين وأدباء وغيرهم ، وفهارس مخطوطات ، ودراسات في تاريخ الامة السريانية وآدابها ، ومساهمة في تحرير مجلة « إكليل الورود » التي كان يُصدرها الآباء الدومنكيون في الموصل أوائل القرن العشرين ، وان كانت مقالاته فيها قد نُشرت غفلاً من اسمه .

ولما كنا قد نوّهنا بمن أحصى مؤلفاته(٤) ، فلا داعي الآن الى سرد أسماء تلك المؤلفات جميعاً . وسنقتصر على ذكر ما لابد من ذكره ، كي يُلِمّ القارىء بالميادين الثقافية التي وعاها علم هذا الرجل .

---

(٤) راجع الحاشية ٣ في هذا البحث .

فمن تآليفه بالعربية :

١ ـ سيرة أشهر شهداء المشرق القديسين[٥] : نقل معظمه من السريانية الى العربية • تناول فيه تراجم من استُشهد من أبناء الملة السريانية ، كلداناً كانوا أم سرياناً • (مجلدان • مطبعة الآباء الدومنكيين ـ الموصل ١٩٠٠ ـ ١٩٠٦ ؛ ٤٢٥ و ٤٢٨ ص) • وقد نَحَا فيه نحو كتاب « أعمال الشهداء والقديسين » الذي نشره بالسريانية الأب بولس بيجان اللعازري[٦] •

٢ ـ مدرسة نصيبين الشهيرة : نبذة تاريخية في أصلها وقوانينها وفي العلماء الذين اشتهروا فيها • (المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٠٥ ؛ ٦٣ص)[٧] •

٣ ـ الألفاظ الفارسية المعرَّبة[٨] • (المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٠٨ ؛ ١٩٤ ص) • وقد أُعيد نشره بالأوفست في طهران سنة ١٩٦٥ •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥) عقد الأب الدكتور حنا فيي ، مقارنةً بين محتويات هذا الكتاب ، وبين كتاب « مكتبة القديسين الشرقيين » للأب پيترس ، وعنوانه : Peeters (P.), Bibliotheca Hagiographica Orientalis [=BHO], 1910 ضمن بحثه الذي نشره عن أدّي شير ، في Analecta Bollandiana, LXXXIII, pp. 129-135:

(٦) Bedjan (P.), Acta Martyrum et Sanctorum. [Şarbé d'sahdé wad qaddişé]. (7 vols., Leipzig, 1890-1897).

(٧) راجع بشأنه ما كتبه الاب لويس شخو اليسوعي في مجلة « المشرق » (٨ [بيروت ١٩٠٥] ص ١٠٠٩ ـ ١٠١٠) •

(٨) راجع ما كتبه بشأنه الاب لويس شيخو (المشرق ١١ [١٩٠٨] ص ٢٣٢ ؛ ١٢ [١٩٠٩] ص ٧١٢ ـ ٧١٣) • عيسى اسكندر المعلوف (مجلة مجمع اللغة العربية ١ [القاهرة ١٩٣٤] ص ٣٥٩ • وعباس العزاوي (تاريخ الأدب العربي في العراق ١ [بغداد ١٩٦٠] ص ١٢٨ ؛ ٢ [١٩٦٢] ص ١٠١ ـ ١٠٢) •

٤ ـ تاريخ كلدو وآثور : جعله في ثلاثة مجلدات :

الاول : في تاريخ الامة الكلدانية ـ الآثورية قبل الميلاد •

الثاني : في تاريخ الكنيسة الكلدانية ـ النسطورية منذ نشأتها حتى ظهور الاسلام •

الثالث : في تاريخ هذه الكنيسة منذ ظهور الاسلام حتى العصر الحديث •

(المجلدان الاول والثاني ، طُبعا في المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩١٢ ـ ١٩١٣ ؛ ١٨٥ و ٣١٢ ص • أما المجلد الثالث ، وقد يكون أعظمها فائدةً ، فقد ضاع في غوائل الحرب العالمية الاولى قبل أن يُطبع • ولم يُوقَف على أثرٍ له) •

وراجع تعريفاً بمجلديه الأولين ، للأب لويس شيخو اليسوعي (المشرق ١٦ [١٩١٣] ص ٣٩٠ ـ ٣٩١ ، ٩٥٣ ـ ٩٥٤) •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد حاول المطران سليمان الصائغ ، المتوفّى سنة ١٩٦١ ، أن يسدّ هذه الثغرة التاريخية الناجمة عن فقدان المجلد الثالث من « تاريخ كلدو وآثور » • فنشر في مجلة « النجم » التي كان يُصدرها في الموصل ، سلسلة مقالات بهذا العنوان(٩) ، تناول فيها بالبحث ، تاريخ الكلدان في أيام الخلفاء الراشدين والأمويين • ولكنه توقف بعد ذلك عن نشر بقية هذا البحث القيّم •

ولتقييم « تاريخ كلدو وآثور » لأدّي شير ، راجع ما قاله الأب

---

(٩) النجم (١[١٩٢٨ ـ ١٩٢٩] ص ٢٨ ـ ٣٤ ، ٥١ ـ ٥٨ ، ١١٧ ـ ١٢١ ، ١٧٦ ـ ١٨١ ، ٢٦٤ ـ ٢٦٨ ، ٢٩٧ ـ ٣٠٣ ، ٤٤١ ـ ٤٤٧ ، ٤٨٩ ـ ٤٩٢ ؛ ٢[١٩٣٠] ص ٤٩ ـ ٥٥ ، ٤٧٩ ـ ٤٨٤ ، ٥٢٠ ـ ٥٢٥) •

الدكتور حنا فيي ، في بحثه « مصادر تاريخ كنيسة المشرق قبل الاسلام » (بين النهرين ١ [١٩٧٣] ص ٨٣ ـ ٨٤) وقد عرّبه بتصرّف الأب الدكتور جاك اسحق .

٥ ـ حقّق تاريخاً عربياً نفيساً ، لمؤلفٍ نسطوريّ مجهولٍ لدينا ، لعله من أبناء النصف الأول من القرن الثالث عشر للميلاد ، ونشره مع ترجمته الى الفرنسية[١٠] ، بعنوان :

Histoire Nestorienne inédite (Chronique de Séert)

ولما كانت نسخة هذا التاريخ ، ناقصة الأول والآخر ، فقد خَفِيَ علينا عنوانه واسم مؤلفه . ورأي محققه العلاّمة أن يسمّيه بـ « التاريخ السعردي » لكونه عثر على قطعةٍ خطية فريدة من مخطوطته في مكتبة مطرانية سعرد، فنشره ضمن «الباترولوجية الشرقية» Patrologia Orientalis التي يُصدرها في باريس العالمان المستشرقان غرافان (Rene Graffin) ونو (François Nau) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر هذا الكتاب مطبوعاً في مجلدين ، صفحاتهما ٢٣٢ و ٣١٩ ص[١١] .

---

(١٠) عاونه في ترجمته وإخراجه، جماعة من العلماء الشرقيين والمستشرقين، ولاسيما: الأب پرييه (L'Abbé J. Perier) ، والأب ديب (L'Abbé Pierre Dib) [هو المطران بطرس ديب] ، وگريفو (Robert Griveau) .

(١١) هذان المجلدان ، نُشرا مع الترجمة الفرنسية والمقدمة والتعليقات ، في « الباترولوجية الشرقية » ، في أربعة أقسام منها ، وهي :

(أ) المجلد الرابع ، الجزء الاول . ص ٢١١ ـ ٣١٣ .
(ب) المجلد الخامس ، الجزء الثاني . ص ٢١٧ ـ ٣٤٤ .
(ج) المجلد السابع ، الجزء الثاني . ص ٩٢ ـ ٢٠٣ .
(د) المجلد الثالث عشر ، الجزء الرابع . ص ٤٣٥ ـ ٦٣٩ .

ويُلاحَظ ان القسم الرابع ، وهو الأخير ، طُبع بعد وفاة أدّي شير .

وفي وسْعِنا أن نورد خلاصة ما جاء في المقدّمة الفرنسية[١٢] ، التي صدّر بها أدّي شير هذا الكتاب ، قال :

تُحرز المكتبة البطريركية الكلدانية في الموصل[١٣] ، نسخة وحيدة من القسم الأول من هذا التاريخ • وقد استنسخناه سنة ١٩٠٢ قبل رسامتنا الاسقفية على سعرد بأشهرٍ قليلة • وكان لنا الحظّ العظيم في أن نعثر في مكتبتنا بسعرد ، على أوراقٍ عديدة من هذا الكتاب نفسه تشكّل القسم الثاني منه • وعندنا أنّ مخطوطة قد كانت في الأصل تعود الى مكتبتنا بسعرد ، وبتعبير آخر أنّ مخطوطة الموصل ومخطوطة سعرد ، انما هما قطعتان تعودان الى مخطوط واحد ، وتكمل إحداهما الاخرى • فخطّهما متشابه ، والحجم هو نفسه في كلتيهما • انّ مخطوطة الموصل مخرومة الأول والآخر ، وهي تتضمن أخبار فترتين زمنيتين مختلفتين ، تتناول الفترة الاولى أخبار السنوات ٢٥٠ – ٣٦٣م (يقابلها في المطبوع) : ص ٩ – ١٣٤ من المجلد الاول) • وفي الثانية أخبار السنوات ٣٦٤ – ٤٢٢م (يقابلها في المطبوع : ص ١٣٤ – ٢٢٢ من المجلد الاول) • وخط هذه الفترة الثانية أحدث من خطّ سالفتها • على أن التشويش في تجليد هذا المخطوط ، أدّى الى تقديم الفترة الثانية على الاولى •

أما مخطوطة سعرد ، فتحتوي على أخبار السنوات ٤٨٤ – ٦٥٠ م • فتكون الأوراق الساقطة من نهاية المجلد الاول ومن بداية المجلد الثاني ، قد أضاعت علينا بسقوطها حوادث السنوات الواقعة بين سنة ٤٢٢ و٤٨٤م •

---

(١٢) أشكر صديقي الأب الدكتور بطرس حداد ، لنقله هذه المقدمة الى اللغة العربية •

(١٣) نوّه الدكتور داود الجلبي بهذا المخطوط ، راجع كتابه « مخطوطات الموصل (ص ٢٤٨ الرقم ٣) •

أما ما سقط من بداية المجلد الاول ، فلا يُعرف مقداره ، الا انه لابدّ أن كان يحتوي على حوادث القرنين الاول والثاني والنصف الاول من القرن الثالث للميلاد •

وعقد الأب ألبير أبونا ، فصلا عن هذا التاريخ ، في كتابه « أدب اللغة الآرامية » (ص ٤١١ ـ ٤١٣) •

وكان الاب لويس شيخو اليسوعي ، قد سمّى هذا الكتاب « تاريخ النصرانية لأحد النساطرة » ، ووصفه ضمن بحثه الموسوم « التواريخ النصرانية في العربية » (المشرق ١٢ [١٩٠٩] ص ٤٨١ ـ ٥٠٦ ، المراجعة ص ٤٩١ ، الرقم ٢٨) بقوله :

« هذا التاريخ مصون في مكتبة الدار البطريركية للكلدان الكاثوليك في الموصل • كنّا استنسخناه سنة ١٨٩٦ مفكّرين في طبعه • ثم أعلمنا سيادة مطران سعرد السيد أدّي شير أبرهنا انه باشر بطبعه في باريس وانه أنجز قسمه الأل • فسرّنا الأمر لفوائد الكتاب وكثرة معلوماته عن نصارى الشرق وأديرة العراق وما بين النهرين في القرون العشرة الاولى للميلاد • أما المؤلف فلا يُعرف من أمره شيء مُقرّر ، ولعله عاش في القرن لثالث عشر إذ يُشير الى خلافة الملك الظاهر المتوفّى سنة ١٢٢٦م • ويظنّ سيادة المطران أدي انه لأحد هؤلاء الكتبة النساطرة الثلاثة ، أعني : يشوع بر ملكون أو سبر يشوع بر بولس أو سليمان البصري والله أعلم • ولعلنا نعود فنقتطف منه للقراء بعض فصوله المهمة » •

وللأب الدكتور حنا فيي ، نبذة تحليلية في مجلة « بين النهرين » (١ [١٩٧٣] ص ٤٣٣ ـ ٤٣٥) ، عن قيمة « التاريخ السعردي » ، جاءت ضمن بحثه « مصادر تاريخ كنيسة المشرق قبل الاسلام » ، وقد عرّبه

بتصرّف : الأب الدكتور جاك اسحق. ومما جاء في هذا البحث (ص٤٣٤) قول الأب فيي : « ولقد أكملنا قبل فترةٍ وجيزة ، قوائم [لعل المترجم يقصد : فهارس] القسم الثاني [للتاريخ السعردي] ، حيث نقّحنا بعض الأسماء الجغرافية .

* * *

ومن النصوص السريانية التي عُنيَ أَدّي شير بنشرها : كتاب « اسكوليون » تأليف تيو دوروس بر كوني ، أحد أبناء القرن السابع للميلاد . وهو تفسير الكتاب المقدس . وقد نشره بمدينة لوڤان في بلجيكة ، ضمن مجموعة الكتب المسيحيين الشرقيين(١٤) ، بعنوان :

Liber Scholiorum, de Théodore Bar Koné. (2Vols., Louvain, 1910-1912).

* * *

أما « الفهارس » التي عُنِيَ أدّي شير بتأليفها ، فهي ولاشك من أنفس المراجع . إنه بهذا العمل البيليوغرافي ، يتبوأ مكانةً رفيعة بين رُوّاد الفَهْرَسة في العراق ، بل انه يأتي في طليعة المفهرسين في هذه الديار . هذا الى كونه يُعَدّ من أوائل الباحثين العراقيين المعنيين بشؤون الكتب والمكتبات . وغنيٌّ عن البيان ما يتطلبه إعداد تلك الفهارس من علم ووقتٍ وجُهد . هذا الى مُعاناة الأسفار في وقتٍ لم تكن فيه الطرق مهيّأة ، ولا وسائل النقل الحديثة متوفّرة .

لقد وقفنا على ستةٍ من هذه الفهارس التي صنّفها أدي شير باللغة

---

(١٤) عنوان هذه المجموعة :
Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium, Louvain.
ويُرمز اليها عادةً بالأحرف C. S. C. O. على سبيل الاختصار .
ويُقابلها في العربية : م .ك.م.ش.

الفرنسية ، وضمّنها صفة مجاميع نادرةٍ من المخطوطات السريانية والعربية التي تحتضنها طائفةٌ من مكتبات الشرق والغرب • وهـذه أسـمـاء تلك المكتبـات :

١ ـ مكتبة مطرانية الكلدان في سعرد(١٥) •

٢ ـ مكتبة دير السيدة(١٦) ، قرب ألقوش •

٣ ـ مكتبة دار البطريركيـة الكلدانية في الموصـل(١٧) • وقـد نُقلت كتبها الى بغداد بانتقال الكرسي البطريركي اليها •

---

(١٥) Catalogue des manuscrits Syriaques et Arabes conservés dans la bibliothèque épiscopale de Séert. (Imprimerie des Pères Dominicains, Mossoul, 1905; 102 p.).

وقد عرّف بهذا الفهرست ، الأب لويس شيخو اليسوعي ، في مجلة (المشرق ٨ [١٩٠٥] ص ٨١٧) •

(١٦) Notice sur les Manuscrits Syriaques conservés dans la bibliothèque du couvent des Chaldéens de Notre-Dame-des Semences. (Paris, 1906).

وهو مستلّ من « المجلة الآسيوية » الفرنسية لسنة ١٩٠٦ :

Journal Asiatique. (Mai - Juin, pp. 479 - 512, et Juillet - Août, pp. 56 - 82).

وقد وصف فيه ١٥٣ مخطوطة •

(١٧) Notice sur les manuscrits Syriaques conservés dans la bibliothèque du Patriarcat Chaldéen de Mossoul. (Paris, 1907).

وهو مستلّ من :

Revue des Bibliothèques. (Vol. XVII, Paris, 1907; pp.237-260)

وقد وصف فيد ١١١ مخطوطة • وراجع عنه الاب لويس شيخو في (المشرق ١١ [١٩٠٨] ص ٨٧٣ ـ ٨٧٤) • والمطران سليمان الصائغ في « النجم » (١٠ : ٢) •

٤ ـ مكتبة مطرانية الكلدان في ديار بكر[١٨] .

٥ ـ مكتبة مطرانية الكلدان في ماردين[١٩] .

٦ ـ مكتبة متحف بورجيا[٢٠] في ايطالية ، وهي اليوم في مكتبة الفاتيكان .

* * *

يتّضح لنا من تتبّع ما نشره أدّي شير من دراساتٍ تحوم حول الموضوعات السريانية ، انه نشر تلك المباحث في دورياتٍ نفيسة جليلة الشأن ، ولا سيما في مجلة « المشرق » البيروتية ، والمجلات الاستشراقية الآتية :

Comptes rendus des séances ... de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres.

---

(١٨) Catalogue des manuscrits Syriaques et Arabes de la bibliothèque de l'archévêché Chaldéen de diarbékir (Paris, 1907).

وهو مستلّ من المجلة الآسيوية لسنة ١٩٠٧ :

Journal Asiatique. (Ser. 10, Vol. X, pp. 410 - 428).

وقد وصف فيه ١٥٩ مخطوطة .

(١٩) Notice sur les manuscrits Syriaques et Arabes conservés dans la bibliothèque de l'èvêché Chaldéen de Mardin. (Paris, 1908).

وهو مستلّ من مجلة :

Revue des Bibliothèques. (Vol. XVIII, 1908; pp. 64 - 94).

وقد وصف فيه ١٠٤ مخطوطات . وراجع عنه الاب لويس شيخو في (المشرق ١١ [١٩٠٨] ص ٨٧٣ ـ ٨٧٤) .

(٢٠) Notice sur les manuscrits Syriaques du Musée Borgia , aujourd'hui à la bibliothèque Vaticane. (Paris, 1909).

وهو مستلّ من المجلة الآسيوية :

Journal Asiatique. (Ser. 10, Vol. XIII, 1909; pp. 249 - 287).

Journal Asiatique.
Patrologia Orientalis.
Revue de l'Orient Chretien.
Revue des Bibliothèques.
Rivista degli Studi Orientali.

٣ ـ مكتبة سِعِرْد :

ونودّ أن ننوّه بوجهٍ خاصّ ، بالفهرست الذي صنّفه أدي شير عن المخطوطات التي كانت تُحرزها مكتبة مطرانية الكلدان في سعرد • فلقد طُبع هذا الفهرست بمطبعة الآباء الدومنكيين في الموصل سنة ١٩٠٥ ، متضمّناً وصف ما في تلك المكتبة من مخطوطات سريانية وعربية ، وعددها ١٣٦ مخطوطة ، منها ١٢٣ مخطوطة بالسريانية ، والباقي بالعربية •

ولمكتبة مطرانية سعرد ، تاريخ يرجع الى أواسط القرن التاسع عشر • ذلك أنّ بالقرب من سعرد ، ديراً عريقاً يُعرف بدير مار يعقوب الحبَيس[٢١] • قال الفيكنت فيليب دي طرّازي ، إنه كانت في هذا الدير مكتبة ثمينة ، « أفرغ الجهود في تنظيمها السيد بطرس ميخائيل برّ طَطَر ، مطران سعرد (١٨٥٨ ـ ١٨٨٤) ، وأضاف اليها مخطوطاتٍ قديمة العهد إلتقطها من مخلّفات النساطرة في زاخو وأرادن ودهوك والعقر والعمادية وأربيل وغيرها »[٢٢] •

---

(٢١) عُرف هذا الدير في المصادر العربية القديمة بـ « دير أحويشا » • راجع بشأنه كتاب الديارات ، للشابُشتي (ط ٢ بتحقيقنا • ص ١٩٨ ـ ٢٠٣) ؛ التاريخ السعردي (٢:١٥١) ؛ معجم البلدان : لياقوت الحموي (طبعة ليبسك ٢ : ٦٤١ ـ ٦٤٢) ؛ مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : لابن عبدالحقّ (تحقيق علي محمد البجاوي ٢ : ٥٥١) ؛ مسالك الابصار : لابن فضل الله العمري (١ : ٣١٠) •

(٢٢) طرّازي : خزائن الكتب العربية في الخافقَين (٢: ٥٠٦) •

ثم قال :

« وما كاد يمرّ على تنظيم دير مار يعقوب عشرون عاماً ، حتى ثار ثائر الأكراد في خريف السنة ١٨٩٥ على الأرمن مُجَاوريهم ، وافتعلوا ما افتعلوه من الفضائع والفضائح في ارمينيا وكردستان وما بين النهرين ، ممّا هو مشهور لدى الخاص والعام . فحملوا على مكتبة مار يعقوب وبعثروا مخطوطاتها الثمينة ومزّقوها وألقوا أوراقها في حوض ماءٍ بفناء الدير . غير انهم احتفظوا بالرقوق[٢٣] منها ، فخاطوها أخذيةً لأرجلهم. وعلى أثر تلك النكبة ، لم يَسْلم من مكتبة دير مار يعقوب الا بقيةٌ ضئيلة نقلها السيد عمانوئيل توما[٢٤] أسقف سعرت (١٨٩٢ ـ ١٩٠٠) الى خزانة كرسيه . فانه وجّه الى الدير شاباً نشيطاً يقال له يعقوب يوحنا[٢٤ب] ، كان من تلامذة إكليريكية الآباء الدومنكيين (١٨٨٦-١٨٩٤) بالموصل . فذهب الى الدير مُخاطراً بحياته ، وتمكّن بعد عناءٍ ومشقّة وافرة ، مِن لمِّ بقايا المخطوطات . ونَقَل على الجحاش ما استطاع نقله الى دار المطرنة بسعرت ...»[٢٥] .

هذا ما كان من أمر مكتبة دير مار يعقوب الحَبيس ونَقْلِ جانبٍ من ذخائرها الخطية الى مَقَرّ أبرشية سعرد . ولما تولّى المطران أدّي

---

(٢٣) المراد بذلك ما كان مكتوبا على الرقوق ، جمع الرقّ ، أي جلود الغزلان . ويسمّى بالانكليزية Parchment وبالفرنسية Parchemin

(٢٤) صار بطريركاً على الكلدان (١٩٠٠-١٩٤٧) باسم يوسف عمانوئيل الثاني .

(٢٤ب) كان هذا كلدانيا من سعرد . دخل معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل سنة ١٨٨٦ ، وغادره سنة ١٨٩٤ . (الاب يوسف حبي) .

(٢٥) خزائن الكتب العربية في الخافقين . (٢ : ٥٠٧) .

شير أبرشية سعرد ، وجّه عنايته الى تعزيز مكتبتها ، فأضاف اليها مخطوطاتٍ جديدة ومطبوعاتٍ مفيدة .

وفي وسْعِنا القول ، إنّ هذه المكتبة التي عُنِيَ هذا المطران العلّامة بِلَمِّ شعثها وتوسيع محتوياتها ، كانت من المكتبات « الشرقية » في موضوعاتها ، الزاخرة بنوادر المخطوطات والمطبوعات . فلقد كان أدّي شير ، وهو مَن هو في عالَمَي البحث والتأليف ، على صلةٍ وُثْقَى بعلماء المشرقيات . فما مِن شكٍّ في ان مكتبة سعرد ، كانت تضمّ الكثير من تصانيفهم التي وضعوها في آداب اللغة السريانية وتاريخها وتراثها .

ولكن الذي يحزّ في النفس ، انّ تلك المكتبة الحافلة بالأعلاق النفيسة ، قد ضاعت بعد مقتل صاحبها ، وطمس ذكرها واختفى أثرها . فلم يَعرِف أحدٌ على وجه التأكيد شيئاً عن مصيرها حتى يومنا هذا . فمِن قائلٍ إنها طُمرت في موضعٍ مجهول ، ومن قائلٍ إنها أُحرقت ، ومن قائلٍ إنها نُهبت وتفرّقت كتبها شذر مذر . وكلّ تلك الأقاويل لا تخرج عن كونها ظنوناً لا تستند الى حقيقةٍ ثابتة يُعوَّل عليها .

ذكر الأب ألبير أبونا : « ... ويُقال إنّ المطران أدّي شير ، إذ أحسّ بتوتّر الجو[٢٦] ، خبأ المخطوطات النفيسة في بئرٍ يابسة بعد أن لفّها بما يقيها من تَلَفِ الرطوبة ... »[٢٧] .

على أنّ هذا الكنز الذي خبأه أدي شير ، قد اكتنفه الغموض ولفّه

---

(٢٦) يريد توتّر الحالة في الدولة العثمانية بسبب انهماكها في الحرب العالمية الاولى .

(٢٧) أدب اللغة الآرامية . (ص ٥٤٥ ـ ٥٤٦) .

النسيان ، فلم تُعرَف أية بشرٍ هذه ، وماذا جرى لتلك المخطوطات التي أُخفيت فيها .

فبعد أن اُستُشهد المطران أدي شير في أواسط سنة ١٩١٥ على ما سبقت الاشارة اليه ، « أجهز الأكراد على مكتبته ، فأتلفوها بأجمعها ولم يَذَرُوا منها شيئاً . وكانت تحوي ما عزّ ونُدر من المخطوطات والمطبوعات . فكان إتلافها مصيبة من أعظم المصائب بل نكبة جديدة على الكتب والمكتبات » (٢٨) .

وكان الأب المستشرق يعقوب ڤوستي ، قد أشار الى هذا المصير الذي انتهت اليه مخطوطات سعرد ، في أثناء بحثه عن مخطوطات ديار بكر وغيرها (٢٩) .

٤ ـ ما سَلِمَ من مخطوطات هذه المكتبة :

على أننا في أثناء رحلتنا الاخيرة الى باريس ، في أواخر سنة ١٩٧١ ، اتّصلنا بصديقنا المستشرق الفرنسي الدكتور جيرار تروپو (Dr. Gérard Troupeau) ، فأهدى الينا طائفةً من مؤلفاته المطبوعة ، وكان من بينها نبذة نفيسة عن المخطوطات التي اقتنتها المكتبة الوطنية بباريس (٣٠) ، من مكتبة مطرانية الكلدان في سعرد ، وقد تمّ شراء تلك المخطوطات من المطران أدي شير نفسه في أثناء حياته .

---

(٢٨) خزائن الكتب العربية في الخافقين . (٣ : ١٠٤١) .

(٢٩) Vosté (J.M.), Notes sur les manuscrits syriaques de Diarbekir et autres localités d'Orient. (Le Muséon. T. 50 [1937], p. 347).

(٣٠) Troupeau (Gérard), Note sur les manuscrits de Séert conservés à la Bibliothèque Nationale de Paris.

وقد نُشر في الصفحة ٢٠٧ ـ ٢٠٨ من الكتاب التذكاري الخمسيني (١٩١٤ ـ ١٩٦٤) لمدرسة اللغات الشرقية في باريس

Mémorial Cinquantenaire (1914 - 1964), Ecole des Langues Orientales Anciens, Paris. (P. 207 - 208).

وفي آخر المطبوع من التاريخ السعردي ، ملاحظة كتبها گريفو (R. Griveau) يقول فيها انّ مخطوطة القسم الثاني من هذا التاريخ ، اقتنتها المكتبة الوطنية بباريس في أثناء طبع الكتاب • وهو يتساءَل عمّا اذا كانت تلك المكتبة قد اقتنت في ذلك الوقت عينه مخطوطاتٍ اخرى ، فتكون قد أفلتت من ذلك المصير البائس الذي حلّ بسائر مكتبة سعرد •

ولنا أن نقول إنّ سائر المخطوطات التي آلت الى المكتبة الوطنية في باريس ، قد عُنِيَ الاستاذ تروپو ، بفهرستها في نُبذته الي ألمعنا اليها • وقد استعنّا بها في إيراد أسمائها في الثَبَتِ الآتي • والرقم الأول يُشير الى الرقم في « فهرست » أدّي شير المطبوع عن مخطوطات سعرد ، المنوّه به • والرقم الثاني ، هو الرقم المُعطَى لتلك المخطوطات ذاتها في المكتبة الوطنية بباريس •

ودونك أسماء تلك المخطوطات مع أرقامها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رقم أدي شير	رقم المكتبة الوطنية	عنوان المخطوط
١	٣٧٢ سرياني	كتاب الصلوات الطقسية
٢	٣٤١ ،،	العهد القديم (نسخة مصوّرة مزوّقة)
٧	٣٤٢ ،،	العهد الجديد
٨	٣٦٠ ،،	،، ،،
٩	٣٦١ ،،	،، ،،
١٠	٣٦٢ ،،	،، ،،
١١	٣٤٣ ،،	،، ،،
١٢	٣٦٣ ،،	،، ،،
١٣	٣٦٤ ،،	،، ،،
١٤	٣٦٥ ،،	،، ،،

١٧	٣٥٥	،،	الانجيل (نسخة مصوّرة مزوّقة)
٢٤	٣٦٦	،،	كتاب الاسكوليون : تأليف تيودورس بركوني
٢٩	٣٦٧	،،	شرح المزامير : للربّان دنحا
٨٥	٣٦٨	،،	كتاب النَحْلة : لسليمان البصري
٩١	٣٥٤	،،	سبع مقالات على كتاب المنطق لأرسطو : لسرجيس الرسعني
٩٨	٣٦٩	،،	قواعد اللغة السريانية : لايشوعياب الاربلي
١٠١	٣٧٠	،،	،، ،، ،، : لايشوعياب بر ملكون
١٠٤	٣٥٣	،،	فردوس عدن : لعبد يشوع الصوباوي
١١٠	٣٧١	،،	ميمر في الربّان هرمزد : لسرجيس الاذربيجاني
١٢٨	٦٦٥٣	عربي	التاريخ النسطوري ، وهو المعروف بالتاريخ السعردي
١٢٩	٦٥٠١	،،	تاريخ مختصر الدول : لابن العبري
١٣٠	٦٦٥٤	،،	شرح مسائل في الطب : لحُنين بن اسحق
١٣٤	٦٥٠٢	،،	قوانين كنيسة قبطية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهذه المخطوطات الثلاث والعشرون ، قد سَلِمت من الضياع واستقرّت في المكتبة الوطنية بباريس • ويتّضح من هذا الثَبَت ، انّ تسع عشرة مخطوطة منها مؤلفة بالسريانية ، والأربع الاخرى بالعربية ، وانّ اثنتين منها مزوّقتان ، أي فيهما تصاوير • ويؤخذ من فهرست أدّي شير نفسه ، انّ إحدى عشرة مخطوطة منها مكتوبة على الرق •

وكان الفيكنت فيليب دي طرازي (المتوفى سنة ١٩٥٦) ، قد نوّه بمخطوطةٍ أخرى ، يبدو أنها نجت أيضاً من تلك الغائلة التي اجتاحت مكتبة سعرد ، قال : « روى لنا السيد تريفون قلمكاريان ، أحد هواة المخطوطات العتيقة، انه عثر مع أحد الأكراد، قريباً من نصيبين، على مخطوطٍ

غاية في الضخامة ، قال إنّ وزنه أناف على اثني عشر كيلوغراماً ، فاشتراه من الكردي بمبلغ خمس عشرة ليرة ذهبية ، وشاهَدَ عليه توقيع المطران أدّي شير وختمه »[٣١] .

ولسنا نعلم اليوم شيئاً عن هذا الرجل الذي يبدو من اسمه انه أرمنيّ ، ولا عن مصير تلك المخطوطة الهائلة الحجم التي كانت في جملة ما تناهَبَتْه الأيدي من محتويات تلك المكتبة السعردية المنكوبة .

٥ ـ مصادر البحث[٣٢] عن آدّي شير : حياته ، مؤلفاته ، مكتبته :

أبونا (الأب ألبير) : أدب اللغة الآرامية ، (مط ستاركو ـ بيروت ١٩٧٠ ؛ ص ٥٤٤ ـ ٥٥٠ وراجع أيضاً « فهارس » الكتاب ص ٧٠٥) .

أرملة (الخوري اسحق ، ت ١٩٥٤) : القُصَارَى في نكبات النصارى (ص ٣٨٦ ـ ٣٩٠) طُبع هذا الكتاب بتوقيع « شاهد عيان » ، دون ذكر اسم المطبعة ، والمدينة التي طُبع فيها ، وتاريخ الطبع . والأرجح عندنا أنه طُبع سنة ١٩١٩) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بابو اسحق (روفائيل ، ت ١٩٦٤) : تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العربية الى أيامنا . (مط المنصور ـ بغداد ١٩٤٨ ؛ ص ١٥٢ ـ ١٥٣) .

بطرس (الشماس عزيز ، ت ١٩٦٥) . راجع مادة : الشقلاوي .

---

(٣١) خزائن الكتب العربية في الخافقين (٢ : ٥٠٨) .

(٣٢) اتخذنا في هذه القائمة ، الرموزَ الآتية ، التماساً للاختصار :

ت	المتوفّى سنة
ص	صفحة
ط	طبعة (ط ١ = الطبعة الاولى)
مط	مطبعة
المط	المطبعة

بطي (روفائيل ، ت ١٩٥٦) : المطران السيد أدّي شير أبرهينا الكلداني • (لغة العرب ٤[بغداد ١٩٢٦] ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥) •

تفنكجي (الخوري يوسف ، ت ١٩٥٠) • انظر : المراجع الافرنجية •

تروبو (جيرار) • أنظر : المراجع الافرنجية •

الجلبي (الدكتور داود ، ت ١٩٦٠) : مخطوطات الموصل • (مط الفرات ـ بغداد ١٩٢٧ ؛ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨) •

داغر (الدكتور يوسف أسعد) : دليل الأعارب الى علم الكتب وفنّ المكاتب • (مط صادر ـ ريحاني : بيروت ١٩٤٧ ؛ ص ٨٢) •

ـــــ : فهارس المكتبة العربية في الخافقين • (مط صادر ـ ريحاني : بيروت ١٩٤٧ ؛ ص ٣٧ ـ ٣٨) •

ـــــ : مصادر الدراسة الأدبية • (الجزء الثالث : القسم الأول • مط حبيب عيد ـ بيروت ١٩٧٢ ؛ ص ١١٧ ـ ١١٩) •

الزِركْلي (خيرالدين) : الأعلام (١ [ط ٣ : بيروت ١٩٦٩] ص ٢٧٤)•

سركيس (يوسف أليان ، ت ١٩٣٢) : معجم المطبوعات العربية والمعرّبة• (مط سركيس ـ القاهرة ١٩٢٨ ؛ ص ٤١٢ ـ ٤١٣) •

الشقلاوي (الأب الراهب الياس ، ت ١٩٤٩) : كتاب الرعاة • ألّفه بالسريانية ولم يُطبع • وقد عُنِيَ الشمّاس عزيز بطرس (ت ١٩٦٥) ، بنقله الى العربية سنة ١٩٥٢ وإكماله • وما زال هذا أيضاً مخطوطاً •

شيخو (الأب لويس ، اليسوعي ، ت ١٩٢٧) : تاريخ الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين • (المط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٢٦؛ ص ٥٦) •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـــــ : المخطوطات العربية لكتبة النصرانية • المشرق ٢١ [١٩٢٣] ص ٢٩٩ الرقم ٤٧٤) •

ـــــ : المطران أدي شير أبرهينا • (المشرق ١٨[١٩٢٠] ص ٨٤ – ٨٥) • ضمن بحثه « مَنَاعي آل الوطن في أثناء الحرب » المنشور في ص ٨١ – ٩٥ •

ـــــ : نوّه ببعض تآليف أدي شير • راجع :

المشرق ٨ [١٩٠٥] ص ٨١٧ ، ١٠٠٩ – ١٠١٠ •

" ١١ [١٩٠٨] ص ٢٣٢ ، ٨٧٣ – ٨٧٤ •

" ١٢ [١٩٠٩] ص ٤٩١ ، ٧١٢ – ٧١٣ •

" ١٦ [١٩١٣] ٣٩٠ – ٣٩١ ، ٩٥٣ – ٩٥٤ •

شير (المطران أدّي ، ت ١٩١٥) : رسائل أدّي شير الى الأب أنستاس ماري الكرملي • (مخطوطة عندنا • وهي ست عشرة رسالة باللغة العربية ، كتبها أدّي شير الى الأب أنستاس • وقد أهدانا الأب أنستاس إليّ والى أخي ميخائيل عواد في ١٣–١٢–١٩٤٣ • انّ الرسائل ١ – ٨ كتبها أدّي شير سنة ١٩٠١ حينما كان قساً في كركوك ، وهي بتوقيع « القس أدي صليبا أبرهينا » • أما الرسائل ٩ – ١٦ فقد كتبها بعدما صار مطراناً على سعرد ، ووقعها بهذه الصورة « + أدّي شير رئيس أساقفة سعرد » • وأقدم هذه الرسائل مؤرخ في ٣١ كانون الثاني ١٩٠١ ، وأحدثها في ٢١ آذار ١٩٠٧ • وقد نشرنا إحداها بالزنكغراف في هذا البحث)

شير (الأب جبرائيل ، ابن أخي المطران أدي شير) • كتب الاب جبرائيل شير ، ترجمة حياة أدي شير ، باللغة السريانية • وقد نقلها من السريانية الى العربية : الخوري حنا مرقس ، مع ملخص لها بالفرنسية ، حينما كان تلميذاً في معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل • والمقالتان المنشورتان بالفرنسية في مجلة هذا المعهد (انظر : مادة Scher

هذه سعرد في ٧ تموز ١٩٠٤

عدد ٧٦٠

حضرة الأب الفيلسوف الجليل الباديا انستاس ماري الكرملي الأحترام

عند السلام مع افتقاد الخط العزيز الشريف اني حقيقاً بعزيز خطكم الشريف يقيم ع الماضي ووجهت كتباً. بحياتكم الا تخجلون. ويا ليتني كنت اعانقكم لهنا سانحة اخيرة وتأكدوا انكم اذا رأيتكم لهنا في سعرد فيصير فرحي كاملاً. بحياتكم الا تخجلون مفيد يصير لكم مصنفات كثيرة للمقالات الرائعة الكاملة. واذا صار بعض يتأفف سيدنا الخالق الكلي الوقار لهنا ولهنا فالفائدة تكون اعظم فالتفت اليه تعالى الله يحقق الآمال وعلم الاكمال. الكتاب الشرقي المطبوع الذي اسمع عنه قد كمل طبعه بمصر وهو عند الآباء الدومنيكيين وهو طبعي تراجم المؤلفين السريان ان كان شديدك وان هواطفك. الى مكتبة سعرد غنية وان كان فقير منها كتب كثيرة في الاعتناق. ماعدا مطبوعات المخطوطات الكلدانية والعربية يوجد فيها مطبوعات في اكثر لغات العالم. ان الصيف هنا في منتهى شدته فالمرجو من حضرتكم ان تقاسمونا في الصلوات واعانتكم كما اعتكم ودمتم سالمين

+ ادي ...
رئيس اساقفة سعرد

أنموذج من خطّ المطران أدّي شير بالعربية . يتضمّن رسالة بعث بها ، من سعرد في ٧ تموز ١٩٠٤ ، الى صديقه الأب أنستاس ماري الكرملي .

في المراجع الافرنجية) ، منبثقتان مما كتبه الخوري حنا مرقس •

شير (الأب فرنسيس) : المطران أدّي شير ـ (مجلة « بين النهرين » ٢ [الموصل ١٩٧٤] العدد ٥ ؛ ص ٥٥ ـ ٦٥) •

الصائغ (المطران سليمان ، ت ١٩٦١) : فقيد العلم السيد أدّي شير مطران سعرت الطيب الذكر • (المشرق ٢٣ [١٩٢٥] ص ٣٦ ـ ٤٤) •

ـــــ : المطران أدّي شير • (مجلة « النجم » ١ [الموصل ١٩٢٩] ص ١٦٧ ـ ١٧٦) •

طرّازي (الفيكنت فيليب ، ت ١٩٥٦) : خزائن الكتب العربية في الخافقَين • (٣ أجزاء ، متسلسلة الصحائف • مط جوزف صيقلي ـ بيروت ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ؛ ص ٥٠٦ـ٥٠٨ ، ٧٧٥ ـ ٧٧٦ ، ١٠٤١)•

العزّاوي (عباس • ت ١٩٧١) : تاريخ الأدب العربي في العراق (١ ـ ٢ : مط المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٦٠ ـ ١٩٦٢) • ج١ : ص ١٢٨ ؛ ج ٢ : ص ١٠١ ـ ١٠٢ •

عوّاد (كوركيس) : أثر قديم في العراق : دير الربّان هرمزد بجوار الموصل • (مط النجم ـ الموصل ١٩٣٤ ؛ ص ٥٢ ـ ٥٣) •

ـــــ : تطوّر فهرسة المخطوطات في العراق•(مط المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٧٣ ؛ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ، ١٤٨ ـ ١٥٠) • مستلّ من « مجلة المجمع العلمي العراقي » المجلد ٢٣ ، ص ١١٠ ـ ١٥٦ •

ـــــ : معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين • (١ [مط الارشاد ـ بغداد ١٩٦٩] ص ١٠٤ ـ ١٠٦) •

فيي (الأب الدكتور حنا) • انظر مادة Fiey في المراجع الافرنجية •

گراف (الأب جورج ، ت ١٩٥٥) • انظر مادة Graf في المراجع الافرنجية•

مجاهد (زكي محمد) : الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة الهجرية • (٣ [القاهرة ١٣٧٤هـ] ص ١٣٧) •

المعلوف (عيسى اسكندر ، ت ١٩٥٦) ، (مجلة مجمع اللغة العربية ، ١ [القاهرة ١٩٣٤] ص ٣٥٩) •

موس (كيريل) أنظر مادة Moss في المراجع الافرنجية

نصري (الأب بطرس ، ت ١٩١٧) : أدّي صليبا • (المشرق ٩[١٩٠٦] ص ٦٨٩) • ضمن بحثه « لمعة في الأبرشيات الكلدانية وسلسلة أساقفتها » •

نعيّم (الأب يوسف ، ت ١٩٥٥) انظر مادة : Naayem في المراجع الافرنجية •

نورو (أبروهوم) : جولتي في أبرشيات الكنيسة السريانية في سوريا ولبنان• (دار الرائد ـ بيروت ١٩٦٧ ؛ ص ١٧٣) •

هويسمان • انظر مادة Huisman في المراجع الافرنجية •

* * *

استشهاد ثلاثة أساقفة كلدان في أثناء الحرب العالمية الاولى • (مجلة « رسالة قلب يسوع » ١٣ [بيروت ١٩٣٢] ص ٢٩٢) •

شير ، أدّي • (« المنجد في الأعلام » ، ط ٧ : المط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٧٣ ؛ ص ٣٩٨) •

مجلة معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل • انظر : المراجع الافرنجية [BSSC]

* * *

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

Fiey (Jean Maurice), L'apport de Mgr. Addaï Scher (+ 1915) a l'hagiographie orientale. (Analecta Bollandiana, LXXXIII, fasc. 1-2, Bruxelles, 1965; pp. 121 - 142).

Graf (Georg), Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur. (Citta del Vaticano, Vol. II, 1947, p. 146. Vol. IV, 1951, p. 113).

Huisman (A.J.W.), les manuscrits Arabes dans le monde. (E. J. Brill, Leiden. 1967; p. 45, 51, 71, 79).

Macomber (W.F.), New Finds of Syriac Manuscripts. (ZDMG., 1969; p. 479).

Moss (Cyril), Catalogue of Syriac Printed Books and related Literature in the British Museum. (London, 1962; Col. 969 — 972).

Naayem (L'abbé J.), Les Assyro - Chaldéens et les Arméniens massacrés par les Turcs. (Bloud, 1920; p. 74 - 97 avec photo p. 72).

..... , Shall this Nation Die ? (Printed in America, p. 158 - 159).

Scher (Père Gibra'il), Vie de Monseigneur Addée Scheer, d'aprés un manuscrit chaldéen de Cas Djibrail Scheer. Traduit et résumé par Hanna Marcos. (٣٣)

(Bulletin des anciens élèves du Seminaire Syro - Chaldéen, Mossoul. 1 re année, No. 4, Oct. 1933, pp. 49 - 53. IIe année, No. 1 , Janvier 1934, pp. 13 - 16).

Tfinkdji (J), L'Église Chaldéenne catholique autrefois et aujourd'hui. (Paris, 1913; p. 47 - 48).

(٣٣) هو المطران حنا بولس مرقس ، مطران زاخو . وكان يومذاك تلميذاً . (الاب يوسف حبي) .

Troupeau (Gérard), Note sur les manuscrits de Séert conservés à **la** Bibliothèque Nationale de Paris. (Mémorial Cinquantenaire (1914 - 1964), École des Langues Orientales Anciens, Paris. p. 207 - 208).

Bulletin du Seminaire Syro - Chaldéen, Mossoul. (1953, p. 100 - 101, 299).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة اهل الكهف
في المصادر السريانية

بقلم زكا عيواص
مطران بغداد والبصرة للسريان الارثوذكس
ونائب رئيس مجمع اللغة السريانية

تمهيـــد :

لا بدعة اذا قلنا ان الادب السرياني المسيحي زاخر بالقصص المشوقة سواء أكانت موضوعة بالسريانية أم منقولة اليها ، ليجتني القراء من مطالعتها فوائد روحية جليلة . تناقلتها الالسن ، وتوارثتها الاجيال ، ودوّن جزء كبير منها في عصر أبطالها ، أو بعدهم بمدة قصيرة أو طويلة . وهي تتناول سير بعض الآباء الاولين ، ورجالات الكنيسة الميامين ، والشهداء ، والمعترفين[1] والقديسين ، والنساك الفضلاء ، والنسوة الفواضل .

ولا يُنكر ما طرأ على قسم من هذه القصص من زيادة أو نقصان أتياها عن طريق بعض الكتاب والنساخ الذين أرخوا لمخيلتهم العنان ، فسبحت في أجواء الخيال ، وأضافت الى الحوادث أخباراً هي أقرب الى الاساطير منها الى الواقع التاريخي . ومع كل ذلك فبامكان المؤرخ المدقق الذي يهمه تحرّي الحقيقة ، أن يقع عليها مجردة فيقبلها وحدها ويرفض سواها .

ومن القصص السريانية الرائعة ، قصة أهل الكهف ، التي نتناول بحثها ودراستها بامعان لما لها من أهمية تاريخية .

---

(١) المعترف هو من اضطهد في سبيل الدين ولم يستشهد .

مجمل القصة كما جاءت في النص السرياني النثري[٢] :ـ

عندما ملك داقيوس الاثيم (٢٤٩ ـ ٢٥١) على المملكة الرومانية ، وزار مدينة افسس ، أصدر أمره الى نبلائها بنحر الذبائح للاصنام ، وأمر بقتل المسيحيين الذين لم يخضعوا لامره ، فقتل عدد كبير منهم والقيت جثثهم للغربان والنسور والعقبان وسائر الجوارح • وحاول بالوعد والوعيد اقناع سبعة[٣] شبان من أبناء النبلاء ، وشي بهم اليه ، أن ينكروا دينهم المسيحي ، الذي تمسكوا به بعروة وثقى ، ويقدموا الذبائح للاوثان ، فرفضوا • فنزع عن أكتافهم شارات الحرير ، وأخرجهم من أمامه • واستمهلهم أياما علهم يعدلوا عن رأيهم ويخضعوا لامره •

وانطلق داقيوس الملك الى زيارة مدن اخرى • مجاورة لافسس على أن يعود اليها ثانية للغاية المذكورة أعلاه •

وكانت الفرصة سانحة ومؤاتية للفتيان السبعة ليقرنوا أيمانهم بأعمالهم الرحمة ، فأخذوا من دور آبائهم ذهباً ، ومالا كثيرا ، وتصدقوا به على الفقراء ، سرا وعلناء والتجأوا الى كهف كبير ، في جبل انكليوس (Ocholon) مواظبين على الصلاة •

وكان (يمليخا) أحدهم يتشح بأسمال متسول متخفيا ، ويدخل المدينة ليبتاع لهم الطعام ، ويتسقط الاخبار مستطلعا ماجريات الامور في قصر الملك ، ويعود الى رفاقه فيخبرهم عما في المدينة ، وما يقع من أحداث• وذات يوم عاد داقيوس الملك الى افسس ، وطلب الفتيان السبعة فلم

---

(٢) عرّبنا النص بحذافيره ، ونشرناه في المجلة البطريركية الدمشقية الغراء في العددين ٦٦ و ٦٧ لسنة ١٩٦٩ في الصفحات (٣٠٠ ـ ٣٠٧) و (٣٤٧ ـ ٣٥٥) •

(٣) بعض المصادر تذكر ثمانية بدلا من سبعة •

يجدهم • وكان يمليخا اذ ذاك في المدينة فخرج منها هلعا ناجيا ، لا يلوي على شيء ، ومعه قليل من الطعام وصعد الى الكهف حيث رفاقه ، وأخبرهم عن دخول الملك الى المدينة ، وبحثه عنهم • فتملكهم الخوف وركعوا على الارض ممرغين وجوههم بالتراب متضرعين الى الله بحزن وكآبة • ثم أكلوا ما جلبه لهم (يمليخا) من الطعام • وبينما كانوا يتجاذبون أطراف الحديث ، استولى عليهم النعاس ، وغشاهم سبات هنيء ، فرقدوا بهدوء رقاد الموت • ولم يشعروا بموتهم •

وحيث ان الملك لم يعثر عليهم في المدينة استقدم ذويهم ، فأخبروه بأن الفتية قد هربوا الى كهف في جبل (انكيلوس) فأمر الملك بسد باب الكهف بالحجارة ليموتوا ، فيصير الكهف قبرا لهم • غير عالم ان الله قد فصل أرواحهم عن أجسادهم لقصد رباني أعلن بعد سنين بأعجوبة باهرة •

وكان (انتودورس) و (اريوس) خادما الملك ، مسيحيين • وقد أخفيا عقيدتهما خوفا منه ، فتشاورا معا وكتبا صورة ايمان هؤلاء المعترفين بصحائف من رصاص ، وضعت داخل صندوق من نحاس ، وختمت ، ودُست في البنيان عند مدخل الكهف •

وهلك داقيوس ، وخلفه على العرش الروماني ملوك كثيرون ، حتى جلس في دست الحكم الملك المؤمن ثيودوسيوس الصغير (٤٥٠ +) ، وظهرت على عهده بدع عديدة حتى أن بعضهم أنكر قيامة الموتى ، وتبلبلت أفكار الملك ، وشفه الحزن ، فاتشح بالمسوح ، وافترش الرماد • وطلب من الرب أن يضيء أمامه سبيل الايمان •

وألقى الله في نفس (ادوليس) صاحب المرعى الذي يقع فيه الكهف ، حيث رقد المعترفون ، أن يشيد هناك حظيرة للماشية ، فنزع العمال الحجارة

عن باب الكهف ، ولما انفتح ، أمر الاله أن يُبعث الفتية الراقدون أحياء ، فعادت أرواحهم الى أجسادهم ، واستيقظوا ، وسلـم بعضهـم عـلى بعض كعادتهم صباح كل يوم ، ولم تظهر عليهم علامة الموت ، ولم تتغير هيئتهم ولا ألبستهم التي كانوا متشحين بها منذ رقادهم ، فظنوا وكأنما قد نامـوا مسـاءً واستيقظوا صباحا •

ونهض يمليخا كعادته صباح كل يوم ، وأخذ نضة وخرج من الكهف متجهاً نحو المدينة ليشتري طعاماً • وعندما اقترب من بابها دهش حين رأى علامة الصليب منحوتة في أعلاه ، فتحول الى باب آخر من أبوابهـا فرأى المنظر ذاته ، ودخل المدينة فلم يعرفها اذ شاهد فيها أبنية جديدة تنكرت له ، وسمع الناس تقسم باسم السيد المسيح ، فسأل أحد المارين عن اسم المدينة ، فأجابه اسمها افسس ، فزاد يمليخا حيرة وقال في نفسه : لعمري لا أعلم ما جرى لي ، ألعلي فقدت عقلي وغاب عني صوابي ؟ الافضل أن اسرع بالخروج من هذه المدينة قبل أن يمسني الجنون فأهلك •

واذ كان (يمليخا) مسرعاً ليترك المدينة ، تقدم ، بزي شحاذ ، الى أحد الخبازين وأخرج دراهم من جيبه وأعطاه اياها فأخذ هذا يتأملهـا فرآها كبيرة الحجم ، ويختلف ضرب طابعها عن طابع الدراهم المتداولة في عصرهم ، فتعجب جدا • وناولها لزملائه ، فتطلعوا الى (يمليخا) وقالوا : انه قد عثر على كنز خبيء من زمن طويل • فألقوا عليه القبض وأخـذوا يسألونه قائلين : من أين أنت يا هـذا ؟ لقد اصبت كنزاً من كنوز الملوك الاولين ، وتألب الناس حوله ، واتهمه بعضهم بالجنون وأخيراً جاءوا الى أسقف المدينة ، وكان يزوره وقتئذٍ والي افسس فقد شاءت العناية الربانية أن تجمعهما في تلك الساعة معاً ليظهر على أيديهما للشعوب كلها كنز بعث الموتى ، فأقرّ

(يمليخا) أمامهما بأنه رجل من أهل افسس ، وانه لم يعثر على كنز ، وان الدراهم التي معه هي من نفس عملة تلك المدينة ، وقد اشترى بمثلها ، قبل يوم واحد فقط خبزا ، فقال له الوالي : ان صورة الدراهم تشير الى أنها قد ضربت قبل عهد داقيوس الملك بسنين ، فهل وُجدتَ يا هذا قبل أجيال عديدة ، وأنت لا تزال شاباً • فعندما سمع (يمليخا) ذلك سجد أمامهم وقال : أجيبوني أيها السادة عن سؤال ، وأنا أكشف لكم مكنون قلبي ، انبئوني عن الملك داقيوس الذي كان عشية أمس في هذه المدينة ، أين هو الآن ؟ أجابه الاسقف قائلا : ان الملك داقيوس مات قبل أجيال ، فقال (يمليخا) : ان خبري أصعب من أن يصدقه أحد من الناس • هلم معي الى الكهف في جبل (انكيلوس) لاريكم أصحابي ، وسنعرف منهم جميعاً الامر الاكيد • أما أنا فأعرف أمرا واحدا هو أننا قد هربنا منذ أيام من الملك داقيوس ، وعشية أمس رأيت داقيوس يدخل مدينة افسس ولا أعلم الآن اذا كانت هذه المدينة افسس أم لا ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فانشغل بال الاسقف عند سماعه قول يمليخا وبعد تفكير عميق قال : انها لرؤيا يظهرها الله لنا اليوم على يد هذا الشاب ، فهلمَّ بنا ننطلق معه لنرى واقع الامر • قال هذا ونهض الوالي وجمهور من الناس ، وعندما بلغوا الكهف عثروا في الجهة اليمنى من بابه على صندوق من نحاس عليه ختمان من فضة ، فتناوله الاسقف ، ووقف أمام مدخل الكهف ، ودعا رجال المدينة وفي مقدمتهم الوالي ، ورفع أمامهم الاختام ، وفتح الصندوق ، فوجد لوحين من رصاص ، وقرأ ما كُتب عليهما : « لقد هرب الى هذا الكهف من أمام وجه داقيوس الملك ، المعترفون مكسيمليانوس ابن الوالي ويمليخا ، ومرتينيانوس ، ويونيسيوس ، ويؤانس ، وسرافيون ، وقسطنطنوس ،

وانطونينوس • وقد سد الكهف عليهم بحجارة ، وكتب أيضا في سطور اللوحين الاخيرة صورة ايمان المعترفين وعندما قرئت هذه الكتابة ، تعجب السامعون ، ودخلوا الكهف فشاهدوا المعترفين جالسين بجلال ووجوههم مشرقة كالورد النضر • فكلوهم ، وسمعوا منهم أخبار الحوادث التي جرت على عهد داقيوس •

وأُرسل فورا الى الملك ثيودوسيوس بريد مكتوب ، مضمونه : (لتسرع جلالتك وتأتِ فتر ما أظهره الله تعالى على عهدك الميمون من العجائب الباهرات ، فقد أشرق من التراب نور موعد الحياة وسطعت من ظلمات القبور أشعة قيامة الموتى بانبعاث أجساد القديسين الطاهرة •) •

ولما بلغ ثيودوسيوس الملك هذا النبأ ، وهو في القسطنطينية ، نهض عن الرماد الذي كان قد افترشه ، وشكر الله ، وجاء والاساقفة وعظماء الشعب ، الى أفسس ، وصعدوا جميعا الى الكهف الذي ضم المعترفين في جبل انكيلوس فرأوهم ، وعانقهم الملك ، وجلس معهم على التراب ، وحدثهم • ثم ودّع المعترفون الملك ، والاساقفة ، والشعب ، وأسلموا أرواحهم بيد الله • فأمر الملك أن يُصنع لهم توابيت من ذهب ، ولكن الفتية ظهروا له في حلم في الليل ، وقالوا له ان أجسادنا انبعثت من تراب لا من ذهب ، فاتركنا في كهفنا على التراب •

وأقرّ مجمع الاساقفة عيداً لهؤلاء المعترفين(٤) • ووزع الملك صدقات جزيلة على الفقراء ، وأطلق سراح الاساقفة المأسورين في المنفى ، وعاد ومعه الاساقفة الى القسطنطينية مغمورين بفرحة ايمان الملك ممجدين الله تعالى على كل ما جرى •

---

(٤) سنورد في ختام هذا البحث نبذة بشأن هذا العيد •

أقدم من كتب القصة بالسريانية

وصلت الينا هذه القصة بلغة سريانية أصيلة ، نثرا ونظما • أما النثر فقد كتبه لنا زكريا الفصيح (٥٣٦ +) ويوحنا الافسسي (٥٨٧ +) وكلاهما من المؤرخين الثقات ، وقريبي العهد من زمن الحادثة • وحيث أن المؤرخ ، شاهد للحدث التاريخي ، لذلك لابد لنا أن نعرف شيئاً عن حياة كل منهما ، لنثمن شهادتهما هذه •

أما زكريا الفصيح ، فقد ولد في غزة ، ودرس النحو ، والبيان ، والفقه ، والفلسفة في مدرستي الاسكندرية وبيروت ، ومارس المحاماة في القسطنطينية ، ثم رسم اسقفا على جزيرة مدللي بعد سنة ٥٢٧م • وأهم مصنفاته تاريخ ديني مدني كتبه باليونانية تناول فيه بالتفصيل أحداث الفترة الواقعة ما بين سنتي ٤٥٠ و ٤٩١ نُقل الى السريانية ملخصاً ، وفُقد أصله اليوناني ثم نقله برمته الراهب صاحب الكتاب المنحول تاريخ زكريا الى مجموعته التاريخية القيمة التي الفها بالسريانية سنة ٥٦٩م ، ولعل هذا المؤلف هو الذي ترجم تاريخ زكريا الفصيح الى السريانية • وقد نشر هذا الكتاب (لاند) ، ثم (بروكس) في مجلدين منقولا الى اللاتينية سنة ١٩١٩ وتوفي زكريا سنة ٥٣٦م[٥] على ما أسلفنا •

أما يوحنا الافسسي فقد ولد حوالي سنة ٥٠٧ في بلد (اكل) من أعمال ولاية (آمد) ، وترهب في ميعة صباه ، وتبحر في علوم الكتاب المقدس ، وأتقن اللغتين السريانية واليونانية ، ورسم مطراناً لافسس عام ٥٥٨م فنسب اليها والى آسيا الصغرى وتوفي في حدود سنة ٥٨٦م أو ٥٨٧م • ومن جملة النعوت التي اطلقت عليه « مؤلف تواريخ البيعة » •

---

(٥) اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك افرام الاول برصوم طبعة حلب ١٩٥٦ ص ٣١٥ ـ ٣١٦ و ٣٢٠ ـ ٣٢١ •

قال فيه البطريرك افرام الاول برصوم :[٦] : « وصنف يوحنا تاريخا كنسياً في ثلاثة مجلدات يشتمل كل منها على ستة أسفار أو أبواب ، الاول والثاني من عهد يوليوس قيصر حتى سنة ٥٧١ والثالث وضمنه أخبار الكنيسة والعالم من سنة ٥٧١ حتى ٥٨٥ وهو ٤١٨ صفحة • المجلد الاول مفقود ، والثاني نقل برمته تقريباً الى التاريخ الذي الفه الراهب الزوقنيني عام ٧٥٥م[٧] • وأما الثالث فوصل الينا ، وقد سقطت منه بضعة فصول ••• وكان يوحنا مؤرخاً ، صادقاً ، محققا ، مجتهداً ، يقدر الحوادث قدرها من الوجهة الارثوذكسية ولكنه نزيه » •

أما النص الشعري السرياني لقصة أهل الكهف ، فهو للشاعر السرياني الملهم مار يعقوب السروجي (٥٢١ +) الذي نظم قصيدة عصماء على الوزن الاثني عشري ، تقع في أربعة وسبعين بيتاً ، وهو ولئن سمح لفكره أن يسبح في الخيال ، ولكنه احتفظ بعناصر القصة الرئيسة[٨] •

---

(٦) فيه ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ •

(٧) ألف راهب فاضل من دير زوقنين القريب من آمد تاريخا كبيرا في مجلدين من الخلقة حتى زمانه • ونقل عن المؤرخين القدماء الى يوحنا الآسيوي سنة ٥٨٧ + وبعد ذلك وقف على نتف من الاخبار دوّنها ولم يدقق ضبط السنين • ولما قارب زمانه سنة ٧٢٠ بسط القول بما كان فيه من الاحداث الدينيّة والدنيوية والكوائن الطبيعية ، فأورد وقائع مفصلة تتعلق بأواخر أيام الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية الى زمان المهدي وتفرد بكثير منها ، فلا تجده في أي تاريخ كان سرياني أو يوناني أو عربي • له نسخة في الفاتيكان عدد ١٦٢ كتبت قبل سنة ٩٣٢م (عن اللؤلؤ المنثور ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠) •

(٨) للقصيدة مخطوطة نفيسة في مكتبة الفاتيكان تحت رقم (١١٥) Siriaco لا يعرف ناسخها ولا تاريخ كتابتها ، يقدر السمعاني تاريخها بالقرن السابع أو الثامن نشرها المستشرق الايطالي غويدي ، ونسخة ثانية تخص ديرنا المرقسي في القدس نسخها حبيس دير القيامة سنة ١٨٩٨ى = ١٥٨٧م وعنها كتبت نسخة دير الزعفران وعنها كتبت نسخة خزانتنا بيد الابدياقون ابراهيم جوشقان العرناسي • ونسخة اخرى تخص مكتبة الفاتيكان أيضا يقدر تاريخ نسخها بالقرن السادس عشر أو السابع عشر للميلاد •

ولد يعقوب السروجي في قرية (قورتم) على ضفة الفرات عام ٤٥١م ودرس اللاهوت ، والفلسفة ، والعلوم اللغوية ، في مدرسة الرها ، وترهب ، وتنسك ، ورسم كاهنا ، ثم قلد رتبة (البريودوط)[٩] أي الزائر ، لبلدة حورا ، وعام ٥١٩ رسم أسقفاً على (بطنان سروج) وانتقل الى جوار ربه عام ٥٢١م • وعيدت له الكنيسة •

نظم على البحر الاثني عشري ، الذي استنبطه وعرف بالبحر السروجي نسبة اليه • وقد جمعت قصائده فبلغت سبعمائة وستين ، قد تبلغ أبيات بعضها الالفين أو الثلاثة أو تزيد • وتناولت أهم أحداث الكتاب المقدس ، والايمان ، والفضائل ، والبعث ، والتوبة • والتزهيد بالدنيا ، وتقريظ القديسين • أما مصنفاته النثرية فهي رسائل ، وخطب للاعياد • وله تفاسير ، وكلها بانشاء جزل متين[١٠] •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

متى رقد أهل الكهف ؟
وما مدة رقادهم ؟
ومتى استيقظوا ؟

أجمع المؤرخون السريان ، ان رقاد أهل الكهف كان على عهد الملك داقيوس (٢٤٩ ـ ٢٥١م) أما استيقاظهم فكان على عهد الملك

---

(٩) البريودوط كلمة يونانية معناها نائب الاسقف أو كبير الخوارنة وقد يسمى بالسريانية الساعور وهو الراهب القسيس الذي يوفده الاسقف في بعض مهام الرعية ج بريودوطية (عن اللؤلؤ المنثور ص ٦١٥) •

(١٠) اللؤلؤ المنثور ص ٢٧٣ ـ ٢٨٠ وخمائل الريحان أو ارثوذكسية مار يعقوب السروجي الملفان للراهب (بعدئذ المطران) بولس بهنام الموصل ١٩٤٩ • وهبة الايمان للبطريرك يعقوب الثالث •

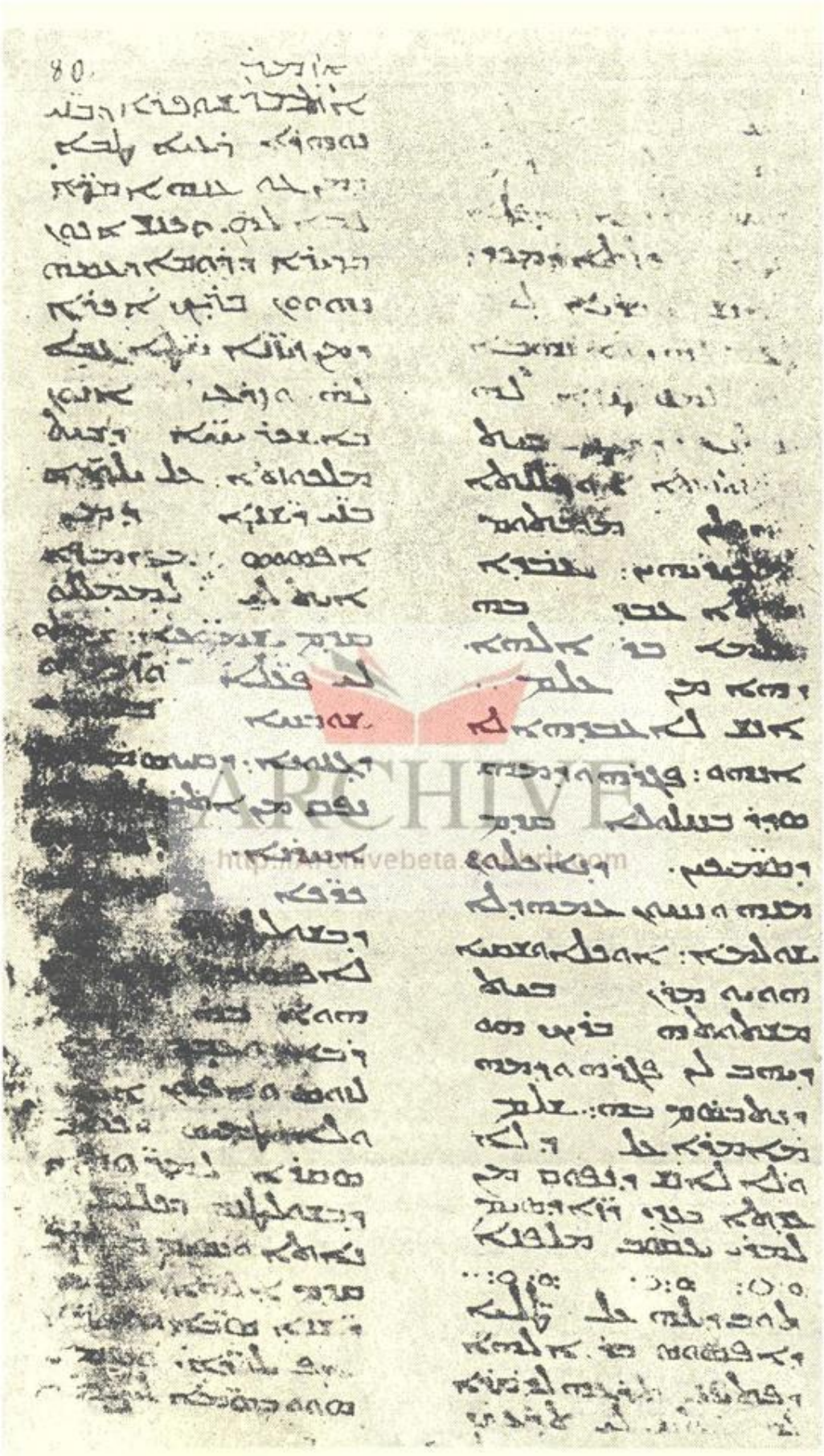

صفحتان من قصيدة مار يعقوب السروجي ـ لقصة أهل الكهف

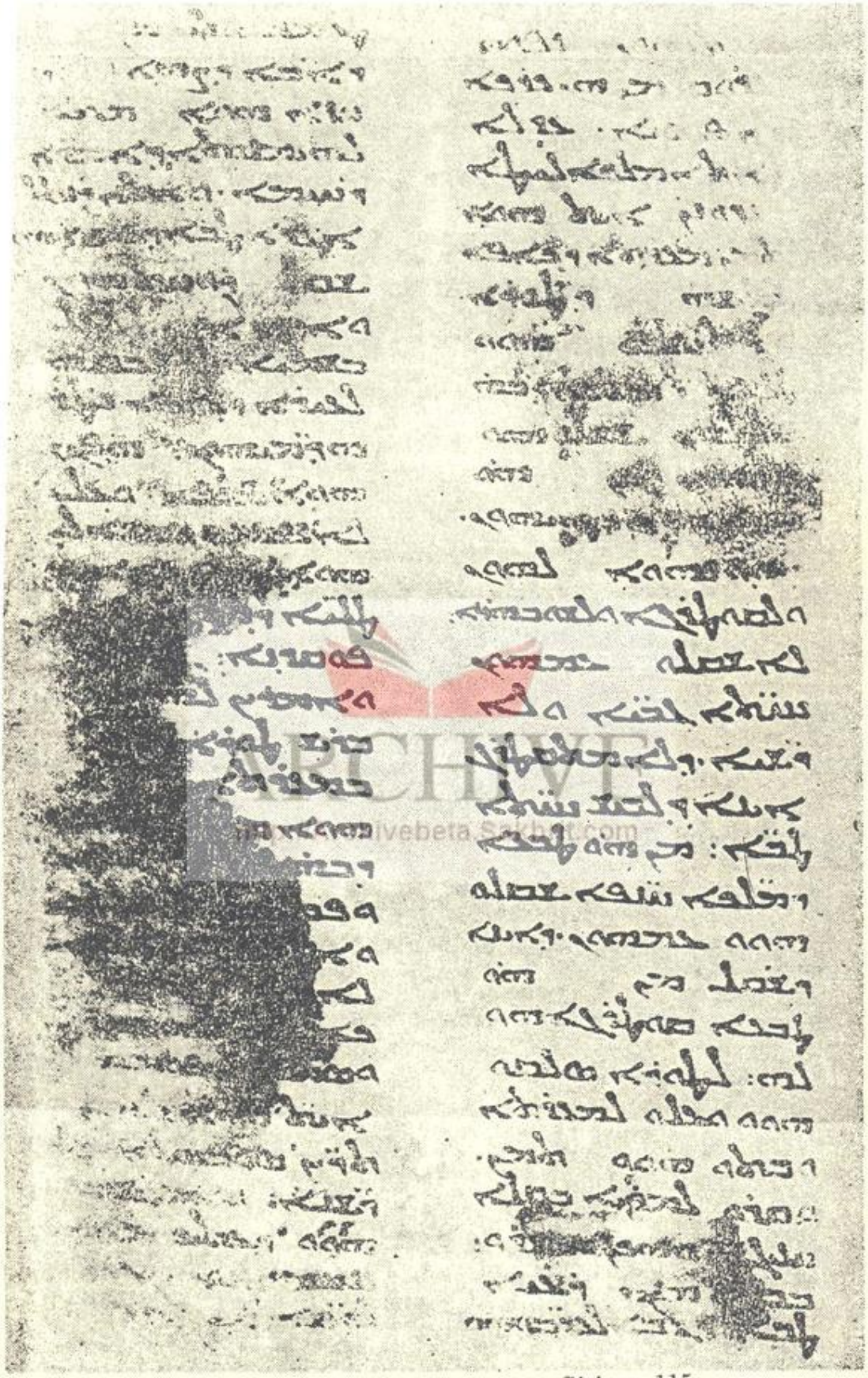

Biblioteca A Postolica Vaticana Siriaco 115

ثيودوسيوس الصغير (٤٥٠ +)[١١] .

ويقول مار يعقوب السروجي (٥٢١ +) في قصيدته الآنفة الذكر عن زمن رقادهم ما تعريبه : « عندما خرج داقيوس الى زيـارة قرى مملـكته ومدنها ، دخل افسس ، والقى فيها رعباً عظيمـاً ، وأقـام احتفـالا لزوس وابولون وارطاميس ... كان هناك فتية من النبلاء ، رفضوا الاذعان لامره ولم يخضعوا له كسائر رفاقهم وتجلببوا بالايمان وهم الخراف الوديعة ، وأصرّوا على ألاّ يبخروا أمام الآلهة . »

ويقول عن زمن استيقاظهم : « مرت عهـود الملوك الوثنيـين وزال سلطانهم ، وساد السلام في الكنيسة المقدسة في العالم . وشـاء الـرب أن يوقظهم لمجد (اسمه القدوس) ويظهرهم للمؤمنين ليكرموهم . » ويردف قائلا : « تناولوا لوحي الرصاص وقرأوهما ومنهما علموا أسماءهم وعملهم. فأخبروا حالا الملك العظيم ثيودوسيوس ليأتي حالا ويراهم » .

ولابد لنا أن نوجز للقارىء الكريم ، دقائق حياة الملكين داقيوس الاثيم (٢٤٩ ـ ٢٥١) ، وثيودوسيوس المؤمن (٤٠٨ ـ ٤٥٠) لما لهما من صلة تاريخية متينة بأهل الكهف ، ونلم في الوقت نفسه بتاريخ العصرين اللذين عاش فيهما هذان الملكـان ، ورقـد في أولهما أهـل الكهـف واستيقظوا في الثاني ، وبذلك تتضح معالم القصة متكاملة في ذهننا .

---

(١١) تاريخ زكريـا الفصيح ـ طبعة لوفـان ١٩٥٣ ج١ ص ١٠٧ـ١١٤ ، وتاريخ الراهب الزوقنيني (عام ٧٧٥م) طبعـة لوفان ١٩٥٣ ص ١٩٥ـ٢٠٦ وتاريخ الرهاوي المجهول (أحد رهبان دير قرتمين سنة ١٢٣٤م طبعة لوفان ١٩٥٣ مجلد ١ ص١٧٩ وتاريخ البطريرك ميخائيل الكبير (١١٩٩ +) طبعة باريس ١٨٩٩ ص ١٨٣ نقلا عن زكريا الفصيح . وتاريخ البطاركة لابن العبري (١٢٨٦ +) في ترجمة البطـريـركين فبيوس وثيودوطوس .

داقيـوس :

تولى داقيوس مملكة الرومان سنة ٢٤٩م وقد أثار اضطهادا عنيفـا ضد المسيحيين لبغضه سلفه القيصر فيلبس العربي المحسن اليهم • فأصدر سنة ٢٥٠ مرسوما يأمر فيه باستئصال شأفة المسيحية ، وجعـل السـلطـة المركزية في الدولة تأخذ على عاتقها ارغام المسيحيين عـلى تـرك دينهـم وتقديم البخور والخمور للآلهة ، وقضى المرسوم ، الذي وصف بالمخيف المرعب ، بتعذيب المسيحيين ان لم يعبدوا الاوثان • فاستشهد العديـد من رؤساء الكنيسة منهم فابيانوس أسقف روما ، وبابولا أسقف انطاكيـة ، والكسندروس أسقف اورشليم • وهرب ديونيسيوس أسقف الاسكندرية الى البرية• كما استشهد آلاف مؤلفة من المؤمنين وشرد الآخرون من أمام وجه الطاغية ولم تطل هذه الشدة اذ قتل داقيوس سنة ٢٥١م وهو يحارب القوط والبلقان عند مصب الدانوب ، وبهلاكه خمدت شوكة الاضطهاد(١٢) •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثيودوسيوس الصغير :

أما ثيودوسيوس الصغير فقد ملك سنة ٤٠٨ وفي زمانه توطدت أركان المسيحية • وكان يكثر من الصوم ، ولا سيما يومي الاربعاء والجمعـة ، ويواظب على مطالعة أسفار الكتاب المقدس حتى حفظهـا على ظهر قلبـه •

---

(١٢) تاريخ البطاركة ـ للمفريان غريغوريوس يوحنـا ابن العبري ـ في ترجمة بابولا وفبيوس • والدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للبطريـرك افـرام الاول برصـوم حمص ١٩٤٠ ص ٢٧٢ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية للبطريرك يعقـوب الثالث ـ بـيروت ١٩٥٣ ج ١ ص ١٣٨ ـ ١٤٠ والطرفة النقيّة من تاريخ الكنيسـة المسيحية للخوري عيسى أسعد حمص ١٩٢٤ ص ٢٤و٢٥ • وكنيسة مدينة الله انطاكيـة للدكتور أسـد رستم ـ بيروت ١٩٥٠ ج١ ص ص ٩٨ ـ ١٠٣ •

وقيل له يوما (لماذا لا تقتل أحداً ؟) فأجاب : ـ (ليتني أستطيع أن احيي الموتى) ولتمسكه بأهداب الفضيلة ، نهى الشعب عن حضور الملاعب والملاهي أيام الآحاد والاعياد قائلا : « للعبادة وقت وللهو وقت » • وجمع مشاهير الفقهاء فوضعوا سنة ٤٣٥ مجموعة الشرائع المنسوبة اليه أذاعها سنة ٤٣٨ وكان كثير الاجلال لرفات القديسين فقد أمر بنقل رفات يوحنا الذهبي الفم الى القسطنطينية باجلال واكرام ، وبكى حين شاهدها طالباً الى الله أن يغفر لوالديه اللذين اضطهدا يوحنا • ونقل أيضا رفات الاربعين شهيدا من سبسطية الى ضواحي القسطنطينية • كما أن رفات القديس اغناطيوس النوراني نقلت ، على عهده ، من رومية الى انطاكية • وتوفي ثيودوسيوس في ٢٨ تموز سنة ٤٥٠م[١٣] •

مدة رقاد أهل الكهف :

جاء في تاريخ زكريا الفصيح (٥٣٦ +) : ـ « سنة (٣٨) للملك ثيودوسيوس الملك حدث جدال بموضوع قيامة الموتى ، ••• والهم الله (ادليس) صاحب المنطقة التي فيها الكهف ليبني حظيرة للماشية والخ •••• »[١٤]

وحيث أن تيودوسيوس ملك سنة ٤٠٨م كما مر بنا ، يضاف اليها ٣٨ سنة فيكون المجموع ٤٤٦ سنة يطرح منها ٢٥٠ سنة ، وهي سنة اضطهاد داقيوس المسيحيين وهروب الفتية الى الكهف ورقادهم ، فيبقى ١٩٦ سنة وهي المدة التقريبية لرقاد الفتية في الكهف حتى بعثهم •

---

(١٣) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للاسقف ايسيدوروس ـ مصر ١٩١٥ جـ١ ص ٥٧٦ ـ ٥٧٧ • وتاريخ سورية للمطران يوسف الياس الدبس ـ بيروت ١٨٩٩ جـ٢ مجلد ٤ ص٢٧٦ـ٢٧٩ عن (المؤرخ سقراط ك ٧ ف ١٨ ـ ٢٣ والمؤرخ سوزومانس ك ٩ ف ١) •

(١٤) تاريخ زكريا الفصيح ـ طبعة لوفان ١٩٥٣ مجلد ١ ص ١١٤ و١١٥

وزكريا الفصيح نفسه يحدد مدة الرقاد بعددين متناقضين فمرة يقول : « ما يقارب (١٩٠) سنة » ومرة اخرى يقول (١٢٠) سنة ويصحح ناشر تاريخه هذه السنة فيجعلها (١٩٠) كالسابقة . وفي سرد القصة يقول زكريا : « ان الوالي أجاب ديونيسيوس (أحد فتية الكهف) قائلا : « كيف نصدق كلامك ، وكتابة هذه العملة وختمها يعودان الى ما قبل مئتي سنة »[١٥] .

ويقول ابن العبري (١٢٨٦ +) : ـ « وبعد مئة وثماني وثمانين سنة من رقاد الفتية في السنة الثامنة والثلاثين لملك الملك ثيودوسيوس الصغير في أيام المجادلة بموضوع قيامة الموتى وشكوك الملك ... نفح الله بالراقدين حياة ، فاستيقظوا وكأنهم يستيقظون من نومهم »[١٦] .

أما الرهاوي المجهول (١٢٣٤ +) فيقول في تاريخه : « ان مدة رقاد الفتية كان ٣٧٠ سنة »[١٧] وتحدد بعض النصوص السريانية مدة الرقاد بـ (٣٧٢) سنة وبذلك تجلب الشكوك في صحة القصة »[١٨] .

ويقول الزوقنيني (٧٧٥م) في تاريخه : « وأخذ (يمليخا) من عملة ذلك الزمن ، الموضوعة في الكيس ، من فئة اثنتين وستين وأربع وأربعين ، التي سكت على عهد الملك الذي كان قبل أيام المعترفين وهي قبل ثلاثمائة واثنتين وسبعين سنة »[١٩] .

---

(١٥) فيه ص ١١٩ .

(١٦) تاريخ البطاركة ـ لابن العبري في ترجمة ثاودوطوس .

(١٧) طبعة لوفان ١٩ ص ١٧٩ .

(١٨) Patristic Studies By Ernest Honigmann Vatican 1953 pp 136 - 137.

(١٩) طبعة شابو في لوفان ١٩٥٣ ص ١٩٨ .

أما مار يعقوب السروجي (٥٢١ +) فيقول في قصيدته : « كان لاحد (الفتية) قطع قليلة من العملة ، لتكون برهاناً على اثبات الاعجوبة • فبعد مرور الزمن ، تبقى العملة ثابتة ومنها يعرف التاريخ الذي سكت فيه هـذه العملة » ويقول في الابيات الختامية للقصيدة : « منذ البدء وحتى الآن لمن جرى ما جرى لكم (أيها الفتية) فقد بعثتم (أحياء) بعد ثلاثمائة وسبعين سنة (من زمن رقادكم) • »

نستنتج من هذا كله ان النصوص السريانية لم تتفق فيمـا بينها على تحديد المدة التي رقد فيها أهل الكهف ، ولكنها ذكرت ان رقادهم كان على عهد داقيوس (٢٤٩ ـ ٢٥١) وان استيقاظهم كان على عهـد ثيودوسيوس الصغير (٤٠٨ـ٤٥٠) فاختلاف السنين نتج من اختلاف تاريخ سك قطـع العملة التي وجدت مع الفتية في الكهف بفئاتها المتفرقة ليس الا •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اين رقد اهل الكهف :ـ

تؤيد المصادر السريانية كافة ان أهل الكهف قـد رقـدوا في كهف يقع على مرتفع يدعى جبل (انكيلوس) في ضواحي مدينة افسس •

قال مار يعقوب السروجي (٥٢١ +) في مطلع قصيدتـه عن أهـل الكهف ما ترجمته : « أود ان أقص على السامعين خبر الفتية أبناء الرؤساء الذين من افسس • » وقال على لسان أحد الفتية يخاطب رفاقه « لا يوجد ههنا في قمة الجبل كهف صخري ، لنصعد أيها الاخوة ونختف فيه مدة من الزمن » وقال على لسان (يمليخا) وهو يخاطب أسقف المدينة : « انني من مدينة افسس وأنا ابن دروفورس أحد رؤسائها »• وقال أيضا عن اللوح الرصاص « كتبوا فيه : هؤلاء الفتية من افسس هربوا من أمـام وجـه داقيوس » •

وقال زكريا الفصيح (٥٣٦ +) : « تاريخ الشهداء السبعة الذين بعثوا في مغارة جبل (انكيلوس) في مدينة افسس »[٢٠] .

وافسس هذه ، هي المدينة الاغريقية القديمة التي تقع على الشاطيء الغربي من آسيا الصغرى . اشتهرت قبل الميلاد بمينائها وتجارتها الرابحة وبهيكل ارطاميس بشرها بالدين المسيحي ، الرسول بولس سنة ٥٤م وتلمذ أهلها . وكتب اليها رسالة سنة ٦١م وأصبحت المدينة فيما بعد ، أحد مراكز المسيحية المهمة. عقد فيها المجمع المسكوني الثالث سنة ٤٣١م. انحسر عنها البحر فزال مجدها الاقتصادي ، ولم يبق فيها اليوم سوى الانقاض، بقربها بلدة تركية أيضا اسمها (ايا سلوك)[٢١] يقصدها السياح لمشاهدة ما شخص من آثارها الوثنية والمسيحية ، خاصة شوارع مدينة افسس القديمة ، وهيكل ارطاميس وكاتدرائية مار يوحنا اللاهوتي ، ومدافن أهل الكهف . وقد قمت سنة ١٩٦٢ و ١٩٦٨ بزيارتين لانقاض مدينة افسس ورسومها ورأيت بأم عيني مدافن أهل الكهف وكهفهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٢٠) تاريخ زكريا الفصيح ص ١٠٦ .

(٢١) Ayassoluk بلدة صغيرة تقع الى الشمال الشرقي من اطلال افسس على مسافة ميل منها وكلمة (ايا سلوق) تحريف لاسم كنيسة فيها Ayos yohannes theologos أي القديس يوحنا اللاهوتي وهذا كان اسم الكاتدرائية العظيمة التي بنيت في مطلع القرن السادس للميلاد في أيام يوستنيان الاول . (مجلة الابحاث البيروتية ١٩٤٨ السنة ١ ج٣ ص ٦٩) وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته ، ومما قاله فيها : « .... (..... وسرنا الى مدينة أيا سلُوق ، مدينة كبيرة قديمة معظمة عند الروم ، وفيها كنيسة كبيرة مبنية بالحجارة الفخمة، ويكون طول الحجر منها عشرة أذرع فما دونها ، منحوتة أبدع نحت ..؟ (رحلة ابن بطوطة . طبعة صادر في بيروت سنة ١٩٦٤ ص ٣٠٣) .

منظر لكهف أهل الكهف في افسس ـ تركيا

منظر داخل الكهف ـ افسس ـ تركيا

ولابد لنا من القول ان (الواثق بالله) الخليفة العباسي ، عندما أحب أن يستقصي أخبار أهل الكهف ، ارسل أحد العلماء المسلمين الى افسس لمشاهدة كهوفها ، وأذن ميخائيل الثالث بذلك ، وأوفد مـع العالم المسلـم

الجليل دليلا يرشده .[٢٢] وقال البيروني ، في معرض كلامه على الشهور السريانية : « ... في اليوم الخامس من هذا الشهر (تشرين الثاني) ذكران (أي عيد وهذه اللفظة سريانية) أصحاب الكهف بمدينة افسس ، وهو المذكور في القرآن العزيز . وقد وجه المعتصم مع رسوله الى ملك الروم مَنْ شاهَدَ موضعهم ولمسهم بيده ، والخبرُ معروف وان كان اللاّمس وهو محمد بن موسى بن شاكر يشكّك في انهم هم أم أمواتٌ أُخَرُ ، وأمرٌ مُمَوَّهٌ . وحكى عليّ بن يحيى المنجّم انه لما قفَلَ من غزاته دخل ذلك الموضع ، وهو جبل صغير قَطرُ أسفله أقل من الف ذراع . وله سَرَبٌ في وجه الارض يَدْخُلُ فيَمُرُّ في خَسْفٍ من الارض مقدار ثلاثمائة خُطوة فيُخرِجك الى رواقٍ في الجبل على أساطين منقورة وفيه عدة بيوت وذكر انه رأى هنالك ثلاثة عشر رجلا وفيهم غلامٌ أمْرَدُ عليهم جباب صُوف وأكسيَةُ صوف وخفافٌ ونِعالٌ ، وتناوَلَ شعرات في جبهةِ أحدهم ومدّها فما تَبِعَهُ منها شيءٌ . والزيادة على السبعة عند المسلمين والثمانية عند النصارى ربما كانت رهابنة ماتوا هناك . فان أجساد الرهابنة خاصةٍ تبقى طويلا لانهم يعذبون انفسهم حتى تفنى، طوباتهم ولا يبقى بين عظامهم وجلودهم واسطة الا قليلا . فيخمدون خمود السراج اذا انطفت مادته . وربما يبقون متكئين على عصيهم احقابا ، وذلك أمرٌ شاهد في دياراتهم . ومكث هؤلاء الفتية المذكورة في الكهف عند النصارى ثلاثمائة واثنتين وسبعين سنة ، وعندنا ثلاثمائة سنين شمسية ، كما ذكر الله تعالى في القرآن في

---

(٢٢) تاريخ الروم للدكتور أسد رستم ـ بيروت ١٩٥٥ جـ١ ص ٣٤٧ عن الامبراطورية البيزنطية للدكتور ابراهيم العدوي ص ١٤٧ .

السورة المخصوصة بقصتهم • واما زيادة التسع سنين فهي ما يلحقهـا اذا حوّلت قمرية ••••»[٢٣]

وان السيد F. Miltner (اف ميلتنر) المسؤول عن الاكتشافات التي اجراها في افسس المعهد النمساوى للآثار قبل الحرب العالمية الثانية• وقد نشر نتيجة ابحاثه باختصار ، صرح قائـلا : ان آثار الكنيسـة التي اكتشفها في المكان المعروف تقليديا انه الموضع الذى حدثت فيه الاعجوبـة (بعث اهـل الكهف) قـرب كهف پانايرداغ (Panayir Dagh) تدل على ان تشييد هذه الكنيسة يعـود الى القرن الخامس للميلاد[٢٤] • وهذا مما يقيم الحجة على ان مدينة افسس كانت موطن أهل الكهف ومسرح ادوار اعجوبة رقادهم وبعثهم • فالقصة ، بالسريانية • تذكر بان المـلك ثيودوسيوس قد شيد كنيسة بقرب كهفهم ولا بد ان تكون آثـار هـذه الكنيسة هي التي اكتشفتها البعثة النمساوية المذكورة اعلاه •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عدد أهل الكهف وأسماؤهم :

لم يتفق المؤرخون السريان على عدد فتية الكهف واسمائهم • فقد جاء في تاريخ زكريا الفصيح (٥٣٦ +) ما يلي : « وهذه اسماء الفتية السبعة الذين هربـوا (من امام وجـه داقيوس) : ـ اكليـديس وديمـدس ، واوگنـيس ، واسـطيفانس ، وفـريطيس ، وسـبطيس وقرياقوس[٢٥] » ولكنه يقول بعدئذ « وقـد اقاموا صديقهم ديونيسيوس الشاب الحكيم السريع الجريء وكيلا عنهم »[٢٦] بينما كان زكريا قـد

(٢٣) البيروني في كتابه (الآثار الباقية طبعة ساخو الالماني ص ٢٩٠) •
(24) Patristic Studies pp 128.
(٢٥) تاريخ زكريا الفصيح ـ لوفان ١٩٥٣ مج١ ص ١٠٩ •
(٢٦) فيه ص ١١١ •

اهمل اسم (ديونيسيوس) في الجدول السابق ويعود فيذكره ضمن لوحة الرصاص التي وجدت على باب الكهف حيث يعدد الاسماء كالتالي : « اكليديس وديونيسيوس واوگنيس واسطيفانس وفريطيس وسبطيس وقرياقس[٢٧] ومن الواضح هنا ان اسم ديونيسيوس حل محل اسم ديمديس ولعل الاسمين لشخص واحد .

اما الراهب الزوقنيني (٧٧٥م) الذى ضم تاريخه كتاب يوحنا الافسسي (٥٨٧ +) برمته كما سبقت الاشارة اليه فيبدأ القصة بقوله : « فصل من قصة الفتية الثمانية من افسس وهم مكسيمليانس ، ويمليخا ، ومرطلوس ، وديونيسيوس ، ويؤانس ، وسرافيون ، واكسو سطدينوس، وانطونينوس الشهداء ابناء نبلاء افسس »[٢٨] .

اما مار يعقوب السروجي (٥٢١ +) فلا يذكر في قصيدته المذكورة آنفا ، عددهم ، ولا اسماءهم ، سوى اسمين وهما ، اولا (يمليخا) حيث يقول على لسانه « اجاب احدهم واسمه (يمليخا) وهو فتى شجاعا ، وقال : انا انزل الى افسس واسترق الخبر ، فاجابه (رفاقه) اذن اشتر لنا خبزاً لنأكل » ثانيا اسم (مرطولوس) حيث يقول : « اجاب احدهم واسمه مرطولوس وقال لاخوته : لديّ عملة (دراهم) اخذتها معي عندما خرجت الى ههنا . فيأخذ منها (يمليخا) ويشتري « لنا طعاما » . وفي استجواب الوالى (ليمليخا) يقول « وسأله حالا عن اسماء رفاقه فسرد الفتى امامه اسماء سائر اخوته وعددهم، وكيفية هروبهم ومكان اختفائهم ».

---

(٢٧) فيه ص ١٢٠ .

(٢٨) تاريخ الزوقنيني ـ طبعة شابو في لوفان سنة ١٩٥٣ مج١ ص ١٦٥. ويكرر الاسماء ذاتها في ص ٢٠٤ .

اما ابن العبري (١٢٨٦ +) فيقول : « في ايام داقيوس الملك هرب الفتية السبعة من افسس واختفوا في كهف ...[٢٩] . ويقول في موضع آخر : « وفي هذا الزمن .. بعث من بين الاموات الفتية السبعة من افسس الذين كانوا قد هربوا في اضطهاد داقيوس واختفوا بكهف بأحد الجبال[٣٠] وهنا يسرد ابن العبري قصتهم بالتفصيل ويسمي وكيلهم الذى نزل الى المدينة اسم (ديونّوس) . فعدد أهل الكهف اذن بحسب الروايات السريانية سبعة او ثمانية . واسماؤهم مختلف فيها كذلك . ولعل هذا الاختلاف الطفيف جاء بسبب البيئة اليونانية ، واسمائهم اليونانية ، فسردها النساخ السريان وحرفوا بعضها وكان الاجدر بالمؤرخين والنساخ ان يكونوا اكثر تدقيقا في سرد اسماء الفتية وعددهم . ويميل المؤرخون اليوم الى الاخذ برأي القائلين انهم كانوا سبعة . كما ثبتت الروايات اللاتينية واليونانية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسقف افسس على عهد استيقاظهم :

تذكر القصة اسم موريس اسقفا لافسس . وقد استجوب احد الفتية ثم ذهب مع والي المدينة الى الكهف . بينما يذكر التاريخ ان اسقف افسس الذي حضر مجمع افسس المسكوني عام (٤٣١م) وهو ممنون[٣١] . أما أسقفها الذي عاصر عهد بعث فتية الكهف فهو اسطيفانس وهو الذي حضر

---

(٢٩) تاريخ البطاركة ، لابن العبري ، في ترجمة فوبيوس .

(٣٠) فيه في ترجمة ثاودوطيوس .

(٣١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية جـ ٢ ص ٥٥ وتاريخ مدينة الله انطاكية جـ ١ ص ٣١٥ والطرفة النقية ج١ ص ١١١ والخريدة النفيسة جـ٢ ص ٤٩٢ وذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري طبعة الموصل ١٩٠٥ مج١ ص ١٣٥ .

مجمع افسس الثاني عام ٤٤٩م وحضر مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١[٣٢].

ويذكر الراهب الزوقنيني (٧٧٥م) في تاريخه ايضا اسم موريس اسقف افسس ، اما زكريا الفصيح (٥٤٦ +) فلم يسمّه .

وبما ان التاريخ يثبت بان اسم اسقف المدينة في تلك الفترة الزمنية هو اسطيفانس ، فأرى ان اسم موريس جاء من (مور اس) (فمور) وهي تعني السيد وتسبق دائما اسماء كبار رجال الدين المسيحي لدى السريان (وا س) الحرفان اللذان يبدأ بهما اسم (اسطيفانس) فلعل الاسم قد اختصره بعض النساخ بحسب العادة المتبعة لدى النساخ السريان عندما تقع الكلمة او الاسم في آخر السطر يختصر بحرفين او اكثر ويوضع فوقه خط صغير ومع الزمن فقد اخذ النساخ بعضهم عن بعض كما اقتبس المؤرخون الخلف عن السلف . وحوّر الاسم وصار (موريس) بدلا من (مور اسطيفانس).

عيدهم والطقس الديني الذي يتلى فيه :

في خاتمة القصة السريانية نقرأ ما يلي : « وأقر مجمع من الاساقفة عيدا عظيما لهؤلاء المعترفين » ولعل هذا المجمع كان خاصا محليا لا عاما ، ولكننا نرى الكنائس الشرقية على اختلاف مذاهبها تحتفل بعيدهم .

فقد ورد عيدهم في الكلندر السرياني القديم في ٢٤ تشرين الاول . ولدى الكلدان في ٤ تشرين الاول (عيد) الفتيان الثمانية الذين من افسس[٣٣] كما ورد تذكارهم لدى الروم الارثوذكس في ٤ آب وفي

---

(٣٢) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية جـ ٢ ص ١١٦ و ١٥٧ .

(٣٣) شهداء المشرق طبعة الموصل ١٩٠٦ مج٢ ص ٤٢٠ عن قائمة الاعياد والتذكارات حسب الطقس الكلداني المأخوذ من كلندار قديم محفوظ في مكتبة دير مار يعقوب الحبيس بجانب سعرد ، ومن كلندار آخر مدرج في انجيل قديم العهد محفوظ في القلاية البطريركية الكلدانية في العراق .

٢٢ تشرين الاول تذكار الفتيان القديسين السبعة الذين كانوا في افسس[٣٤] ولدى الموارنة في ٧ آذار (عيد) الفتية السبعة مـن افسس[٣٥] .

وحيث ان الكنيسة السريانية جَرَتْ على ان تخصص طقسا[٣٦] خاصا بمناسبة اعياد قديسيها ، تحتفل به في اعيادهم ، لذلك عثرنا على طقس عيد اهل الكهف[٣٧] ، ودرسناه فرأينا انه يسرد تفاصيل القصة كما وردت في التقليد السرياني . مظهرا تمسك الفتيان (السبعة) بايمانهم ، وكيفيـة هروبهم خوفا من (داقيوس) في شهر آذار ، الى كهف في جبل بقـرب افسس ، ورقادهم مدة (٣٥٠ سنة) واستيقاظهم . ويدعوهـم الطقـس بالشـهداء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣٤) مجلة النعمة الدمشقية العدد ٥٥ كانون الثاني ١٩٦٦ ص ٣٥ و ٣٧
(٣٥) الكلندار الماروني المطبوع في الاشحيم في رومية سنة ١٦٢٤م .
(٣٦) الطقس في العرف الكنسي يطلق على شعائر الديانة .
(٣٧) مكتبة الطائفة المارونية بحلب المخطوطة المرقمة ٦٨٦ التي كتبهـا شمعون ابن القس هارون ابن الخوري يوحنا المعروف بان كعبوش من قرية حَدْشيت من جبـة بشّـري من جبـل لبنـان وذلك سنة ١٨٥٣ي = ١٥٤٢م .

بين العربية والسريانية :

اكتشاف الابجدية

بقلم المطران اندراوس صنا
رئيس مجمع اللغة السريانية

نقدم هذا البحث كمقدمة لسلسلة بحوث سميناها « بين العربية والسريانية » ننشرها هنا تباعاً متناولين العلاقات بين هاتين اللغتين الشقيقتين اللتين تنتميان الى اسرة اللغات السامية • التسمية التي تطلق على جملة اللغات التي كانت سائدة منذ اقدم العصور في جنوبي غربي اسيا وشمالي شرقي افريقيا • ولقد توارى منها قسم وما يزال القسم الاخر قائما • والتسمية هذه حديثة اطلقها لاول مرة العالم شلوتسر Shlozer سنة ١٧٨١م نسبة الى سام بن نوح الذي انحدرت منه الاقوام التي نطقت وكتبت بها[١] •

وحدة منشأ اللغات السامية :

ان الوشائج القوية والصلات المتينة التي تربط هذه اللغات في حروفها وحركاتها واصول مادتها واشتقاق مفرداتها وتركيب جملها تظهر جلية لكل من الم باكثر من لغة من هذه اللغات ، ومن هنا دعيت بحق اللغات الشقيقة •

ويجمع المستشرقون والباحثون على ان اللغات السامية ، الباقية منها والمنقرضة تنحدر جميعها من اصل لغة واحدة نستطيع تسميتها اللغة السامية الام • الا اننا نفتقر الى الدليل القاطع في تحديد منشئها وعهد تفرعها ، بل هناك اراء ونظريات متضاربة[٢] عديدة ، يرجح البعض منها

---

(١) سفر التكوين • الاصحاح ١٠ العدد ٢١ـ٣٢ •
(٢) يذكر سفر التكوين في الاصحاح ١١ العدد ٥ ـ ٩ ان اللغة الواحدة انقسمت في مدينة بابل ابان بناء برجها المشهور •

بلاد ارمينيا كأول مهد للغات السامية[٣] والبعض الاخر جنوب وادي الرافدين[٤] • الا ان القسم الاكبر من المستشرقين يعتبر شبه الجزيرة العربية او القسم الشمالي منها الموطن الاول للغة السامية الاولى[٥] • لقد تفرعت اللغة السامية الاولى منذ ما قبل التاريخ • ومن المسلم به ان الاقوام السامية سكنت منطقة الشرق الاوسط منذ اقدم العصور كالاكديين والبابليين والاشوريين والكنعانيين[٦] والاراميين والعبريين والاموريين والعرب وغيرهم •• وكلها كانت شعوبا منتشرة في المنطقة التي استوطنها بنو سام الاوائل ، ونطق كل منها بلغة تختلف عن لغة جيرانه، رغم وجود الشبه الكبير بين لغاتهم جميعا • وهذا ما يجعلنا ندرك كم هو موغل في اعماق عصور ما قبل التاريخ ذلك العهد الذي كانت تجمع فيه تلك الاقوام كلها لغة واحدة أُم ، لا اختلاف فيها بينهم •

ان مدى صلة اللغات السامية ببعضها ليس بأقل مما هو عليه في اللغات اللاتينية رغم ان عهد انقسام اللغات السامية يرقى الى آلاف السنين ، في حين لا يتعدى تاريخ تفرع اللغات اللاتينية البضعة مئات من السنين • وهذا في اعتقادنا يرجع بعض ميزات ثابتة مشتركة بين اللغات السامية ،والتي ورثتها بدون شك من اللغة السامية الام ، وبقيت راسخة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

3) Noldeke , Sem. Sprochen.

4) T. Guidi, Della sede dei populi sem.

(٥) اسرائيل ولفنسن : تاريخ اللغات السامية ص ٥ • جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص ٤٣ • د• أحمد سوسه : العرب واليهود في التأريخ مقدمة ص ٤ •

Conteneau, la civilisation d' Assur et de Babylon, p. 43

(٦) يحصي سفر التكوين في الاصحاح ١٠ العدد ٦ الكنعانيين بين بني حام ، الا أنهم مهما كانوا فلغتهم سامية •

في فروعها كالصخرة وحالت دون ابتعادها عن بعضها خلال الاف السنين • وهذه الميزات هـي[٧] :

١ ـ اعتماد اللغات السامية على الحروف وحدها ، معتبرة الحركات Voyelles امـراً ثانويـا • ونحن نـرى ان غالبيـة التغيـير في اللغـات مبعثـه الحركات وليس الحروف ، فالحروف ثابتة والاصوات في تبـدل مستمر • ثـم ان الساميين عبروا عن الحركات بعلامات يضعونها فـوق الحرف او تحته بينما اعتبرها الآريون حروفا متميزة •

٢ ـ ترجع غالبية الكلمات الى الفعل الثلاثي المجرد • ومن هنـا نشأت لدى الساميين عقلية فعلية في حين تدور الاسماء والضمائـر والحروف حوله • لذا بقي الفعل محوراً في كل اللغات السامية •

٣ ـ يتم اشتقاق الافعال وغالبية الاسماء حسب اوزان قياسية ثابتـة متشابهة في اللغات السامية ، فكان لها ذلك مبعث خصوبة وغنى عظيمين •

لقـد اعتاد العلماء ان يقسموا[٨] اللغات السامية الى ثـلاث كتل :

ـ الشرقية : وهي الاكدية والبابلية والاشورية •

ـ الغربية : وهي الكنعانية والعبرية والارامية بلهجاتها •

ـ الجنوبية : العربية بلهجاتها والحبشية •

ومن العلماء من يقسمها الى كتلتين : الشرقية والغربية• وهذه الاخيرة تنقسم الى شمالية وجنوبية •

---

(٧) اسرائيل ولفنسون ص ١٤ •

(٨) انيس فريحة : ملاحم وأساطير من اوغاريت ص ٢٥ •
M. Cohen, Essai comparatif sur le vocabulaire, 33 - 43
R. Dussand, la Pénétration des Arabes en Syrie avant l' Islam. 12.

اما نحن فنفضل تقسيمها الى شمالية وجنوبية ، والشمالية منهما الى فرعين الشرقي والغربي ، وهو ما ينسجم تماما مع طبيعة بحثنا هذا الذي يتناول ابتكار الابجدية وليس اللغات ذاتها .

ابتكار الكتابة وأطوارها

بدأت محاولات الانسان منذ اقدم العصور للتعبير عن قسم من اعماله وما يجول في ذهنه بأسلوب يبقى للمستقبل القريب او البعيد . ولقد عثر الباحثون في اماكن عديدة من المعمورة عامة وفي موطن الساميين خاصة على رسوم ونقوش ولوحات تظهر اطوار الكتابة . ويتبين من بعض هذه الرسوم والاشارات المنحوتة في جدران الكهوف ان الانسان

شكل ـ ١ ـ

علامات تدل على دور الاشارات والرموز البدائية عثر عليها في جبال الالب
ا ـ مصيدة سمك ب ـ تصميم قرية ج ـ العمل في حقل

بدأ يعبر عما يجول في خلده منذ ٢٥٠٠٠ سنة[٩] .

وفي الالف الخامس ق.م. تطور هذا الاسلوب في جنـوب وادي الرافدين ومصر القديمة[١٠] حتى اتخذ شكل وصور ورموز متتابعـة تدل كل منها على كلمة ، ويشير مجموعها ليس فقط الى عمل منفصـل بل الى سلسلة من الحوادث المتتابعة . وسميت هذه الكتابة «البكتوغرافية» او الصورية .

شكل ـ ٢ ـ
دور الصور والرموز
وجدت في كيش واوروك جنوب العراق

9) David Diringer, The Alphabet, IP.5 Oxford, London 1968
D. Diringer Writing, London 1966 PP. 35 - 53

(١٠) نعوم شقير : تاريخ سينا ص ٤٣٤ . طه باقر : أصـل الحـروف الهجائية ونشأتها ، مجلة سومر م١ ج٢ ص ٤١ .

وفي الالف الثالث ق٠م٠[١١] او الالف الرابع[١٢] راح شعب جنوب بين النهرين في تطوير الكتابة التي اخذت الاشارات والرموز فيها

شكل ـ ٣ ـ

الخط المسماري ـ لوحة الاله « شمس »

كتبت في عهد الملك البابلي نابو ـ اباليدّينا سنة ٨٧٠ ق٠م٠

(١١) صاموئيل كريمر : من الواح سومر ، تعريب طه باقر ، كولورادو ١٩٥٦ ص ٤٠٤ ٠

سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ويسبادن ١٩٦٤ ، تعريب د٠ السيد يعقوب بكر ص ٦٤ ـ ٦٥ ٠

12) M. Cohen, La grande Invention de l' Ecriture texte, P. 80 - 81, Paris , 1958

D. Diringer, The Alphabet, I, P. 20, London, 1968

الشكل المثلث الاسفيني المسمى بالخط المسماري والذي تدل كل اشارة فيه على مقطع .

وقد ظهر بعد ذلك اسلوب الكتابة المقطعية في نواحٍ عديدة من العالم : فظهر في مصر في مستهل الالف الثالث ق.م.[١٣] وفي جزيرة كريت نحو سنة ٢٨٠٠ ق.م.[١٤] وفي الهند في منتصف الالف الثالث ق.م.[١٥] . وفي الصين في منتصف الالف الثاني ق.م.[١٦] . واستمرت الكتابة المقطعية في الشرق بالخط المسماري حتى عهد ميلاد المسيح اى نحو ٤٠٠٠ سنة . وآخر رقيم طيني وصل الينا بهذا الخط يرتقي الى سنة ٥٠م[١٧] وطيلة تلك الفترة دونت البشرية بالكتابة المقطعية تأريخها وآدابها وعلومها وعباداتها وشرائعها وغيرها من اغراض الحياة . وقد اكتشف منها حتى الان الآلاف بل عشرات الآلاف من النقوش واللوحات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما كان الخط المقطعي صعباً ومعقداً لاحتوائه على نيف وخمسمائة رمز او مقطع اضافة الى الحركات التي تعطي الرمز المقطعي الواحد معانٍ عدة[١٨] ، كان لابد للانسان ان يتوصل الى اسلوب كتابي اكثر بساطة واقل تعقيداً ، وقد ظهرت قبل منتصف الالف الثاني قبل الميلاد كتابة تدل فيها الصور والرموز ليس على مقاطع بل على مخارج صوتية تتألف منها المقاطع . وهذه بداية عهد جديد مشرق في علم الكتابة ، هو

---

(١٣) المصدر نفسه ص ٣٠
(١٤) المصدر نفسه ص ٤١
(١٥) المصدر نفسه ص ٤٨
(١٦) المصدر نفسه ص ٦٦
(١٧) د. فوزي رشيد : قواعد اللغة السومرية ، بغداد ١٩٧٢ ص ١٧
(١٨) المصدر نفسه ص ٢٢

القلم الابجدي اسلوب الكتابة الكامل الذي جاء نتيجة تطور طويل على مر الاجيال .

يوجز الاستاذ طه باقر بعد العديد من المستشرقين ادوار الكتابة بما يلي(١٩)

- دور الاشارات والرموز «الاشارة تدل على عمل»
- الدور الصوري والدور الرمزي «الاشارة تدل على كلمة»
- الدور الانتقالي او الدور الكتابي المختلط المسمى بالخط المسماري «الاشارة تدل على مقطع»
- دور الحروف الهجائية ، الدور الصوتي المجرد «الاشارة تدل على حرف» .

الكتابة الابجدية

من أعظم مآثر الانسانية في العصور القديمة هو ابتكار الحروف الابجدية ، ذلك الاناء العجيب الذي استوعب طائعاً تأريخ البشرية في جميع مناحيه وخلده . ان تساؤلات كثيرة قد تبادر الى الذهن ، ترى متى تم هذا الانجاز الفذ ...؟ من قام به ...؟ وأين ...؟ أسئلة بذل العلماء والباحثون جهوداً جبارة طوال قرون عديدة للاجابة عنها ، الا أن الحقيقة لما تنجل حتى اليوم وما زال العلماء تبعاً للاكتشافات الجديدة ينقضون نظرية ويبنون اخرى والتي من أشهرها :

١ ـ النظرية المصرية :

وهي القائلة باقتباس الابجدية من أحد الخطوط المصرية الثلاثة : خط الدولة وخط العامة والخط المقدس « الهيروغليفي » والنظرية هذه

(١٩) مجلة سومر ص ٤١ ـ ٤٢

قديمة عاشت في الاوساط العلمية منذ عهد الاغريق والرومان ولاقت دعم وتأييد الكثير من العلماء القدامى مثل افلاطون وديودوروس وبلوتارك ومن المحدثين أمثال فلندرس واسحق تايلور ...

٢ ـ نظرية بين النهرين :

يرى بعض العلماء مثل ديليتز والمطران اقليمس داود ان الكتابة الهجائية تطورت من المسمارية في وادي الرافدين بصورة عامة ، ويعتبرها البعض مثل أدّل وهومل وليدة متطورة من الكتابة السومرية بالذات ، وهي من مبتكرات البابليين لدى البعض الآخر مثل بول وبايزر أو من مستنبطات الآشوريين لدى غيرهم مثل ديك ...

٣ ـ النظرية التوفيقية :

هناك تيار آخر من المستشرقين مثل تزيمرن ، حاولوا أن يوفقوا بين النظريتين السابقتين فذهبوا الى كونها مخاض الاحتكاك والتفاعل بين الاشكال الكتابية المصرية والنهرينية .

٤ ـ نظرية طور سيناء :

وتتلخص كالآتي : في سنة ١٩٠٥م عثر المستشرق فليندرس بيتري في سرابيت الخادم جنوبي شبه جزيرة سيناء على بعض نقوش كتابية أحدثت ضجة في أوساط العلماء، اذ اعتبرها العديد منهم أصل الحروف الهجائية، ولدى دراستها ظهر ان قسما من علاماتها يشبه أشكال الكتابة المصرية والقسم الآخر الحروف السامية الشمالية وفي غيرها ملامح من كلا الطرفين . وعند محاولة قراءتها لم تفد ـ استنادا الى الاشكال المصرية ـ معنىً ، الا أن العلماء نجحوا اعتمادا على العلامات السامية الشمالية في

شكل ـ ٤ ـ

نقوش أبجدية

عبدو ـ شفطبعل ـ اسدروبال

قراءة جزء ضئيل منها[٢٠] . وفي أول الامر قدر البعض وعلى رأسهم كردنر ان تلك الكتابات ترقى الى مستهل الالف الثاني ق.م. والبعض الآخر وفي مقدمتهم بوير أرجعها الى القرن السادس عشر ق.م. وذهب فيها بعض البحاثة العرب مذهب كردنر أي بداية القرن الثاني قبل

20) M. Cohen, La grande Invention de Ecritner, texte, P. 116

الميلاد[٢١] وقالوا بكونها كتابة سامية والاصل الاول للابجدية التي منهـا تفرعت الابجدية السامية الشمالية وأبجديـة أوغاريت « راس شـمرا » والابجدية السامية الجنوبية • الا أن رأي جمهرة المستشرقين استقر في آخر الامر على انها كتبت في القرن الخامس عشر ق•م• محتذين في ذلك حذو المستشرق اولبرايت[٢٢] ، ومنذ اكتشافها قبل ٧٠ سنة انكب العلماء على قراءتها الا انهم لم يتوصلوا الى قراءة أكيدة لها عدا كلمة واحدة هي « بعلت » وعليه فقد اعتبرها غالبية المستشرقـين المحدثـين من النصـوص الغامضة[٢٣] ولا مجال لاعتبارها أصـلا للكتابة الهجائية[٢٤] واكثـر من ذلك فان البعض من المستشرقين يشكون في كونها كتابة ابجدية[٢٥] •

٥ ـ نظرية الاشكال الهندسية لما قبل التاريخ :

يرى بعض العلماء ومنهم گاستر إن كتابات أبجدية نشأت في أماكن عديدة من الصور الهندسية لما قبل التاريخ كفينقيا واليونان وآسيا الصغرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢١) الاستاذ طه باقر : مجلة سومر م١ ج٢ ص ٥١ ـ ٥٥ • د• أحمـد سوسه : العرب واليهود في التاريخ ، مقدمة ص ٥ •

22) Diringer The Alphabet I, 1968, P. 148 - Cohen, texte, P. 116 - A. G.
Moorhouse, The origin of writing. P. 23

(٢٣) سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ص ١١٦
Cohen, Text, P. 117
Diringer, The Alphabet I, 1968, P. 150 - J. Février, Historie de l' Ecriture, P. 181
J. leibovitch, Les Inscriptions P. 27 et 103 - 107

(٢٤) المصادر نفسها

25) Diringer, The Alphabet I, 1968, P. 147 - 148 - Fevrier, P. 181 Cohen, Text P. 116.

وجنوب البلاد العربية وقبرص وسيناء ومصر وغيرها ، وذلك بصورة مستقلة دون أن يكون للواحد تأثير على الاخرى •

٦ ـ نظرية جزيرة كريت أو النظرية الابجدية :

نظر اليونانيون الاولون الى جزيرة كريت كمصدر للثقافة القديمة التي منها شقت المدنية الى سائر جزر اليونان • وانتعشت هذه النظرية ثانية بعد عثور البعثات الانكليزية والايطالية والاميركية في الجزيرة على نقوش وكتابات يرقى عهدها الى نحو ٢٨٠٠ سنة ق•م• كما وجدت مصنوعات فخارية كريتية في آثار مصر وبين النهرين ، مما يدل على علو شأن الحضارة في هذه الجزيرة في تلك العصور الموغلة في القدم • كما عثر على نقوش ذات كتابة مقطعية يرجع عهدها الى القرون الاولى من الالف الثالث ق•م• وقد اختلف الباحثون فيما اذا كانت كريتية الاصل ، أو انها جاءت من مصر •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان أول من قال بنظرية الابجدية الكريتية هو السير آرثر ايفانس وقد ذهب الى أن الفلسطينيين اقتبسوا الابجدية من جزيرة كريت وأكملوها فيما بعد • ودليله في ذلك هو أن بعض أشكال الابجدية في أطوارها الاولى تشبه الصور الكتابية الكريتية •

٧ ـ نظرية اوغاريت ـ راس شمرا ـ :

في عام ١٩٢٩م وبينما كان العلماء الثلاثة شيفر وشينين وفيرولتو يقومون بالتنقيب في قرية راس شمرا شمال مدينة اللاذقية على سواحل سوريا ، عثروا على عدة نقوش ذات أهمية بالغة كتب أكثرها بالقلم

المسماري ، وتبين لدى قراءتها ان كتاباتها أبجدية[٢٦] وان كانت مدونـة بالقلم المسماري • وظهر أن التنقيب كشف عن مدينة اوغاريت التاريخية •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شكل ـ ٥ ـ
أبجدية اوغاريت المسمارية

(٢٦) أنيس فريحة ص ١٩ سبتينو موسكاتي ص ١٢١
Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 150 - 151
Edmond Jacob, Ras Shamra et l'Ancien testament, P. 24

وعثر بعدئذ على لوحة نقشت عليها قائمة كاملة بالحروف الابجدية «٣٢» حرفاً ، أكثرها يشبه الحروف الابجدية السامية الشمالية شكلا ولفظاً • وقد وزعت ثمانية من الحروف الزائدة بين الحروف الاثنين والعشرين ووضع الحرفان الآخران وهما الهمزة بالكسر والضم بعد « التاو » • والجدير بالملاحظة ان بين الحروف الزائدة ما هو موجود في العربية مثل ـ الخاء والظاء والغين ـ وتكرر حرف السين وضم الى حرف يشبه لفظه صوت « ou » الافرنسي ويرى ديرينكر[٢٧] ان العلماء لم يتوصلوا بعد الى قراءة سبعة من الحروف الزائدة بشكل محقق أكيد • وكتبت نقوش اوغاريت من اليسار الى اليمين وبهذا حذت حذو القلم المسماري النهريني وليس القلم السامي[٢٨] ويرى قسم من المستشرقين أن عهدها يرتقي الى القرن الرابع عشر ق•م•[٢٩] • والقسم الآخر منهم الى القرن الخامس عشر ق•م•[٣٠] واختلف العلماء في منشئها فاعتقد ديرينكر (Diringer)[٣١] في أول الامر انها الاصل المباشر للخط السامي الشمالي ، الا انه غير رأيه فيما بعد واقتنع برأي العديد من المستشرقين القائل باقتباسها من الخط السامي الشمالي[٣٢] • ويرى سبتينو موسكاتي[٣٣]

27) The Alphabet, I, P. 151 - 152

(٢٨) سبتينو موسكاتي ص ٦٤

Diringer, Writing, London, 1960, P. 115 - Cohen, Text, P. 118

(٢٩) انيس فريحة ص ٢٢

(٣٠) سبيتنو موسكاتي ص ١١٦ ـ ١١٧

Diringer, The Alphabet, I, 1968, PP.150 - 152

E. Jacob, P. 24; A. G. Moorhause, P. 24; Diringe, Writing, 1960, PP. 115 - 116.

31) Diringer, Writing 1960 P. 117

32) G. R. Driver, Semitic Writing, P. 151 ; Diringer, The Alphabet I, 1968, PP. 160 - 161

(٣٣) الحضارات السامية القديمة ص ١٢١

بعد بروكلمان ان هذا الخط اقتبس مبدأ كتابة الحروف عن المصريين مع استعمال الخط المسماري البابلي • ويميل أنيس فريحة[٣٤] الى ان هجاء اوغـاريت مستوحى من الكتابة البابلية • فيمـا يرى المستشرق الفرنسي دونو[٣٥] ان مبتكر هذه الابجدية كان مطلعـاً على أبجديـة بيبلوس الى جانب تأثره بالآرامية[٣٦] ويجمع العلماء على أن لوحة أبجدية اوغاريت هي أول قائمة ـ الف باء ـ اكتشفت حتى الآن •

٨ ـ نظرية الابجدية السامية الجنوبية :

عثر السير ليوناروولي في أحـد معابد اور على نقوش كتبت بالقلـم السـامي الجنوبي بين القـرنـين الثامن والسـادس ق•م•[٣٧] وأجمـع المستشرقون على أن هذا القلم مقتبس في عهد مبكر جداً من القلم السامي الشمالي عن طريق شبه جزيرة طورسينا[٣٨] ، وانتشـر بادىء الامـر في جنوب الجزيرة العربية سيما في اليمن ثم عبر البحر الاحمر الى الحبشة • كما انتشر في شمال الجزيرة العربية وتولدت منه الخطـوط الصفـويـة واللحيانية والثمودية • ولقد انقرض الخط السامي الجنوبي عـدا القلـم الحبشي •

---

(٣٤) ملاحم واساطير من اوغاريت ص ٢٩

35) Diringer, The Alphabet, I, P. 152

36) Moorhouse , The origin of writing, P. 24

37) Diringer, The Alphabet, I 1968, P. 155 et 174

38) I. J. A. Gelb, A story of writing, P. 133 - Dussand, Syria, Tome XXV (1946) P. 42.
Cohen, Text, P. 126 - 127 - Leibovitch, P. 27 - Moorhouse, writing, 1946, P. 45 -
Moorhouse, The Triuph of the Alphabet, 1969, P. 53.

٩ ـ نظرية جازرد لكيش وشخيم :

تقع جازر « تل جازر » في هضبة فلسطين الساحلية جنوب اللد • ولاكش « تل الدوير اليوم » بين غزة والخليل • وشخيم « تل بلاطة الحالية» شرقي مدينة نابلس •

عثر المنقبون في هذه المواقع الثلاثة بين سني ١٩٣٢ ـ ١٩٣٦م على آثار كتابية يرقى تاريخ كتابة قسم منها الى القرن الثامن عشر ق•م• والقسم الآخر الى القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق• م• واعتبرها المستشرق اولبرايت أصل الابجدية الاولى ، وتبعه في ذلك تلميذاه كروس وفريدمان • الا أن ديرنكر(٣٩) وهو الحجة في هذا المضمار يقول : ان معرفتنا الراهنة بالكتابة الكنعانية في جازر ولكيش وشخيم غير كافية لنبني عليها نظرية ثابتة • كما ويلاحظ أنها أقرب كتابة الى الابجدية السامية الشمالية بعد كتابات بيبلوس ، ويضيف : وقد تكون هذه الكتابات الكنعانية أصل الابجدية او فرعاً ثانيا للابجدية الاولى، بيد أن البت في هذا الشأن سابق لاوانه ، والشيء الاكيد في ذلك هو انه قد حدثت في كنعان محاولات عدة في النصف الاول من الالف الثاني ق•م• للتخلص من المقطعية • أما المستشرق فيفريي (Février) (٤٠) فيعتبر أمر هذه الكتابات من الغموض بحيث لا يمكن أن يعطى فيها رأي ثابت أكيد •

١٠ ـ نظرية كتابات بيبلوس القديمة :

اكتشف المنقبون في بيبلوس الواقعة على الساحل شمالي سوريا نقوشا ذات أهمية كبيرة يرقى عهدها الى الربع الاول من الالف الثاني ق•م•(٤١)

39) The Alphabet I, 1968, P. 155 - 158

40) Historie de l' Eviture, P. 188.

41) Février, P. 184 - Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 152 - 153.

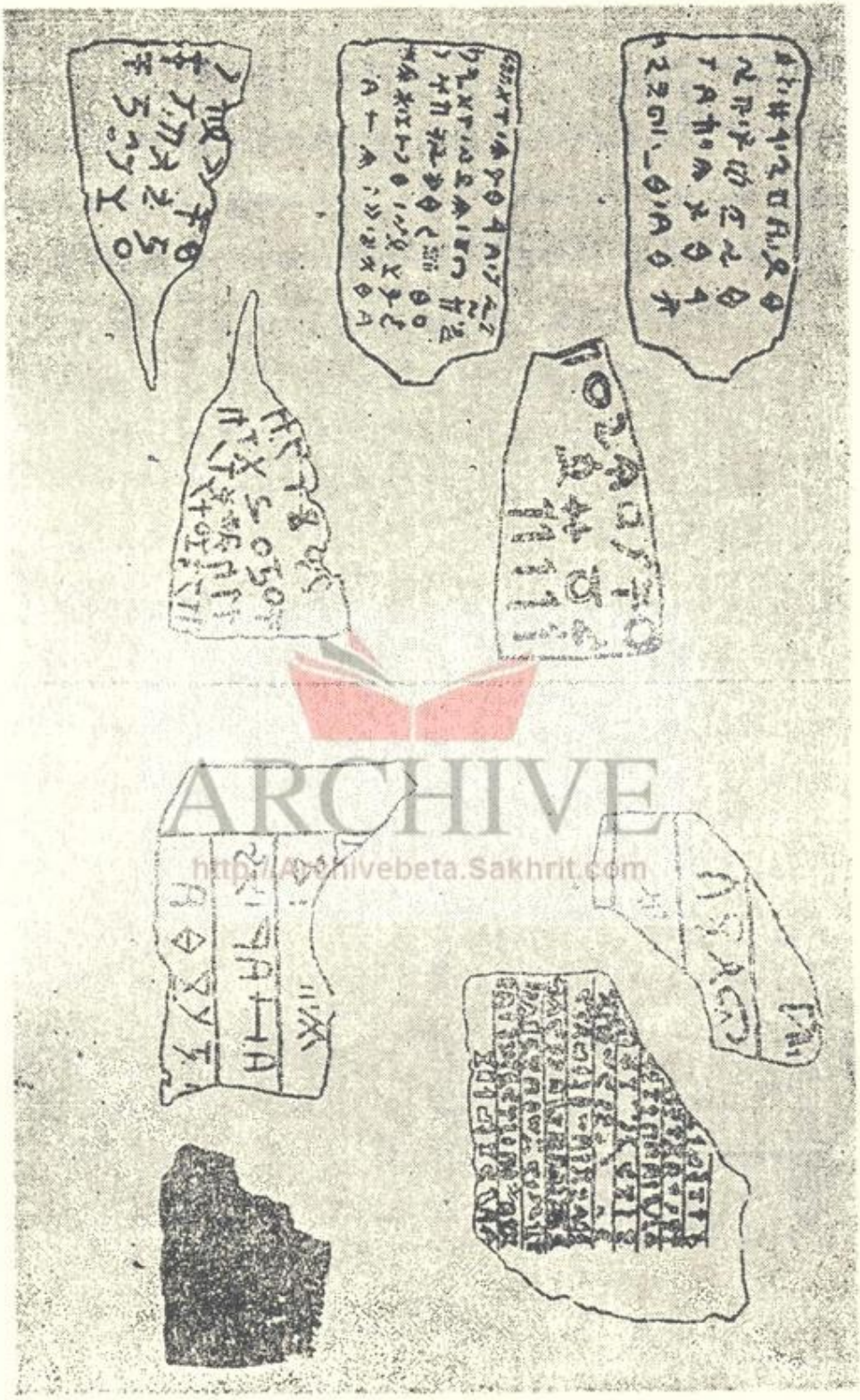

شكل - ٦ -
الكتابات القديمة الشبه الابجدية في بيبلوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولدى قراءتها ظهر أنها تضم نحو ١١٥ علامة ، مما يدل على أنها مقطعية ولكن مع المحاولة لتبسيطها والنزوع بها الى الكتابة الصوتية[٤٢] ، اذ أنها قد اختصرت من ٥٠٠ علامة مسمارية الى ١٠٠ علامة[٤٣] . وبعد الفحص الدقيق والامعان في قراءة احدى اللوحات « لوحة د » رأى المستشرق دورم أنها تخلصت بقدر كبير من المقطعية[٤٤] . ثم عثر أمام باب هيكل بيبلوس على كتابة نقشت على حجر صغير يرقى عهدها الى مستهل القرن السادس عشر ، اعتبرها قسم من العلماء أبجدية ولكن بتحفظ[٤٥] .وفي سنتي ١٩٢٩ و ١٩٣٣ اكتشف المستشرق الفرنسي موريس دونو في بيبلوس نفسها نقوشا اخرى ذات شأن عظيم ، كتابتها أبجدية ،

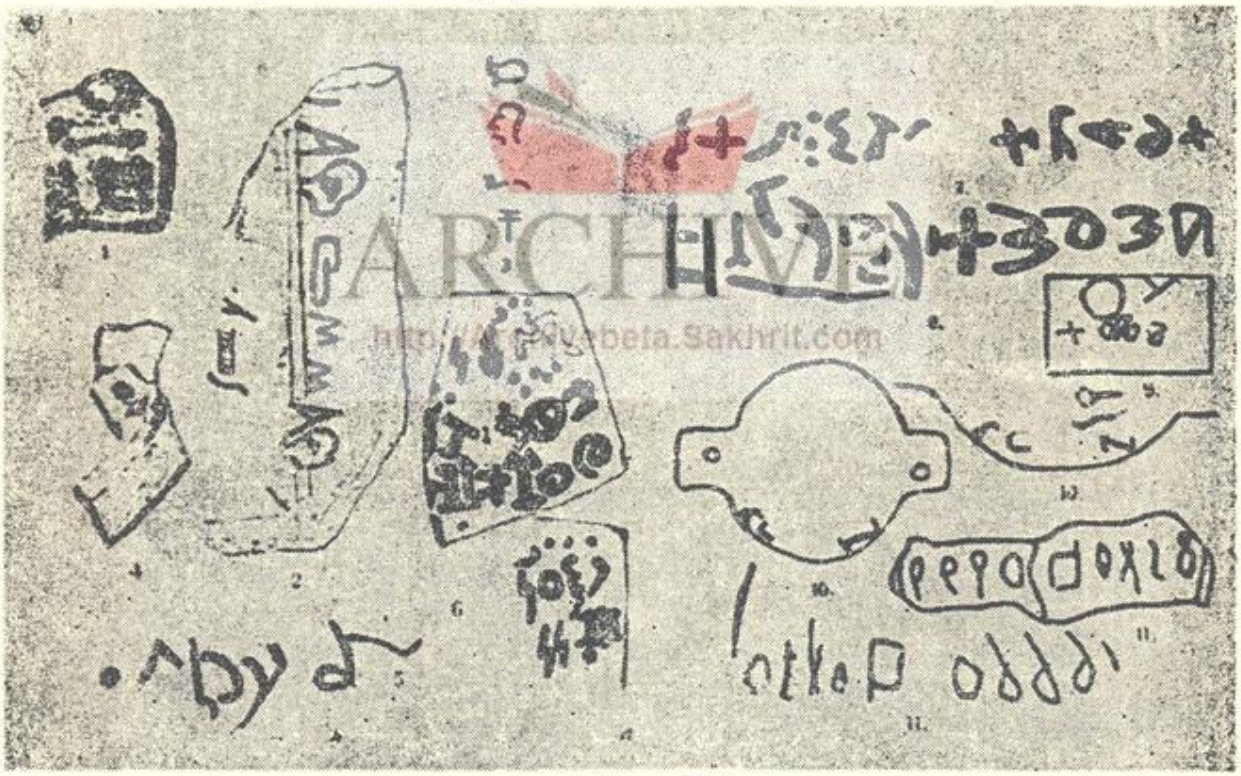

شكل ـ ٧ ـ
الآثار الكتابية في جازر ولكيش وشكيم

42) Cohen, text , P. 106 - 107.

43) F. Dhorme, Syria, Tome XXV, 1946, P. 2.

44) F. Dhorme, Syria, Tome XXV, 1946, P. 2.

45) Février, P. 186.

أهمها نقوش عبدو وشفطبعل واسدروبال واحيرام ويحيملك وابيبعـل واليبعل ، فاعتقد دونو في أول الامر أن قسما منها يرجع الى القرون الاولى من الالف الثاني ق٠م٠ واعتبرها سليلة كتابات بيبلوس المقطعية والشبـه المقطعية الآنفة الذكر ، وأصل الابجدية السامية الشمالية ٠ وأدلته عـلى ذلك هي : ان كلتا الكتابتين استعملتا في منطقة واحدة وفي عهود متتابعـة ، وكلتاهما تكتبان من اليمين الى اليسار ٠ كما ان الحروف الابجدية السامية الاولى عدا ـ الحيث والقوف ـ تشبه علامات كتابات بيبلوس القديمة ، الا الهجائية في بيبلوس ويرى ان أقدمها وهي في نقشي عبـدو وشـفطبعل أن دونو نفسه في كتاب له نشر بعد وفاته يعيد النظر في تواريخ الكتابات لا يرقيان الى ما قبل القرن الرابع عشر ق٠م٠ وان النقوش الاخرى أحدث عهداً[٤٦] ٠

الابجديـة السامية الشمالية :

من هذا العرض السريع لأهم النظريات في منشأ الابجدية يظهر مدى غموض هذه القضية فالابجدية ، هذا الانجاز الانساني الرفيع الذي أتـاح الفرصة للارتقاء في مدارج الحضارة البشرية بانتقال المعارف من السابقين الى اللاحقين بطريقة سهلة ، ليست نتيجة عامل واحد بل عوامل عدة ، ويصيب البروفسور كيرا[٤٧] اذ يقول : في قضية معقدة كابتكار الابجدية ليس بوسع أحد أن يجلس ويقول : « الآن أكون أنا أول شخص يكتب »٠

يتطلب الكشف عن أول ابتكار للابجدية ثلاثة أسانيد أساسية :

١ ـ الكشف عن حروف الابجدية الام بعددهـا الكامل وبصورهـا

46) Diringer, the Alphabet. I, 1968, P. 152 et 195 - Février, P. 201.

(٤٧) أدوارد كيرا : كتبوا على الطين ، تعريب د٠ محمود حسين الامـين ، بغداد ١٩٦٢ ٠

المألوفة كما كانت قائمة في اللغات السامية القديمة ليكون ممكنا اقامة الدليل على انبثاق تلك الابجديات من الابجدية الام .

٢ ـ ثبوت صور حروفها وأشكالها في وثائق مختلفة دون فروق كبيرة .

٣ ـ عدم تعدد الاصوات في صورة واحدة ، اي في حرف واحد، وعدم تعدد الصور لمخرج صوت واحد .

ونحن اذا استعرضنا مختلف النظريات في ضوء هذه الاسس ، ظهرت جميعها بمظهر الضعف ، وهو ما يضعنا في موقف التحفظ الحذر ، فقبل البدء بهذا الاستعراض السريع يجدر بنا ان نستبعد ظاهرة قد توقع الكثيرين في مغالطات ، وهي ان ما يظهر من شبه قريب او بعيد بين الكتابات القديمة في مختلف الامكنة والازمنة ، ليس دليلا قاطعا على ان الواحدة اخذت من الاخرى ، فالانسان في كل مكان لجأ في كتاباته الى رسم صور قسم من اعضاء جسمه المهمة وصور الحيوانات والمحسوسات الاخرى المألوفة المحيطة به .

ففي نظريات بين النهرين وجزيرة كريت وكتابات بيبلوس القديمة لم تتجاوز الكتابة المرحلة المقطعية او شبه المقطعية[٤٨] . والنظرية المصرية مبتورة من حيث قلة الصور الصوتية وتعدد الاشكال والصور لمخرج صوت واحد[٤٩] . اما نظرية طور سينا ، فان العلماء لم يتمكنوا من ان يقرأوا من كتاباتها بصورة اكيدة محققة الا كلمة واحدة هي

48) Février, P. 194 - Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 147, 157, 162.

49) Diringer, the Alphabet, I, 1968, P. 146 - 148.

« بعلـت »[٥٠] هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فعهدها لا يرتقى الى ما قبل القرن الخامس عشر ق.م. عهد ابجدية اوغاريت المكتملة .

وبصدد بدائية الاشكال الكتابية في نقوش طورسينا والتي يتخذهـا بعض المستشرقين دليلا لاسبقيتها نقول : طالما هناك ابجديات مكتملـة معاصرة لهـا واكثـر تطورا منها كأبجدية اوغاريت المقتبسة بدورها من ابجدية مجاورة ، فهـذا لا يدل الا عـلى ان العمال الساميين الذيـن نقشوا تلك الكتابات ، دونوا لغتهم السامية بالاشكال المصرية المجاورة التي بقيت بدائية الى ان اقتبس المصريون الابجدية السامية الشمالية . وكل مـا يمكن ان يقال عنها هو انها حلقة وصل بـين الابجدية الشمالية والابجدية السامية الجنوبيـة[٥١] . ونظرية ابجدية اوغاريت ذات الابجديـة المكتملة تفترض وجود ابجدية سابقة لهـا ابسط منها ، اذ ان الحروف الاضافية فيها وتعدد الالف مشكلة بالفتـح والكسر والضم يمكن اعتبـاره تطويرا لكتابة[٥٢] ، ويبدو من كتابتها المسمارية التي رغم عدم العثـور على مثيـل لها في اية بقعة اخرى ، ان واضعها قد اقتبس من ابجديـة سبقتها[٥٣] ، وكتبها بأدوات الكتابة المسمارية .

---

(٥٠) سبيتنو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، ص ، ١١٦ ـ
Cohen, text, P. 117 - Février, P. 181.
Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 150 - Leibovitch, P. 27 et 103 - 107.

51) Leibovitch, P. 27 - Moorhouse, Writing, 1946, P. 45 - Ibid. The Triumph of the Alphabet, 1959, P. 53 - Cohen, Text. P. 126 - 127 — Diringer, The Alphabet , I, 1968, P. 156.

52) Diringer, The Alphabet I, 1968, P. 151.

53) Ibid, P. 152.

واذا كانت كتابات بين النهرين او كريت او مصر او سيناء او جنوب الجزيرة العربية الابجدية الاولى التي اعطت الحياة لسائر الابجديات ، فلماذا تركها اصحابها واتخذوا الابجدية السامية الشمالية ؟ وان كانت ابجدية اوغاريت المسمارية ام الابجديات فلماذا تحولت الى غير مسمارية في عهد كانت فيه الاشكال المسمارية مألوفة ومدعومة من قبل اقوى الامبراطوريات القائمة آنذاك ..؟ .

اما نظرية جازر ولكيش وشخيم فغامضة ومشكوك فيها ، ولا يمكن بناء اليقين على الشك[٥٤] . ونظرية الابجدية السامية الجنوبية تختلف فيها اشكال الحروف وصورها عن سائر الابجديات القديمة عدا كتابات سيناء[٥٥] لذلك فمن الصعب اعتبارها أماً لتلك الابجديات ، وليس في حوزتنا من اثر لها قبل القرن الثامن . والنظرية التوفيقية فكل ما يمكن ان يقال فيها هو ان الثقافات القديمة ساهمت بتأثيرها المتبادل في الوصول الى القلم الابجدي الكامل[٥٦] . ونظرية الاشكال الهندسية لما قبل التاريخ ونشوء الابجدية مستقلة في اماكن مختلفة ينكرها التاريخ ، وكل الدلائل تشير الى ان الابجدية الاولى ظهرت في بقعة واحدة ومنها انتشرت الى سائر اقطار المعمورة . بيد انه من الطبيعي ان يستفيد اللاحقون من تجارب السابقين ، واغلب الظن ان واضعي الابجدية الاولى قد استعانوا بما ورثوه من اشكال وصور كتابية[٥٧] .

---

54) Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 156 - 157 - Février. P. 188.

55) Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 162 - Février. P. 197 - 200 Driver, P. 189.

56) Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 147 - 148 - Février P. 197-200.

57) Leibovitch, P. 47 - Moorhouse, Writing, P. 45 - The Triumph of the Alphabet, P. 53.

من هـو اذن اول مبتكر للابجـدية ؟ ومتى واين تم هـذا الانجـاز العظيـم ...؟

من هو اذن اول مبتكر للابجدية ؟ ومتى واين تـم هـذا الانجاز تأثـير عظيم على خروج الكتابة الابجدية الى حيز الوجود ، الا انه ليس هناك اي دليل واضح لتوصلهم بانفسهم الى هذه المأثـرة الانسانية الفذة ، وعليه يبقى واضعوا الابجدية الاولى في حكم المجهولين ، بيد ان جمهـرة المستشرقين يرون ان اول ابجدية ظهرت هـي السامية الشمالية الغربيـة في سوريا وفينيقيا التي كانت ملتقى حضارتي وادي الرافدين ومصر[٥٨] . وسنحاول هنا تحليل كيفية التوصل الى هذا الرأي :

١ ـ من الواضح ان الابجدية السامية الشمالية التي تتكون مـن اثنين وعشرين حرفا احتفظت باشكال حروفها لمدة تزيد على الالف سـنة دون ان يطرأ عليها تغيـير كبـير ، وقد اقتبستها الشعوب المتمدنة في ادوار مختلفـة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

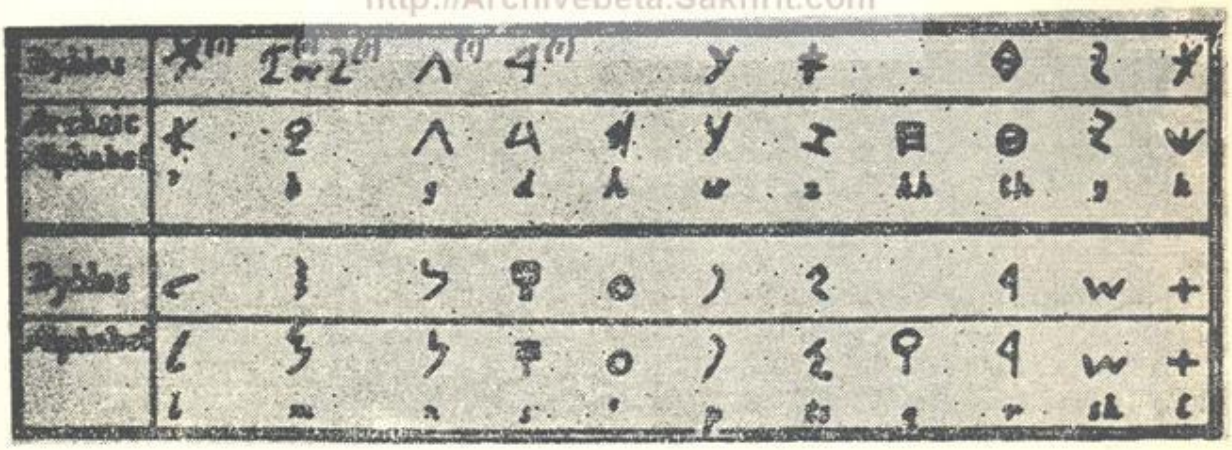

شكل ـ ٨ ـ
لوحة مقارنة بين العلامات الكتابية الشبه الابجدية والكتابة الابجدية في بيبلوس

58) Diringer, The story of the Aleph - Beth, 1960, P. 36 - 37 — The Alphabet, 1968, P. 195.

وهنـــا نستدل ببعض معالم اكيـدة في تاريـخ الابجدية ، وتتدرج رويداً رويداً من الواضح الى الاقل وضوحا للوصول الى اصولها الاولى. فهناك كتابات تتفق جمهرة المستشرقـين على انها ابجدية ، وان صـــور حروفها لـــم تتغـير كثيرا طوال قرون نذكر اهمها :

شكل ـ ٩ ـ

مسلة ميشاع ملك موآب من القرن التاسع ق.م.

أ ـ الحلقة الاولى وتضـم :

ـ مسلة ميشاع ملك موآب ، عثـر عليها شرقي البحر الميت ويرتقي عهـد كتابتها الى منتصف القرن التاسع ق٠م٠

ـ كتابة فينيقية وجدت في جزيرة قبرص عن بعـل الـه الفينيقيـين من العهـد نفسه ٠

ـ نقوش آرامية وجدت في زنجرلي بسوريا ، كتبت في القرنـين التاسع والثامن ق٠م٠ اهمها نقش بركب ٠

ـ نقش السلوان العبري ، كتبت في اورشليم في القرن الثامن ق٠م٠

ب ـ الحلقـة الثانيـة :

ظهرت باكتشاف نقوش عديدة في بيبلوس يرتقي عهدها الى ما بـين القرن العاشر والثاني عشر ق٠م٠ واهمها : نقوش ابيبعل القرن العاشـر ، يحيملك القرن الحادي عشر ، وقبر احيرام ، ونقش احد رويال من القرن الثاني عشر ق٠م٠

ARCHIVE

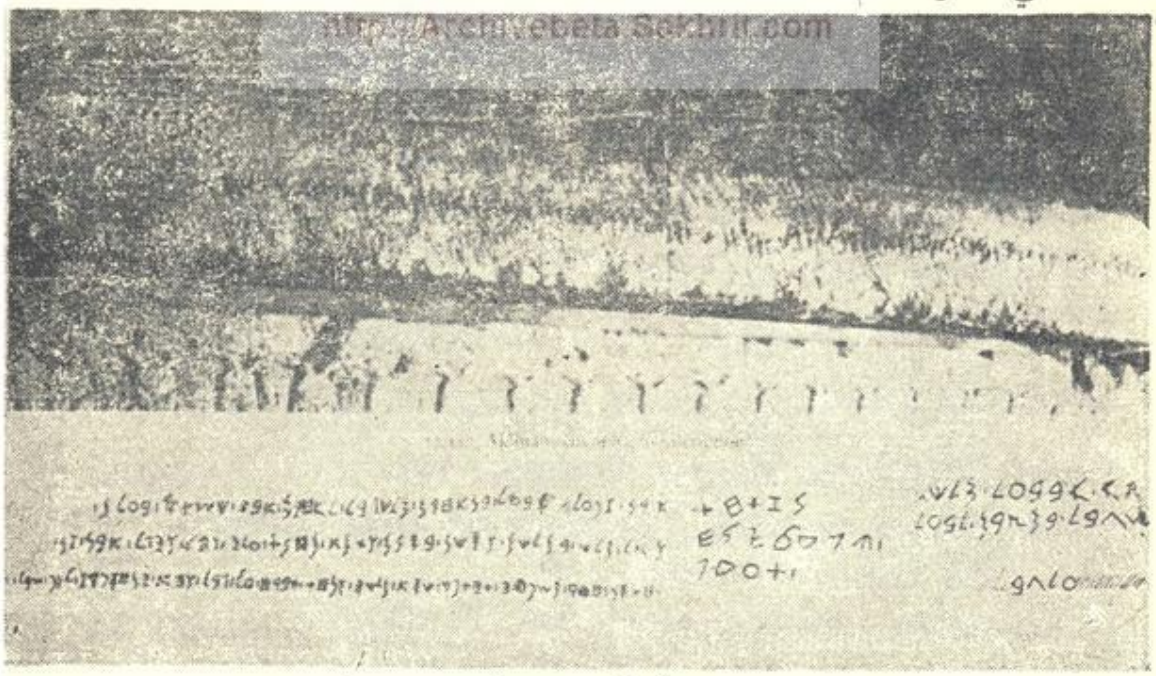

شكل ـ ١٠ ـ
قبر احيرام

جـ ـ وتأتي الحلقة الثالثة في اقدم نصوص لكتابات ابجدية اكيدة وهي نقشا عبدو وشفطبعل ، وقد وجدا ايضا في بيبلوس ، ويرتقيان الى القرن الرابع عشر ق.م.[٥٩] .

٢ ـ يلاحظ المستشرقون[٦٠] ان بعض التطور يظهر في حروف الابجدية السامية الشمالية القديمة رغم احتفاظها لقرون طويلة باشكالها التقليدية عامة ، حتى بعد تشعبها الى فروعها الاولى ، ولدى مقارنة اشكال حروف قبر احيرام مع كتابات عبدو وغيرها من الكتابات السابقة لها ، يظهر هذا التطور ، ويبدو للمستشرقين ان كتابة نقش احيرام استنسخت من كتابة اخرى على ورق البردي[٦١] .

٣ ـ يستدل مما سبق ان عهد كتابة نقوش اوغاريت ولوحاتها بقلم مسماري ابجدي على ساحل سوريا يسبق قليلا اقدم نقوش ابجدية اكيدة ظهرت حتى الان في بيبلوس . والرأي الارجح بين المستشرقين كما ذكرنا سابقا هو ان ابجدية اوغاريت اخذت من ابجدية سابقة لها، وذلك لما تحويه من حروف اضافية «كما هو الحال في العربية» وتعدد حركات الهمزة فيها . ويستدل من المقارنة ان الشبه كبير بين ابجدية اوغاريت وابجدية بيبلوس[٦٢] . ومن هنا يبدو ان مدوني نقوش اوغاريت قد اقتبسوا الكتابة من الابجدية السامية الشمالية في بيبلوس او غيرها من المراكز الثقافية في سوريا وفينيقيا ، تلك التي لم تترك لها اثرا او لم يعثر لها على اثر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

59) Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 159

60) Diringer, The story of the Aleph-beth, 1960, P. 36-37 - Diringer The Alphabet, I, 1968, P. 195.

61) Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 160.

62) Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 150 - 151 — Driver, P. 151- Gelb, P. 135.

٤ ـ لقـد عثـر امام هيكل بيبلوس على حجر صغير نقشت عليـه علامات كتابية يرقى عهدها الى بداية القرن السادس عشر ق٠م٠ يعتبرها يتحفظ قسم من المستشرقين كتابة ابجدية(٦٣) .

شكل ـ ١١ ـ

علامات كتابية أبجدية نقشت على حجر صغير عثر عليه أمام هيكل بيبلوس من القرن السادس عشر ق٠م٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ ـ اختلفت آراء المستشرقين في نوع كتابات النقوش القديمـة التـي عثـر عليها في بيبلوس «٢٠٠٠ ـ ١٨٠٠ ق٠م٠» تلك التي اعتبرها المستشرق موريس دونو اصل الابجدية السامية الشمالية المتمثلة في كتابات بيبلوس الهجائية وذلك لان كلتا الكتابتين استعملت في المنطقة نفسها فـي عهود متتابعة ، وكل الحروف الفينيقية « السامية الشمالية » عدا ـ الحيث والقوف تشبه العلامـات الكتابية المدونـة في نقوش بيبلـوس القديمة(٦٤) وكتاباتها مقطعية تحوي اكثـر من (٨٠) علامة تكتـب مـن اليمـين الى اليسـار(٦٥) امـا فيفريي فيقـول بمقطعيتها وان عهدها يرقى الى الربـع

63) Février, P. 158.

64) Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 153

65) Ibid, P. 152.

الاول من الالف الثاني ق٠م٠[٦٦] والمستشرق كوهين يعتبرها امـــا كتابة مقطعية صرفة او شبه مقطعية فيها اكثـر من مائـة علامة[٦٧] وكيلب يرى انها خليط من المقطعية والهجائية[٦٨] والشبه بينها وبـين احـــرف الابجدية السامية الشمالية كبـير جدا بل وليس بينهما فرق يذكر[٦٩] ٠ اما المستشرق دورم البحاثة الحجة في هذا المضمار فـيرى ان هناك بعض الشبه بينها وبين العلامات الكتابية المصرية ، الا انها خارجية فحسب مـــع اختلاف مخارج اللفظ بينهما[٧٠] والعلامات الكتابية فيها تربو قليلا على المائـــة[٧١] وبعـد ان يتمعن في فحصها وقراءتها يخلص الى القـول ان احدى لوحاتها «د» تحاول التخلص تدريجيا من المقطعية لتصبح هجائيـــة مشابهة للابجدية السامية الشمالية[٧٢] ٠

٦ ـ لـم تنفرد بيبلـوس بكتابات كهذه في تلـك العهـود السحيقة في القدم بل ظهرت في اماكن اخرى عديدة من كنعان كتابات شبيهة بكتابات بيبلوس القديمة ، واهمها النقوش التي عثـر عليهـا في جـازر ولكيش وشخيم يرقى عهد قسم منهـا الى القـرن الثامن عشـر او السابع عشـــر ق٠م٠[٧٣] وقد تكلمنا عنها انفـا ، ويقول عنها ديرنكر انها اقرب كتابة

---

66) Février, P. 184.

67) Cohen, Text, P. 106 - 107.

68) Gelb, P. 158.

69) Ibid, P. 132.

70) Syria, Tome XXV, 1946, P. 1

71) Ibid, P. 2

72) Ibid, P. 2

(٧٣) سبيتنو موسكاتي ، ص ١٢١ ـ
Diringer. The Alphabet, I, 1968, P. 155

الى الابجدية السامية الشمالية بعد كتابات بيبلوس[٧٤] ويعتبرها هـذا المستشرق اما محاولة لايجاد ابجدية كما حدث في نواح اخرى من كنعان واما احد جذور الابجدية السامية الشمالية ، او فرعا ثانيا من الابجديـة الاولى .

ويستخلص من النظريات المعتمدة في اكتشاف الابجدية ومن هـذا التدرج السريع النقاط التالية :

أ ـ ان التقليد الجامد في ما بـين النهرين ومصر مهدي الحضـارة البشرية حال الانسان دون بذل اي جهد حقيقي للتخلص من الكتابـة المقطعية وان حدث في مصـر القديمـة بعض التقـدم لتبسيـط الكتابـة المقطعيـة[٧٥] .

ب ـ لا يجوز القول ان اقدم اثـر ابجدي عثـر عليه هـو الاقدم مطلقا . وعليه فالنقوش ذات الكتابات الابجدية الاكيدة التي في حـوزة المستشرقين المدونة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ليست اول اثر ابجدي.

جـ ـ ان كتابة اوغاريت الابجدية المسمارية «القرن الخامس عشر ق.م.» تفترض وجود قلم ابجدي مكتمل سابق لـه .

د ـ بما ان اقرب صور ابجدية الى كتابة اوغاريت المسمارية هـي صور حروف الابجدية السامية الشمالية ، فمن المحتمل جدا ان تكون هذه الاخيرة اصل كتابـة اوغاريـت ، وهـذا يجعـل الابجديـة الساميـة الشمالية تقفـز الى ما قبـل القـرن الخامس عشـر ق. م. ويفتـرض وجودها قبل ذلك التاريخ رغم عدم حصولنا على اثـر اكيد لهـا .

74) The Alphabet , I, 1968, P. 155 - 158.

75) R. Dussond, Syria, Tome XXV, 1946, P. 43.

هـ ـ توحي كتابات بيبلوس القديمة وكتابات جازر ولكيش وشخيم انه قد حدثت منذ مستهل الالف الثاني ق٠م٠ محاولات للتخلص من الكتابة المقطعية المعقدة في مختلف المراكز الثقافية في سوريا وكنعان ٠

و ـ تمخضت هذه المحاولات عن ظهور كتابة ابجدية كاملة موحدة ذات اثنين وعشرين حرفا في فينيقيا قبل منتصف الالف الثاني ق٠م٠(٧٦) دعيت الابجدية السامية الشمالية ٠

ز ـ ان هذه الابجدية احتفظت نسبيا باشكال الصور ثابتة لمدة قرون عديدة ، اجتاحت رغم ضعف حامليها الكتابات المقطعية التقليدية في وادي الرافدين ووادي النيل منذ نهاية النصف الاول ق٠م٠

لنعد بعد هذا ونطرح السؤال ثانية : من مبتكر الابجدية ٠٠ واين ومتى تم ذلك ٠٠٠؟

ما يزال الجواب غامضا ، الا اننا نحاول قدر الامكان حصر نقاط الغموض متبعين في ذلك اسلوب درايفر(٧٧) وديرنكر(٧٨) :

ان تقليد استعمال الكتابة المقطعية كما ذكرنا كان قد اغرى القوى الحاكمة شرقا في وادي الرافدين وغربا في وادي النيل ، فكلتاهما كانتا راضيتين عن ذلك الاسلوب مرتاحتين اليه ٠ فاستخدمت ولا سيما المسمارية لغة لمراسلات الدولة الرسمية والمعاملات الاجتماعية والتجارية ، يظهر

---

(٧٦) سبتينو موسكاتي ، ص ١٢١ ـ
Février, P. 200 - Cohen, text, P. 114 et 417
Diringer, The story of Aleph - beth, 1960, P. 36 - 37 — The Alphabet, I, 1968, P. 164.

77) Driver, P. 191 - 197.

78) Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 159 - 163

ذلك جليا من الرسائل التي كتبها ملوك بابـــل الى ملوك مصر المعروفـــة برسائـــل « تل العمارنه » والمدونة في القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق٠م٠ وكان استحداث اي تجديد في هذا المضمار عسيراً ، سيما والكتابـة المقطعية كانت تعتبر جزءا من المراسيم الدينية المقدسة ٠ وهذا يحتـــم ان يكون من يبادر الى تطوير ذلك ، خارج منطقة نفوذ تينك القوتين ، او في منطقة يضعف فيها نفوذهما ، وكان ذلك فعلا ، اذ توفرت مثـل هـــذه الشروط باستيلاء قبائـــل الهيكسوس السامية على سوريا وكنعان في القرون الاولى من الالف الثاني ق٠م٠ ثـــم استيلائهم على مصر نفسها ، فحكموها في الفترة ما بين ١٧٣٠ ـ ١٥٨٠ ق٠م٠ وهذا يتفق مع عهد ظهور بوادر تبسيط الكتابة المقطعية وادخال بعض الاصوات الهجائية في كتابات بيبلـوس القديمة وجازر ولكيش وشخيم ، ثـــم تطورت تلك الكتابات المبسطة الى قلم ابجدي اقتبس منه القلم المسماري الاوغاريتي ، مما يفترض اكتمـال الابجدية الاولى في سوريا وكنعان(٧٩) و هـذا ليس بامـر غريـب اذ ان سوريا وكنعان كانتا ملتقى الحضارات القديمة ، فهناك اثار مصرية فـــي الجنوب الغربي من هذه المنطقة ، واخرى من كريت وقبرص واليونـــان في الشمال ، واثـار بين النهرين سيما في الشمال الشرقي ، ويظهر ان من التقاء هذه الحضارات وتفاعلها نشأت الابجدية الاولى ٠ وهذا ما يستنتجـه العديد من المستشرقين ، القدامى منهم امثـال ليفـي وليدسبارسكي وبيلشر وبريتوريوس ، ومن المحدثين امثـال كوك الانكليزي ودوسّو وشيفـر

(٧٩) سبتينو موسكاتي ص ١٢١ ـ

Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 164 — Cohen, text, P. 114 et 412 - Février, P. 200.

ودرايفر وفيرفريي من فرنسا ، وبينغ وهنس باور وشوت من المانيا وسندوول الفلندي ، وگروت الهولندي ، وموسكاتي الايطالي ، وكوهين بلاك وديرنكر الاميركيين(٨٠) .

فهل في امكاننا أن نذهب الى أبعد من ذلك في تشخيص مبتكري الابجدية ومكانها ؟ ان اسم مدينة بيبلوس باليونانية يعني « مدينة الكتاب » بالاضافة الى أهمية الآثار الابجدية والشبه الابجدية المكتشفة فيها(٨١) وعليه فهل بالامكان ترجيح كفة الميزان لصالحها ؟ أن تقرير ذلك كحقيقة ثابتة ما يزال سابقاً لاوانه .

اسماء الحروف ومعانيها :

انحدرت الينا قائمة كاملة لحروف الابجدية من أحد نقوش اوغاريت من القرن الخامس عشر ق.م. غير أنها تتألف من اثنين وثلاثين حرفا ، رتبت بصورة عامة حسب نظام الابجدية السامية المألوفة ، وقد اضيفت الحروف العشرة الزائدة أما بين الحروف أو في نهاية القائمة . ثم ورد ترتيب حروف الابجدية في بعض أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس أهمها سفر المزامير ١١٩ ومراثي أرميا ١ ـ ٤ ومن الجدير بالملاحظة ان أسماء الحروف اليونانية تنتهي بالف الاطلاق « الفا ، بيتا ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

80) Driver, P. 189 - 197 — Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 163- Février, P. 172 — Cohen, text, P. 417 — Dussoud, Syria, Tome XXV, 1946. P. 43.

81) Driver, P. 197 - Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 163 — Moorhouse, The origin of the writing. P. 27 — Dussoud, Syria, Tome. XXV, 1946, P. 43 — Dhorme, Syria, Tome XXV, 1946, P. 2 — Gelb. P. 158 — Cohen, text, P. 107.

گاما .... الخ » خلافا لما هو في اللغات السامية بضمنهـا اللغـة الآراميـة السريانية بالرغم من أن الاسماء فيهـا غالبا ما تنتهي بألف الاطـلاق ، ففي هذه اللغات غالبية أسماء الحروف تنتهي بساكن «الف، بيت، گمل .. الخ» وهذا يدل على أن اليونانيين قد اقتبسوا الكتابة الابجدية في نهايـة الالف الثاني أو في بداية الالف الاول ق.م.[٨٢] من الآرامية ، حيث كان مثل هذا اللفظ سائدا لديهم[٨٣] وفي هـذه الحالة يمكن ارجـاع الفضـل في اكتشاف الابجدية الى الآراميين[٨٤] .

لقد استعان الانسان في كتاباته البدائية الاولى حيثما كان برسم بعض أعضاء جسمه وما يحيط به ويألفه من حيوانات وما كان يعايشه في حياتـه البدائية، وانتقلت هذه الاشكال والصور الى الكتابات المقطعية. ولدى تطور الكتابة وبلوغها مرحلتها الكاملة في القلم الابجدي ، استعان الانسان بتلك الاشكال والصور نفسها[٨٥] مع بعض التبسيط فيها ، وعليه فكل حرف في منشئه الاول يشابه في شكله ما كان يدل عليه اسمه ، ثم اقتصـر على لفظ الصوت الاول من ذلك الاسم[٨٦] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

82) Février, P. 395-399 — I. Tylor, the Alphabet, P. 66 — Driver, P. 171-172 — Moorhouse, The Triumph of the Alphabet, P. 127- Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 359.

83) Tylor, P. 166 - 167.

(٨٤) المطران اقليميس داود ، اللمعة الشهية ج١ ص ١٠٥ .

(٨٥) اسرائيل ولفنسن
Driver, P. 189 — Février, P. 197 — 200

(٨٦) د. طه باقر ، مجلة سومر ، م١ ، ج٢ ، ص ٥٤ ـ ٥٥
Tylor 1 , P. 167 — Driver, P. 157 —
S. Mercer, The origin of the writing and our Alphabet, 1959, P. 50 —
Février, P. 226, — Moorhouse, The Triumph of the Alphabet, P. 99 —
Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 168.

وفيما يلي قائمة بأسماء حروف الابجدية السامية الشمالية حسب ترتيبها التقليدي المألوف ومعانيها بلغة سامية معاصرة لاكتشاف الابجدية[٨٧]:

اسم الحرف	معناه	اسم الحرف	معناه
الف	ثور « راس ثور »	لامذ	عصا الراعي
بيت	بيت	ميم	ماء
گمل	جمل	نون	سمكة
دالث	باب	سامك أو سمكث	سند
هي	شباك	عي	عين
واو	وتد	في	فم
زاين	سلاح	صادي	مصيدة
حيث	سياج ـ حائط	قوف	قرد
طيث	حرف التاء ومحاط بدائرة	ريش	راس
بوذ	يد	شين	سن
كاف	الكف (اليد مع الاصابع)	تاو	ميسم ـ علامة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقي ترتيب هذه الابجدية ثابتا حتى الآن ، أي لفترة تربو على الثلاثة آلاف وخمسمائة سنة مع تغير بسيط لـدى اليونانيين واللاتينيين ، فنقلـوا عددا ضئيلا جدا من الحروف من مكانها وزادوا حروفا لمخارج الاصوات التي ينفردون بها والحقوها بها ، وقلبوا الحروف الحلقية الى حروف علة . أما العرب فقد أعادوا ترتيب أبجديتهم وابتعدوا فيها عن الترتيب المألوف ، وسوف نتعرض لذلك في بحث لاحق .

87) Février, P. 227 - 229 — Driver, P. 161 — 171 — Diringer, The Alphabet, I, 1968, P. 168 — Moorhouse, The Triumph of the Alphabet, P. 97 - 98 — Tylor, I, P. 169 - 174.

تفـــرع الابجديـــة

مثلما انقسم الشعب السامي فيما قبل التاريخ الى أقوام وقبائل كثيرة وتشعبت لغتـه السامية الام الى لغـات عديدة ، كذلـك تفرعت الابجدية السامية الشمالية الاولى التي ابتكرها الساميون في سوريا وكنعان الى أربعة أقـلام قديمة رئيسية(٨٨) اخـذت منهـا الاقـلام الابجديـة فـي العلـم بأسره :

١ ـ القلم السامي الجنوبي : انتشر في حينه في جنوب شبه الجزيرة العربية وعبر البحر الاحمر الى الحبشة وانتشر بعد ذلك بين قبائل الجزيرة العربية ، وتولدت منه الاقلام اللحيانية والثمودية والصفوية ، في حين لـم تقم له قائمة الا في القلم الحبشي •

٢ ـ القلم الفينيقي القديم : تولد منه القلم الفينيقي المتأخر وانتقل مع بعض التغير الى المستعمرات الفينيقية في شمال أفريقيا على سواحل البحر الابيض المتوسط كقلم قرطجنة وقلم ليبيا القديم ، كما تولد منه أيضا القلم الايبيري « الاسباني القديم » ، وقد انقرض جميعها • ويرى العديد مـن المستشرقين أن الابجدية اليونانية ام الاقلام الغربية كافة ، اقتبست أيضا من الفينيقية • ولنا في ذلك رأي آخر نورده في اللاحق من كلامنا •

٣ ـ القلم العبري القديم : تولدت منه الاقـلام : الموآبي والآدومي والعموني والسامري ، ولم يبق منها الا القلم السامري على نطاق ضيق جـدا •

88) Mercer, P. 44 - Tylor I. P. 197-199 — Moorhouse, The Triumph of the Alphabet, P. 126 - 152 — Février, P. 232 — Diringer, The Alphabet I, 1968, P. 170.

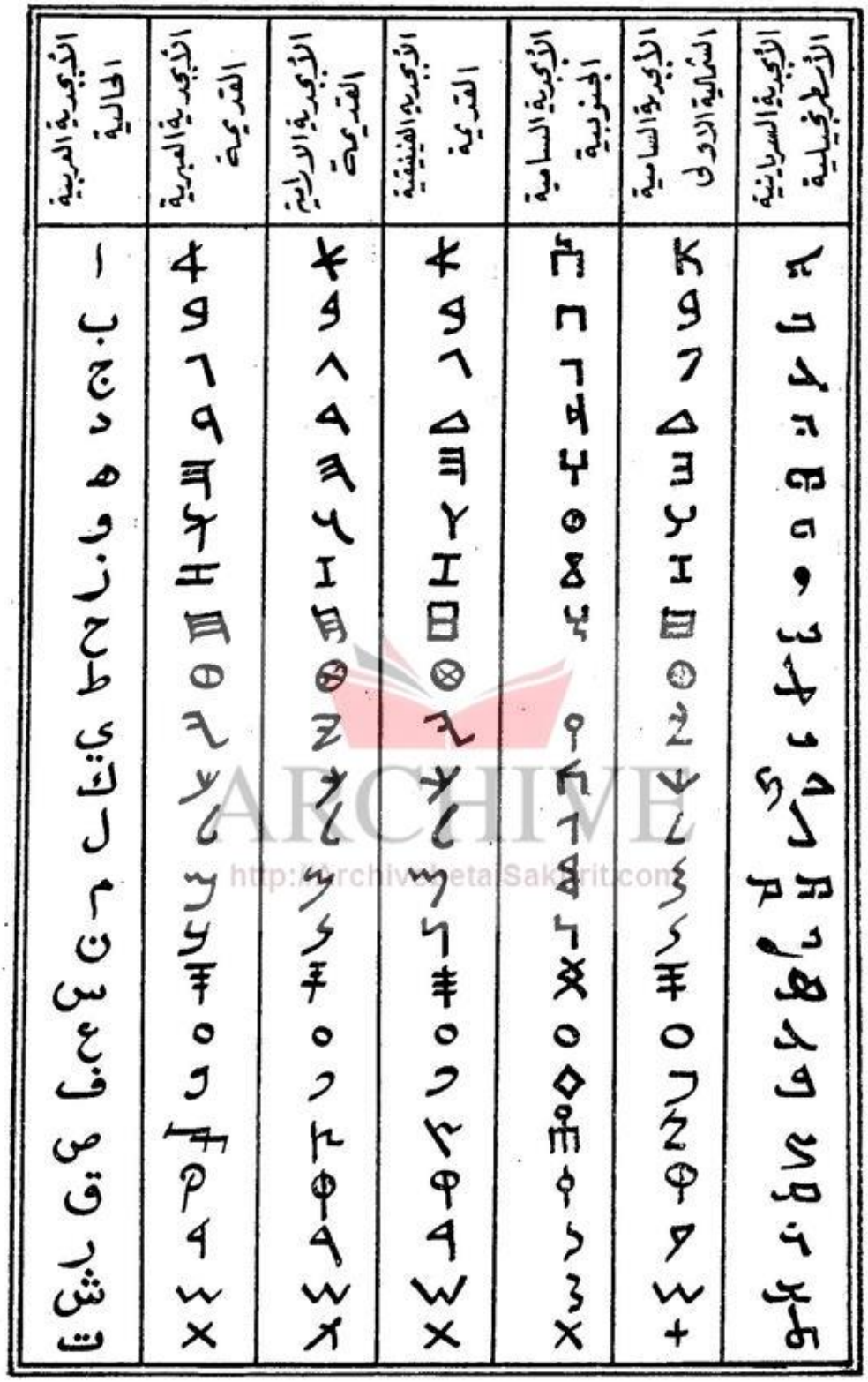

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شكل ـ ١٢ ـ

مُقارنة بين الأبجديات القديمة

٤ ـ القلم الآرامي : وقد تولدت منه غالبية ابجديات المعمورة ، بـل ويكاد أن يكون مصدرا لجميعها(٨٩) .

ويـرى العديد من المستشرقين ان الابجديـة اليونانية تولدت مـن الفينيقية ، ومجمل أدلتهم في ذلك بعض الاساطير القديمة ووجود الفينيقيين على الساحل الامر الذي يسهل ـ في نظرهم ـ انتقال الأبجدية عن طريق البحر . الا اننا هنـا مع بعض الباحثـين المحدثين نرى(٩٠) ان اليونانيـين اقتبسوا أبجديتهم من الآرامية التي كانت منتشرة في آسيا الصغرى ، فانتقال الابجدية الى جزر اليونان من السواحل الغربية لاسيا الصغرى(٩١) ليس بأصعب من انتقالها عبر الساحل الفينيقي ، بالاضافة الى أن أسماء حروف الهجاء اليونانية هي في صيغة آرامية كما ذكرنا سابقا ، وعليـه فالابجديـة الارامية هي الام لجميع أقلام العالم كافة سـواء الواقعـة غربي سـوريـا بواسطة اليونانية أو شرقيها ، اما مباشرة أو بواسطـة القلـم السـرياني ـ الاسطرنجيلي(٩٢) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يرى بعض العلماء ان القلم الفينيقي القديم هو القلم السامي الشمالي الاول أو انه قد اشتق منه ثم تفرع الى الاقلام الاخرى . ونحن نذهب هنا مذهب المستشرق الكبير Diringer (٩٣) طالما لم نعثر على أي دليل في ذلك ، ونعتقد ان الاقلام الاربعة آنفة الذكر انحدرت مباشرة من الابجدية السامية الاولى .

---

(٨٩) الاب البير ابونا ص ١٩ د. احمد سوسه ص ٥٦

(٩٠) الاب البير ابونا ص ١٩ د. احمد سوسه ص ٥٦ ـ ٥٨

91) Février, P. 399.

(٩٢) د. طه باقر ، مجلة سومر م١ ج٢ ص ٥٤ ـ ٥٥ ـ
Diringer, The Alphabet I, 1968, P. 202 - 256.

93) Diringer. The Alphabet I, 1968. P. 184.

وهكذا يتضح لنا أن الاقوام القديمة بناة الحضارة في ما بين النهرين ومصر وجزر بحر ايجه وآسيا الصغرى ووادي الهندوس والصين قد توصلوا الى اسلوب متطور في تاريخ الكتابة ، الا انهم لم يتمكنوا من بلوغ الطور الاخير أعني الطور الابجدي وهو ما توصل اليه الشعب السامي في سوريا وكنعان[٩٤] . وتلك واحدة من أعظم مآثر الساميين التي اورثوها للبشرية .

للبحث صلة

المصـــادر العربيـة والمعربـة

الاب البير ابونا : ادب اللغة الارامية ، بيروت ١٩٧٠

طه باقر : أصل الحروف الهجائية ، مجلة سومر م١ ج٢

يوسف ذنون : احرف الهجاء ، مجلة النبراس ، العدد ٣ ، السنة الثالثة، ١٩٧٣

د. فوزي رشيد : قواعد اللغة السومرية ،

جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ، القاهرة ، بلا تاريخ

د.أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٩٧٢

نعوم شقير : تاريخ سيناء ،

صاموئيل كريمر : من الواح سومر ، تعريب الاستاذ طه باقر .

انيس فريحة ، ملاحم واساطير من اوغاريت ، بيروت ١٩٦٦

.... ، ملاحم واساطير من الادب السامي ، بيروت ١٩٦٢

سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ، تعريب د. السيد يعقوب بكر ، ويسبادن ١٩٦٤

اسرائيل ولفنسن : تاريخ اللغات السامية ، القاهرة ١٩٢٩

94) Diringer. The Alphabet I, P. 163 - 164 — Driver, P. 197.

95) Driver, P. 197.

المصـــادر الاجنبيـــة

N. ABBOTT, The Rise of the North Arabic Script, Chicago, 1939

M. COHEN, Essai Comparatif sur le vocabulaire, Paris, 1947

..... , La Grande Invention de l'Ecriture, II Volumes, Paris 1958

CONTENEAU, La Civilisation d' Assur et de Babylone, Paris, 1951

F. DHORME. Dechiffrement des inscriptions Pseudo-Hiérographiques de Byblos . Syria , Tome XXV , 1946.

D. DIRINGER, The Story of the Aleph-Beth, New - York, 1960

..... , Writing, London 1962

..... , Writing, London, 1965

..... , The Alphabet ... II Vol. London, 1968

G. R. DRIVER, Semitic Writing from Pictograph to Alphabet , London and Oxford, 1944

A. DUPONT-SOMMER, Aperçus préléminaires sur les Naniscrits de la Mer Morte, Paris, 1950

R. Dussaud, La Pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris, 1955

..... , L' origine de I' Alphabet et son évolution première d'après les découvertes de Byblos, Syria, Tome XXV. 1946

J. FEVRIER, Historie de l'Ecriture, Paris, 1959

E. JACOB, Ras Shamra et l'Ancient Testament, Paris, 1960

I.J.A. Gelb, A Story of Writing, London, 1952

C. GORDON, Ugaritic Textbook , Rome, 1965

J. LEIBOVITCH, Les Inventions Protosinaitiques, Le Caire, 1934

LEWIS, The Alphabet, London, 1899

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

S. MERCER, The Origin of the Writing and our Alphabet, London, 1959

A.C. MOORHOUSE, The Origin of the Writing and our Alphabet, 1946

..... , The Triumph of the Alphabet, New - York, 1953

T. NOLDEKE, Sem. Sprachen, Strasbourg, 1904

U. SPRENGLING, The Alphabet , Chicago , 1931

I. TYLOR, The Alphabet, London, 1883

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ધમ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بحث عن نرسي الملفان (٣٩٩ـ٥٠٢ ؟) دبجه الانبا شموئيل جميل (١٨٤٧ـ١٩١٧) الرئيس العام على أديرة الكلدان وصاحب المؤلفات الشهيرة • والبحث مستل من كتابه الذي لا يزال مخطوطا والموسوم بـ « ايضاح جدول المؤلفين الشرقيين » لمار عبد يشوع الصوباوي (+ ١٣١٨) • عن مخطوطة محفوظة في مكتبة دير السيدة (القوش) ، التي نقلت مؤخرا الى دير الرهبان الكلدان في الدورة بغداد •

ي•ح•

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماسويه الماردييني

(؟ ـ ت ١٠١٥م)

بقلم : الدكتور فيصل دبدوب
الموصل ـ العراق

ان مقام العلم العربي لهو بالمكانة الاولى من الاهمية في تاريخ العلوم، لانه يكوّن الحلقة بل الحلقات التي تصل بين سلسلة الحضارة القديمة وبين العالم الجديد ، فيمثل دور الاستمرار الحضاري بمظهر جديد • وقد لعب أطباء السريان بخاصة والعلماء السريان بعامة الدور الفعال في نقل العلوم اليونانية والسريانية الى العربية وخاصة علوم الطب وما يتعلق به من علوم حياتية وكيميائية وما الى ذلك ، وقاموا كذلك بتأدية نصيب وافر في تنمية هذه العلوم وتغذيتها في العصور العربية الزاهرة ، وأخصها العصر العباسي والفاطمي •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا شك بان الحياة حظوظ ولا شك بان بعض الناس يصيبهم الحظ فينبه ذكرهم فيظهرون واخرون يخونهم الحظ فلا يظهرون ، والحظ الذي يلعب دوره في خمول الذكر ونباهته لا يتخطى العلماء والاطباء بل يلعب باقدارهم كذلك ، فيرفع أقواما ويذر اخرين ، ومن بين العلماء والاطباء الذين تجاوزهم الحظ فلم يرفعهم بل رماهم في زاوية النسيان صاحبنا ماسويه الماردييني الذي أهملته مصادرنا فعرفناه من كتب الغرب ، فأردت أن أبحث عنه لاعيده الى تاريخنا الحضاري فاضعه في مكانه اللائق به بين أعلام التراث •

سيرته :

ولد ماسويه في ماردين في الثلث الثاني من القرن العاشر الميلادي في بيت يعقوبي (أرثدوكسي) المذهب ، ونشأ وترعرع في مسقط راسه

ثم رحل الى عاصمة الخلافة العباسية بغداد في شبابه لدراسة الطب ، وبعد أن أكمل تحصيله فيها شد الرحال الى مصر فاقام في القاهرة وعاش فيها يزاول مهنة الطب زمن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي وذلك في النصف الثاني من القرن العاشر ، الى أن وافاه الاجل ، عام (١٠١٥م) فدفن فيها، عن عمر يناهز التسعين عاما •

قلنا بان ماسويه يكاد اسمه أن يكون مجهولا بين مؤرخي اطباء العرب بينما هو مشهور وذو مقام محترم في أوربة في القرن الحادي عشر وربما كان ذلك لان تآليفه ترجمت باكرا الى اللاتينية حينما كانت اوربة في اشد الحاجة الى المؤلفات الطبية أو لان اسمه كان يدغم احيانا مع اسم ماسويه[١] الاكبر •

يقول الدوميلي في كتابه «العلم عند العرب» : ونلتقي في مصر بماسويه المارّديني المسمى عند الغربيين Mesue Junior وقد عمل في بلاط الخليفة الحاكم بأمر الله ••• وقد صار حجة في الصيدلة • وعرف في الغرب بعد ذلك بعنوان[٢] : Pharmacopoeru Evangelista

ويقول سارتون بان الغرب اطلق عليه اسم Mesue the younger أي ماسويه[٣] الاصغر •

مؤلفاته :

يقول سارتون بان ماسويه ألف كتابا في الاسهالات والحقن الشرجية، ولكن الكتاب الذي اكسبه الشهرة هو :

---

(١) انظر : (الطب العربي لامين اسعد خيرالله/ص ١٢٩)
(٢) انظر : (العلم عند العرب / تأليف الدوميلي / ص ٢٤٠)
(٣) انظر :
Introduction to the History of Science. V. 1 P. 728 (Sarton)

Antidotarium Sive Grabadin Medicamentorum Compositorum

أي كتاب : «الترياق والاقرباذين المركب» ويتألف الكتاب من اثنى عشر مجلدا • وهو يبحث في علم الادوية الطبية ومضادات السموم • ويقول عنه سارتون بان معلوماته مستقاة من علوم المسلمين في هذا الباب وانه كان الكتاب المدرسي المعوّل عليه في علم الصيدلة في الغرب لعدة عصور(٤) • وقد طبع الكتاب في البندقية عام ١٤٧١م كما يقول الدوميلي في كتابه العلم عند العرب (ص ٢٤٧) •

كما ونشر كتابه المسمى في الغرب

(Practica Medicinarum Particularum)

ويسمى هذا الكتاب كذلك Liber de Appropriates • وتوجد له ايضا طبعة نشرها Pietro D'abono ، والطبعة التالية لذلك في البندقية عام (١٤٧٩م) تحتوي على تكملة عنوانها

Francisci de Pedemontium Comlementum

كما تحتوي على كتب اخرى لمؤلفين اخرين • وطبع بعد ذلك طبعات اخرى في البندقية في السنوات ١٤٨٤م و١٤٨٥م و١٤٨٩م و١٤٩٠م و١٤٩١م و١٤٩٥م و١٤٩٧م و١٤٩٨م وطبع الكتاب في ليون عام ١٥٣١م و١٥٣٣م ؛ كما نجد طبعة في باريس عام (١٥٤٢م) لترجمة جديدة بقلم سلفيوس Jac. Sylvius وطبعت هذه الترجمة ايضا في باريس عام ١٥٤٣م و ١٥٤٤م ، ولكن طبعات كتاب ماسويه لا تزال تطبع كثيرا ، ومن أحسن طبعاتها طبعة Guinta في البندقية عام ١٥٤٩م ومعها ترجمتان ، الترجمة القديمة وترجمة سلفيوس ، ومعها أيضا كتب اخرى عديدة عربية ومسيحية (وتوجد طبعات اخرى مشابهة عند جيونتا ، وفالجريزي

(٤) انظر : المصدر (٣) : P. 698 , 699 , 700 , 701

في السنوات ١٥٦١م ، ١٥٦٢م ، ومع حذف جزء من الترجمة القديمة سنة ١٥٨٩م[٥] ، ١٦٠٢م) .

وزيادة على هذه الطبعات الكاملة توجد طبعات جزئية كثيرة باللاتينية وست طبعات بالايطالية (مودينا ١٤٧٥ ، البندقية ١٤٨٧م ، فلورنسه نحو سنة ١٤٩٠م ؛ البندقية ١٤٩٤م ، ١٥٥٩م ، ١٥٨٩م) ويمكن أن نرى من هذه اللمحة عن كتب ماسويه بأنها كانت اكثر الكتب المقروءة مما نقل عن المكتبة[٥] العربية .

يقول الدوميلي في حديثه عن ماسويه الثالث (كما يسميه سارتون) بأنه جراح عربي له ترجمة عبرية من عمل يعقوب بن يوسف اللاوي عام ١٢٩٧م ، وترجمة اخرى لاتينية من عمل فرّاريوس Ferrarius ترجع تقريبا الى نفس الزمن المذكور وعنوانها جراحة ماسويه[٦]

Cyrurgia Joannis Mesue

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب ماسويه في مصنفات الغربيين :

اطلع العلماء من أطباء الغرب على مصنفات ماسويه الطبية وعلى التي لها صلة بالطب من بعيد أو قريب فدرسوها ودرّسوها تلامذتهم في بعض الاحيان فكانت أكثر الكتب المقروءة مما نُقل عن المكتبة العربية كما يقول الدوميلي في كتابه تاريخ العلم عند العرب (ص ٢٤٢) ، وقد نتج عن شغفهم بهذه المصنفات أن شرحوا بعضها وأضافوا الى بعضها الآخر ما استجد لديهم ، أو اقتبسوا مما فيها فأضافوه الى مصنفاتهم واليك هذا الموجز عن بعض المؤلفين الذين اعتمدوا كتب ماسويه الماردينى .

---

(٥) (العلم عند العرب / تأليف الدوميلي / ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى ص ٢٤٨ / الناشر دار القلم)

(٦) (المصدر رقم (٥) / ص ٣٢)

١ ـ اشتهر الطبيب الايطالي
Christo Phorus De Homestis

المتوفى عام ١٣٩٢م اشتهر بكتابه شرح كتاب Antidotarium لماسويه الأصغر (المارديني) Mesue The Younger الذي ألّفه في فلورنسه عام ١٣٨٦م وقد شرح فيه النباتات التي يتخذ من أوراقها أو بذورها أو سيقانها الدواء وعن كيفية استعمال هذه الادوية(٧) .

٢ ـ والعالم الفرنسي Henri De Mondeille الذي ولد في نورمادي بفرنسه ، والذي درس الطب في مونبليه ، وفي جامعات ايطالية ، والذي كان حيّاً عام ١٣٢٥م ألف كتابا في الجراحة ذكر فيه أسماء العلماء الذين استقى منهم معلوماته ، وكان من بينهم ماسويه ، وقد ورد اسمه في كتابه ثلاثة عشر مرة(٨) .

٣ ـ والف العالم Alberto De Zancari المولود عام ١٢٨٠م الف كتابا موجزا في آداب المهنة الطبية أسماه Denotiology Entitled De Cautelis Medicorum ، ومن المصادر التي اعتمدها في تأليفه هذا الكتاب كتب ماسويه المارديني(٩) .

٤ ـ والطبيب الشرح الايطالي Mondino De Luzzi (المولود عام ١٢٧٥م والمتوفى عام ١٣٢٦م) اعتمد في تأليف كتبه على كتب ماسويه(١٠) .

٥ ـ والطبيب الايطالي Fracesso Di Piedimonte الذي ولد في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وتوفي عام ١٣١٩م ، درس الطب في

---

(7) (Introduction ... By Sarton. Vol. 3. Part 2. P. 1679)

(٨) المصدر رقم (٧) Vol. III / Part (1) / P. 870

(٩) المصدر رقم (٧) (Vol. III. Part (1). P. 853.)

(١٠) المصدر رقم (٧) (Vol. III. Part (1). P. 844)

سالرنو ودرّسه في نابولي حيث أصبح أستاذاً ألّف كتابا دعاه (التكملة) Complementum على اعتبار أن كتابه هذا تكملة لكتاب (ماسويه) المعروف في الغرب باسم (Grabadin Medicinarum Copositorum) وكتاب (فرانسسكو) كتبه على الاسلوب المدرسي Scolastic وهو يضم بين دفتيه أحسن المعلومات الخاصة ببحثه المعروفة في القرن الرابع عشر • وقد حاول المؤلف أن يجمع بين الطب العربي والطب اليوناني مع اضافات من تجاربه ، في[١١] هذا الكتاب •

٦ ـ والطبيب الفلكي المترجم عن اليونانية الى الفرنسية Pietro Dabano (المولود عام ١٢٥٠م والمتوفى عام ١٣١٦) أضاف بعض المعلومات الخاصة بأدوية القلب واضطراب الهضم على كتاب (الاقرباذين) لماسويه[١٢] المارديني •

٧ ـ كانت الأدوية المعتمدة في الصيدلة في القرون الوسطى أساسها الاعشاب ومواد اخرى بسيطة ، وكان لدى الاطباء في أوربة والصيادلة كذلك مجموعة من الكتب القيمة في المادة الطبية أو ما يسمى Materia Medica ومن بينها (اقرباذين) ماسويه المارديني وكتاب ديوسقوريدس (في الاعشاب) وكتاب[١٣] •

Antidotarium Parvum of Nicolas of Salerno

٨ ـ يقول مايرهوف في تراث الاسلام في بحثه عن رسائل الاطباء العرب في الادوية • ونجد الكثير من الرسائل من هذا النوع نفسه منها رسائل ماسويه المارديني البغدادي والقاهري المتوفى عام (١٠١٥م) الذي

(١١) المصدر رقم (٧) (Vol. III. Part (1). P. 836)

(١٢) المصدر رقم (٧) (Vol. III. Part (1). P. 443)

(١٣) انظر المرجع رقم (٧) Vol. III. Part (1). P. 288

عرف هو وابن وافد الاندلسي المتوفى عام (١٠٧٤م) من التراجم اللاتينية فطبع كتاب De Medicinis Universalibus Et Particularybus (في الطب العام والخاص) لماسويه المارديني ، وكتاب (العقاقير البسيطة) Medicamentis Simplicibus لابن وافد ، طبعا أكثر من خمسين[١٤] مرة » .

مراجع البحث

(١) الطب العربي ـ تأليف أمين أسعد خيرالله ـ طبع المطبعة الاميريكية ببيروت ـ عام ١٩٤٦م .

(٢) العلم عند العرب ـ تأليف الدوميلي Aldomieli نقله الى العربية الدكتور عبدالحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى ـ الناشر دار القلم .

(3) Introduction To The History of Science / By George Sarton / 1968

(4) The Legacy of Islam Edite By Sir Thomas Arnold & Alfred Guilaume.

(14) The Legacy of Islam . P. 331 - 332

رحلة الاب فنشنسو
الى العراق

ترجمة

الاب الدكتور بطرس حداد

— القسم الاول —

مقدمة

صاحب الرحلة : هو الاب فنشنسو ـ مارية دي سانتا كاترينة دي سينا ؛ وهو ايطالي المنبت . انخرط منذ صغره في سلك الرهبنة الكرملية ، ثم احتل مكانا مرموقا في رهبنته ، واكتسب ثقة رؤسائه ، فعهدوا اليه تدبير بعض أديار الكرمليين ؛ ثم أرسل الى الهند مع وفد يترأسه الاب سبستياني[1] ، سنة ١٦٥٦ . ولما عاد الى ايطالية ترأس دير الكرمليين في مقاطعة لومباردية ، واسس ديراً في فاريزي سنة ١٦٧٧ ؛ وفي ٥ تشرين الثاني سنة ١٦٧٩ انتقل الى الرفيق الاعلى ، وكان له من العمر ٥٤ سنة .

له بعض المؤلفات ، منها الرحلة التي قمنا بتعريبها ، وننشر هنا القسم الاول منها ؛ كما له رسائل توجيهية لزملائه وتلاميذه الكرمليين[2] .

---

(١) **سبستياني** (١٦٢٣ ـ ١٦٨٩) راهب كرملي ايطالي ، مر بالعراق اربع مرات ١٦٥٦ و ١٦٥٨ و ١٦٦٠ و ١٦٦٤ ، وترك وصفا لرحلاته ضمه في مجلدين طبعهما بالايطالية . وقد ترجمنا الى العربية ما جاء في رحلته عن العراق ، وسنقدم الكتاب الى القراء الكرام عن قريب .

(٢) راجع P. F. HENRICO M. a SS. Sacramento : Collectio Scriptorum Ord. Car. Excal. (Sarona — 1884) II, P. 173.

كلمة في الرحلة : بدأت الرحلة سنة ١٦٥٦ وكان صاحبها عضوا في وفد غايته الوصول الى الهند الشرقية في مهمة دينية رسمية • ولم يفكر صاحبنا بنشر رحلته ، لكن الرهبان والاصدقاء الذين كانت تستهويهم اخبار الشرق، الحوا عليه لينشرها ، فنزل عند رغبتهم ، فسلم الكتاب الى المطبعة ونشره عام ١٦٧٢ ، ثم اعيد نشره ثانية وثالثة ، وقد ترجمنا الرحلة عن الطبعة الثالثة (البندقية ـ ١٦٨٣)[٣] • اما عنوان الكتاب الكامل فهو « رحلة الى الهند الشرقية للاب فنشنسو ـ مارية دي سانتا كاترينة دي سينا ـ وكيل الكرمليين الحفاة العام »

"Il Viaggio All' Indie Orientali del Padre F. Vincenzo Maria di S. Caterina de Siena. Procurator Generale de' Carmelitani Scalzi"

يعترف صاحب الرحلة في مقدمته ان في الشرق « قوى غنية تجذب المشاعر » ، لكننا لا نجد بين اسطر كتابه تعبيرا عن حب للشرق او انجذاب اليه ؛ فهو يمر بمدن الشرق مرور الكرام ، فوصفه بارد لا روح فيه ، ورؤيته سلبية كرؤية السائح اللامبالي • وللاب فنشنسو قلم سيال ولغة متينة وانشاء سليم واسلوب مشوق •

لقد ترجمنا الرحلة باكملها ، وننشر الان القسم الاول منها • وكانت الترجمة امينة دون ما تغيير او تحوير • وقد نقلنا بعض الاخبار عن مدن هي خارج حدود العراق الجغرافية حاليا • لكن لها علاقة بالتراث والتاريخ النصراني ـ السرياني ، مثل الرها ونصيبين ••• وتمسكا منا بالاصل ، فقد احتفظنا بارقام الفصول كما هي في النص الايطالي •

---

(٣) يطيب لنا ان نعبر عن جزيل شكرنا **للاباء الكرمليين** الافاضل في بغداد ، الذين تفضلوا فاعارونا نسخة الكتاب الاصلي •

الكتاب الاول

... فبعد الاستعداد اللازم للسفر ، بارحنا رومة في اليوم الثاني والعشرين من شباط [سنة ١٦٥٦] ... ومكثنا في حلب ثمانية وعشرين يوما ...(٤)

الفصل التاسع عشر : الاستعداد للرحيل

[٦١](٥) ... في العاشر من شهر تموز ، واتتنا فرصة ثمينة للرحيل من اجل اتمام مهمتنا وبلوغ هدفنا(٦) . فقد قدمت من طرابلس كتيبة من الجند على راسها قائد حامية بغداد(٧) . وكان الجنود يجمعون المال لتدفع كرواتب للجند في بلاد اثور . فلما بلغنا خبر هذه الكتيبة ، قررنا السفر برفقتها ؛ لكن بعض الاصدقاء اخذوا يحذروننا من مغبة السفر في هذا الموسم الحار الذي حول حلب الى جحيم لا يطاق ... لكننا قررنا السفر لكي نصل الى البصرة في موسم اقلاع السفن الى الهند ... فاخذنا نعد الامتعة الضرورية للسفر ... وبهذه المناسبة اظهر السيد النبيل فرنسوا بيكيه(٨) كرما حاتميا ، فزودنا باشياء كثيرة ومفيدة ، واوصى بنا خيرا عند

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٤) لم نترجم الفصول الاولى لانها تصف اخبار الرحلة من رومة الى الشرق ؛ ويبحث كاتبها عن بعض شؤون الامبراطورية العثمانية : نظام الحكم ، الجيش ، العادات والازياء ... الخ

(٥) يدل الرقم ٦١ على الصفحة في الاصل الايطالي .

(٦) ان هدف الرحلة ، كما سبق وان قلنا ، هو الوصول الى الهند في مهمة دينية .

(٧) يطلق صاحبنا اسم بابل على بغداد ، ونينوى على الموصل ؛ وقد فضلنا استعمال الاسماء في محلها ، اللهم عندما يدور الكلام عن نينوى الاثرية او بابل القديمة .

(٨) **فرانسوا بيكيه** F. Piquet (١٦٢٦ ـ ١٦٨٥) هو القنصل الفرنسي في حلب ما بين سنة ١٦٥٢ ـ ١٦٦٢ . ثم عاد الى وطنه

الاغا ، اي قائـد الجنود واهداه جبة من الاطلس وكمية من الحلويات ، ففرح الرجل بهذه الهدايا ، ووعد بانه سيضعنا في قافلته موضع القلب؛ وفعلا كان يقربنا دائما من خيمته وكاننا من افراد اسرته ...

اتخذنا لنا ترجمانا شاباً مارونيا من سكان محلة الجديدة(٩) ، ثـم ابدلنا ثيابنا فنزعنا الزي الرهباني وارتدينا الثياب التركية ، فقد كان قائـد الجنود قد اشترط علينا تبديل زينا ...

الفصل العشرون : نظام السفر

يعتبر السفر من سوريا الى بغداد من اصعب الاسفار واخطرها فـي الشرق ، بسبب الصحراء الشاسعة التي تفصل بينهما . ويتم السفر بواسطة القوافل ، فمن يحاول السفر بمفرده فانه يعرض نفسه لاخطار اكيدة كثيرة. فالوحوش كثـيرة خاصة بالقرب من المياه ، كما ان الاعراب ينتشرون في ارجاء الصحراء ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما يقرر السفر ، فان الكروان باشي يعلن عن موعده قبل شـهر ، ويصطحب عددا كبيرا من الجنود مـع التجار ... ويستعمل المسافرون الخيول والبغال والجمال ... ويجتمع المسافرون في مكان معـين خـارج المدينة ، ... وما ان تدنو ساعة الرحيل حتى يقوم الجميع قومة رجـل واحد فيحـملون الدواب ... ويتخذ رجال المقدمة والمؤخرة امكنتهم من

فرنسه حيث انخرط في سلك الكهنوت فرسم قسيسا ثم اسقفا وعاد الى الشرق ١٦٧٩ كسفير للملك لويس الرابع عشر الى بلاط الشاه . عاش حياة فاضلة ، وكان غيورا على امور الدين والدولة ، فقـدم خدمات عديدة لنصارى الشرق ، خاصة في سوريا . كان دمث الاخلاق وطيب المعشر فاحبه الحلبيون على اختلاف مللهم ونحلهم .

(٩) هي المحلة التي يسكنها النصارى، خاصة الجالية الافرنجية في حلب.

اجل حراسة القافلة ، بينما يسير اكابر القوم على طرفي القافلة من اجل حث المسافرين على السـير ...

لا يوقدون النار في اثناء السفر الا عند اعداد القهوة ... ويكتفون للغداء بقليل من الخبز الرقيق يكسرونه في اللبن ..

هناك طرق ثلاثة تؤدي الى بغداد ، تستغرق الاولى خمسة وعشرين يوما ، فبعد الوصول الى البيرة(١٠) الواقعة على الفرات والبعيدة عن حلب مسيرة ثلاثة ايام ،يركب المسافرون قاربا يمخر الفرات فيصلون الى منطقة قريبة من بابل القديمة . ويتبعون هذا الطريق مرة واحدة في السنة ، في مطلع شهر ايار عند ذوبان الثلوج ... انها احسن الطرق ، لان المنـاخ يكون حسنا ، فيقل التعب ...

اما الطريق الثاني فيمتد عبر الصحراء ، وهو الطريق الذي تسلكه القوافل عادة ، لانه قليل التكاليف ، فهو طريق الجمال ، وهذه الحيوانات تتحمل الكثير وترضى بالقليل . لكن الطريق كثير الاخطار ، خاصة بالنسبة الى الاوربيين ، ولا يرى المسافر الا الصحراء الجرداء التي لا حد لها ... وقد جرت العادة ان تسلك القوافل هذا الطريق في مختلف الفصول ما عدا فصل الصيف ، اذ تكون الرمال حارقة لانها تعكس حرارة الشمس ...

الطريق الثالث والاخير يمتد عبر ما بين النهرين ، اعني في الاراضي الواقعة بين دجلة والفرات .. حيث يطيب الهواء ويعتدل المناخ .. وتسلك القوافل هذا السبيل عادة خـلال اشهر الصيف بواسـطة الخيـل والبغال ويستغنى عن الجمال نظرا لوعورة الطريق وصعوبة مرتفعاته وكثرة صخوره

---

(١٠) **البـيرة** مدينة على الفرات ، ذكرها الحموي (معجم البلدان ١ : ٧٨٧ طبعة وستينفيلد) وتسمى اليوم بيره جك .

وقد اتخذت قافلتنا هذا الطريق • وكنا نسير في اثناء الليل فقط ونستريح في النهار تحت الخيام •

وفي اثناء السفر كان يسير في مقدمة القافلة دليل يحمل سراجا حديديا مثبتا على قضيب طويل ، وكان يطعم النار بقطع من الخشب بعد ان يلطخها بالقار او باسمال مشبعة بالزيت ••• لكن ضوء النار لم يكن يفيد الا مقدمة القافلة فحسب •••

الفصل الحادي والعشرون : تكملة اخبار السفر

شددنا الرحال في الساعة الثانية بعد منتصف الليل ••• فوصلنا الى قرية طابق (؟) Tabach فوجدنا اراضيها خصبة وخضراء ، والقرية فقيرة في ظاهرها ، لكني سمعت من احد المسافرين ان لاهاليها سراديب تحت الارض يحتفظون فيها بغلاتهم خوفا عليها من غارات الجنود •••

بدأنا نحتسي القهوة ، فقد نصحنا الارمن ـ الذين كانوا معنا في القافلة ـ على استعمالها لتخفف من اتعاب السفر الليلي ••• والقهوة مفيدة للمعدة بعد الاكل لانها تساعد على الهضم وتطهر المعدة من الالتهابات ، ولهذا السبب ترى الاتراك يصرفون ساعات النهار في احتسائها ، ولا يدعون الضيف يخرج من عندهم قبل تناولها • ويحمل كل تاجر اناء خاصا لاعداد القهوة في اثناء السفر مع مسحوق البن وعلبة طويلة تضم خمسة فناجين او ستة من صنع فارس •••

••• وصلنا الى الرها التي تسمى الان اورفا ، وهي مدينة شهيرة، لانها ، في راي الكثيرين ، مدينة [ابينا] ابراهيم • كما انها شهيرة لمكانتها العريقة في تاريخ المسيحية التي ازدهرت في ارجائها •

من اهم الاماكن الجديرة بالاعتبار في الرها ، ذلك الدير الفخم الذي

يقع خارج المدينة ، على بعد خطوات معدودات من باب المدينة الشمالي ، الا وهو مزار مار افرام الشهير(١١) ، وقد شيد بحجارة كبيرة مربعة الشكل • وقد قاوم هذا الدير هجمات البرابرة وغائلات الزمن ؛ لكنه الان قد مال الى السقوط ، وحالته تدعو الى الاسف والتحسر اكثر مما تشجع على الصلاة(١٢) • ويسكن الدير حاليا ثلاثة رهبان من طائفة الارمن الارثدوكس(١٣) الذين يحافظون على استمرار شعلة التقوى والايمان في ذاك المكان • وقد شاهدنا بالقرب من ذلك الموضع اضرحة ثلاثة شهداء قديسين هم مار شامونا ومار كوريا(١٤) ومار حبيب(١٥) •••

والرها مدينة كبيرة ، لها اسوار قديمة مبنية من الصخر الاصم ، وللاسوار ابراج مشيدة على طراز الابراج الرومانية القديمة • ولقد رايت ستة وثلاثين برجا من جهة واحدة من جهات السور ، والمدينة مبنية على سفح تل ••• ولابنيتها منظر لطيف بخلاف المساكن التركية ، خاصة في الجهة الشرقية حيث يقوم مقر الباشا •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١١) من اولياء الله المكرمين ، عاش في القرن الرابع • ادار فترة طويلة من الزمن مدرسة نصيبين الشهيرة • توفى في الرها سنة ٣٧٣م • هو من فحول الكتاب باللغة السريانية ، وله مؤلفات عديدة ، كتب شعرا ونثرا فاجاد في الاسلوبين • اكثر مؤلفاته منشورة ، وقد ترجمت بعضها الى العربية والى اللغات الاوربية •

(١٢) هو « الدير السفلي » راجع ادب اللغة الارامية للاب البير ابونا (بيروت ١٩٧٠) ص ٨٢

(١٣) في الاصل « الارمن الهراطقة » وتعني غير الكاثوليك في نظر صاحب الرحلة •

(١٤) في الاصل « مار هوريا » Hurie وهذا خطأ مطبعي •

(١٥) من اولياء الله المعظمين ، ذكرتهم المراجع النصرانية الشرقية : بيجان : سيرة الشهداء والقديسين [بالكلدانية] جـ١ ص ١٣١ ــ ١٤٣ وكذلك ادي شير : اشهر شهداء المشرق جـ١ ص ١٠٠ ــ ١٠٢ (الموصل ١٩٠٠) •

تقع القلعة في اعلى التل وهي محصنة وبناؤها قديم • وبالقرب منها كهوف في قلب الجبل ، وقد نقرت فيها غرف عديدة جميلة ، ولها اشكال منتظمة وابواب متقابلة ، كما وفيها نوافذ صنعت باتقان • ان العمل بمجمله يبين انه تم تلبية لرغبة احد الامراء وعلى نفقته ، ويتوارث المسيحيون الرهاويون القول بان تلك المنازل هي بقايا قصر ابجر(١٦) الذي عاصر السيد المسيح واستحق ان ينال صورة الوجه المقدس ، اعني ذلك الرسم العجائبي المحفوظ حاليا في ايطالية(١٧) •

---

(١٦) تسمى اكثر من واحد من ملوك الرها باسم «ابجر» ، اشهرهم ابجر الخامس الملقب اوكاما (اي الاسود) الذي تنسب اليه التقاليد المتوارثة انه اتصل بالسيد المسيح • قيل عنه انه ابتلى بداء البرص او النقرس ، فكتب الى السيد المسيح يطلب الشفاء ويدعوه الى مملكته ليتخلص من جور اليهود • فاجابه المسيح بانه سيرسل احد حواريه او تلاميذه ليبشر في مملكته ، وارسل له منديلا طبع صورته عليه بطريقة عجائبية • ذكر هذه القصة المؤرخ الكنسي المعروف **اوسابيوس** القيصري (القرن الرابع) في كتابه « تاريخ الكنيسة » : الكتاب الاول ، الفصل ١٣/١ ـ ٢٠ (الطبعة العربية ترجمة القس مرقس داؤد) القاهرة ١٩٦٠ ص ٥٧ ـ ٦٢

(١٧) لقد ورد ذكر المنديل العجائبي الذي كان محفوظا في الرها في المراجع العربية الاسلامية • قال **المسعودي** « وقد كان في هذه الكنيسة منديل تعظمه اهل النصرانية وهو ان ايشوع الناصري حينما خرج من ماء المعمودية تنشف به ، فلم يزل هذا المنديل يتداول الى ان قرر بكنيسة الرها ••• » مروج الذهب (٢ : ٣٣١ ـ ٣٣٢ تحقيق دي مينار ودي كورتل : باريس ١٩١٤) وقال **ابن حوقل** في كلامه عن الرها « ••• وكان بها منديل لعيسى بن مريم ••• » كتاب صورة الارض (ليدن ١٩٣٨) ط٢ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ • كما ان **ابن الاثير** في كلامه عن حوادث سنة ٣٣١هـ قال « ارسل ملك الروم الى المتقي لله يطلب منديلا زعم ان المسيح مسح بها وجهه ، فصارت صورة وجهه فيه ، وانه في بيعة الرها ••» الكامل في التاريخ ٨: ٣٠٢ تحقيق ترنبرغ : ليدن ١٨٥١ ـ ١٨٧١ واعاد هذا القول **ابن الوردي** في خريدة العجائب وفريدة الغرائب (طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ١٩٣٩) ص ٤٤

وجدنا عند باب المدينة بئرا عذبة الماء ، وكانت مبنية بحجارة ضخمة جدا ؛ والبئر ، ـ حسب قول بعضهم ـ مكان التقاء عبد سيدنا ابراهيم عليه السلام برفقة[١٨] .

كان وصولنا الى هذه المدينة في ١٨ تموز ، اعني في اليوم التالي لعيد القديس الكسيوس ، فتذكرت ان هذا القديس امضى سبعة عشر عاما في هذه المدينة وعاش متخفيا . فاردت زيارة الموضع الذي عاش فيه ، فسألت بعض المسيحيين ، فقادوني الى كنيسة هي الان في حوزة الارمن ، وهناك استقبلني القسيس بمظاهر الحفاوة والاحترام ، واجلسني في الديوان ، وقدم لي القهوة والتبغ كعادة اهل البلاد . ثم تبادلنا اطراف الحديث ، فدعاني الى المكوث عنده بعض الوقت ، فاعتذرت اليه وقلت ان ذلك مستحيل اذ علي ان اكمل سفري . فقام الرجل ورافقني بنفسه لزيارة الكنيسة ، فاشار الى موضع كانت فيه ايقونة سيدتنا مريم العذراء التي هي حاليا في رومة ، ثم اراني حنية عليها قضبان من حديد ، وقال لي : كانت صورة الوجه المقدس في هذا المكان سابقا . ثم اشار الى ضريح كان يضم رفات القديس توما الرسول لفترة طويلة[١٩] ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفصل الثاني والعشرون : زيارة لنصارى الرها

بعد انتهائنا من زيارة معالم الكنيسة المهمة ، ذهبت الى حي النصارى،

(١٨) يشير الى حادث ورد ذكره في الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر التكوين ٢٤/١٣ .

(١٩) ذكرت التقاليد المسيحية ان **مار توما** احد حواري المسيح بشر في الهند واستشهد هناك ، ثم نقلت رفاته الى **الرها** وضمت في ضريح شيدت عليه كنيسة باسمه . ذكر ذلك ابن العبري في التاريخ الكنسي : الفصل الثاني ، ص ٣ عن طبعة ابيلاوس ـ لامي (نقلا عن سير الشهداء والقديسين ط بيجان ج٣ ص ٢ـ٣) .

ويقع في موضع منعزل على ارض منبسطة في ابعد اطراف المدينة • وقد اعتقد المسيحيون لاول وهلة انهم جنود فهرعوا الى بيوتهم واغلقوا الابواب •••

ان غالبية المسيحيين القاطنين في قرى الجبال الواقعة على الطريق بين حلب وانور حتى بغداد هم نساطرة ، كما هناك عدد كبير من اليعاقبة[٢٠] وبعض الارمن ، ونفر قليل من الاروام • والطوائف الثلاث الاولى واحدة في الاصل ثم تفرقت الى اجتهادات مختلفة ، فلا يجمعهم اليوم الا الاسم المسيحي • فقد اختلفت النفسيات والطبائع وشعور الواحد نحو الاخر ، بحيث اذا اراد نسطوري ان يصبح ارمنيا يعيدون تعميده ، والعكس بالعكس ••• ولكل من هذه الطوائف بطريركها واساقفتها وعدد كبير من القسس المتزوجين ، لان شرعهم يسمح لهم بالزواج من فتاة عذراء ، اما حالتهم المادية فبائسة جدا ••• ويمتنع البطاركة عن الزواج ، فهم ينتخبون من صفوف الرهبان • ومن يطمح منهم الى هذه الدرجة فعليه ان يربي اولاده ويعدهم الى هذه الدرجة ، فيمنعهم عن اكل اللحم وتناول المسكر • فان اخطاوا ، ولو لمرة واحدة ، فتناولوا احدى تلك المحرمات يسقط حقهم في تلك الدرجة • وما ان يبلغ [الصبي المنذور] سن الرشد حتى يدخلوه في حمى الدير حيث يعيش مع الرهبان حسب القوانين الرهبانية •

يتمسك جميع المسيحيين في تلك الديار بالصيام لايام عديدة على مدار السنة ، الى جانب الصوم الكبير وصوم الميلاد • واصعب تلك الاصوام هي الايام الخمسة عشر الواقعة في فصل الصيف وهي الايام السابقة لعيد انتقال السيدة العذراء[٢١] • لا يصومون يوم السبت بل يأكلون فيه اللحم

(٢٠) هم السريان الارثدوكس •

(٢١) يقع عيد انتقال العذراء في ١٥ اب من كل سنة •

ويمتنعون عن تناول اللحم يومي الاربعاء والجمعة ، ما عدا الفترة الواقعة بين عيدي القيامة والعنصرة[٢٢] لانها ايام فرح ٠

لكل واحدة من تلك الطوائف قداسها الخاص ، ولا يحتفلون به الا قليلا ، وليس لهم حللا خاصة عند اقامة القداس ٠٠ اما الطقس فهو سرياني ، والطقس الاعم هو الكلداني ؛ ويلاحظ ان حصة الشماس[٢٣] في الترتيل كبيرة تكاد ان تكون اطول من حصة القسيس نفسه ٠ ويحرقون كمية كبيرة من البخور اثناء القداس اكان القداس احتفاليا ام عاديا ٠ اما الشعب فيكون واقفا اثناء القداس كله ، فهم لا يركعون البتة ، وعلامة التبجيل والاحترام عندهم هي ضم الذراعين الى الصدر والانحناء العميق حتى تلمس اليدان الركبتين ، ويعيدون هذه الحركة مرارا ، ومن لا يستطيع اتمام هذا النوع من السجود بسبب مرضه او ضعف صحته فانه يتكيء على عقبيه ٠ ولا يسمح لاي واحد من الحاضرين في الكنيسة ان يجلس ، فالشعب في الهيكل على قدم المساواة لا فرق بين عظيم وصغير ٠

وهذه الطوائف تقبل الصور المقدسة بشرط ان لا تكون بارزة[٢٤] ، انهم فقراء للغاية ، ومذابح الكنائس عارية عن كل زينة او ما شابهها ٠

---

(٢٢) هو عيد حلول الروح القدس على تلاميذ المسيح ، وياتي بعد العيد الكبير بخمسين يوما ٠

(٢٣) **الشماس** هو من يقوم بالترتيل وخدمة المراسيم الدينية مع الكاهن ، واللفظة سريانية ٠

(٢٤) اكرام الصور والايقونات في الكنائس الشرقية قديم جدا ٠ راجع : اكرام الصليب والصور عند النساطرة للمطران بطرس عزيز في مجلة المشرق البيروتية ١٩٠٧ ص ٨٤٤ـ٨٥١ ٠ التماثيل والايقونات للقس **حنا قريو** في النجم ٥ (١٩٣٣) ص ٤٩ ـ ٥٧ ٠ بحث في الصور والتماثيل في الكنيسة للقس **بطرس سابا** (جونيه ـ ١٩٣٦) ط٢ ٠

الفصل الثالث والعشرون : السفر من الرها الى قوج حصار

في اليوم التاسع عشر من تموز [١٦٥٦] ، وقبل ان تغيب الشمس ، صدر الامر بالسير حالا.. فوصلنا الى مدينة اسمها تل قوران (Talguran) فاذا بها مقفرة لا حياة فيها ، فاضطررنا الى السير ميلين اخرين لكي نصل الى خيام بعض الاعراب حيث توجد بئر عذبة الماء . فاسرع بعض افراد القافلة الى البئر ليستقوا ماء . فحدث امر مؤلم للغاية ، اذ ان الذين هرعوا الى الماء وشربوا للحال دون تروٍ شعروا بالم حاد في داخلهم وسقطوا على الارض وماتوا ... لقد كان الجو حارا للغاية والهواء محرقا ... وفقدت القافلة ثلاثة من افرادها ، اذ باغتهم الموت بسرعة كبيرة ، ولم تمض اكثر من نصف ساعة بين الفترة التي شعروا بالالم والتعب وبين وفاتهم ...

[وسمعنا] عن كتيبة من الانكشاريين كانت في طريقها من بغداد الى سوريا ، فعندما توغلت في الصحراء حيث يشح الماء ، مات عدد كبير من الكتيبة بسبب الحر الشديد . ولقد التقيت بواحد من اولئك في الموصل سافر معنا الى بغداد ، وفي الطريق قص علينا الحادث عندما بلغنا الى الموضع الذي حدثت فيه المأساة ، فقال : كان الرجال يدفنون الموتى ، ثم راوا ان عدد المائتين بازدياد مستمر بحيث لم يبق لهم وقت لاجراء الدفن ، فهلعت قلوبهم ، واخذ الاحياء يحفرون في الارض ويرمون انفسهم في الحفر واضعين وجوههم تجاه الارض ليستمدوا منها شيئا من الرطوبة . ومكثوا في الحفر حتى حل المساء . ومات سبعون نفرا من الكتيبة المذكورة ، وبقيت اربعون جثة دون ان توارى الثرى .

ان هذا الحر الشديد اوقع في البلاد اضرارا كبيرة ... وقد قال لنا

احد الاباء الكبوشيين[٢٥] في بغداد ، ان المدينة كان تقفر من سكانها في فصل الصيف ، اذ كان الشعب برمته يهرع الى دجلة طلبا للرطوبة والانتعاش من الحر الخانق ...

... مررنا بحقول شاسعة مليئة بالحجارة ... ونحو منتصف الليل وصلنا الى مدينة يسكنها نصارى اسمها كاور (Gaur) والتي تعني بالتركية « الكافر » ، وتقع المدينة المذكورة فوق هضبة ، ولها منظر لطيف، فتوقفنا هناك للاستراحة ...

في ٢٣ تموز [١٦٥٦] بلغنا قوج حصار ، وهي مدينة واقعة في سهل منبسط واسع ، وكانت في غابر الزمان واسعة الاطراف ، اذ تشهد على ماضيها العريق ابراجها العديدة التي ما تزال قائمة . وقد رايت هناك ديرا له اروقة عديدة وجوامع جميلة جدا ، وقسما من الكنيسة التي حولها المسلمون الى مسجد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الجهة المقابلة لقوج حصار ، اي الجهة الشمالية ، تقع مدينة ماردين ، وهي بلدة كبيرة سامقة الموقع ، اذ تقوم على قمة جبل ، ويروي اراضيها نهر دجلة ، ومعظم سكانها نصارى منهم نساطرة ومنهم يعاقبة ، وفيها مقر بطريرك اليعاقبة .

ان بيوت المدينة تحيط بالقلعة كاحاطة السوار بالمعصم . والقلعة كبيرة وهي رابضة على قمة المدينة .

هنا حططنا الرحال ، وامضينا نهارا كاملا ، استرحنا فيه من وعثاء السفر ..

---

(٢٥) **الكبوشيون** رهبان من اتباع طريقة القديس فرنسيس الاسيزي . قدم بعضهم الى بغداد سنة ١٦٢٦ وبارحوها سنة ١٧٠٢ . نصري: ذخيرة الاذهان ١٩٥/٢ ، رباط : وثائق خطية ٥١٣/١ .

الفصل الرابع والعشرون : توقفنا في نصيبين ثم سفرنا الى الموصل

... بعد يومين من وصولنا الى قوج حصار ، قررنا السفر ؛ فلما حل الليل وخيم الظلام ، نقضنا خيامنا واستأنفت القافلة سيرها طوال الليل ، فوصلنا نصيبين قبيل بزوغ الشمس .

ان نصيبين التي نراها اليوم ليست سوى قرية عادية ؛ لكن الاثار المنتشرة في اطرافها ، وبقايا الابنية الكبيرة ، تدل على ماضيها التليد . ومن بين تلك الاثار ، فان كنيسة مار يعقوب النصيبيني[٢٦] جديرة بالذكر . فهذه الكنيسة ليس في ظاهرها ما يلفت الانظار ، اذ تكاد ان تكون مطمورة بين اخربة دير كبير متهدم مجاور لها ، ولم يبق من الدير سوى الباب الكبير ، وهذا الباب غريب في طراز بنائه .

وكما نوهنا فان معظم البناء مطمور تحت سطح الارض ، لذلك فان الزائر ينحدر بواسطة دركات الى الاسفل ، فيرى بناء ليس كبيرا ، لكنه يحتوي على زخارف لطيفة وهندسة جميلة بالرغم من اسوداد معظم البنيان بفعل الدخان وتأثير الايام .

الكنيسة مربعة الشكل تقريبا ، تعلوها قبة فيها نقوش بارزة ، وداخل النقوش ملون بماء الذهب . وهناك اعمدة في الزوايا واعمدة في الوسط وهي من الطراز القورنثي . وفي الكنيسة ثلاثة مذابح ، واحد في الوسط واثنان في الجانبين . ويستعمل الارمن مذبحا وللنساطرة المذبح الثاني ،

---

(٢٦) عن هذه الكنيسة راجع :
SARRE FR. und HERZFELD E., Archäologische Reise im Euphrat und Tigris — Gebiet , Berlin 1911 — 1920 II, 336 — 346, passim , DE VILLARD (Ugo Monneret) : Le Chiese della Mesopotamia, Roma — 1940, P. 58, 87; figg. 92, 93.

بينما يستخدم اليعاقبة المذبح الثالث • وحالة المذابح الثلاثة سيئة جدا ، فهي مشوهة الشكل وليس فيها ما يشير الى قداسة المكان •

رايت في الجهة اليمنى [من الكنيسة] عددا كبيرا من الكتب المقدسة موضوعة في حنية وهي بالخط السرياني • وكانت في حالة يرثى لها • فقد تأكلت من تراكم الغبار عليها وعبثت بها الجرذان تمزيقا وقضما(٢٧) •

في الجهة المقابلة يوجد درج اخر يهبط تحت ارض الكنيسة ، حيث يوجد سرداب طويل يقوم في وسطه نصب جميل من الرخام الابيض ، وقد اسودت واجهة النصب العليا بتأثير دخان الشموع والمصابيح والبخور • ان هذا النصب يضم رفات صاحب الكنيسة ، مار يعقوب النصيبيني(٢٨) •

ثم ذهبنا لزيارة ضواحي المدينة ، فرأينا اضرحة جميلة تقوم فوقها شواهد مكتوبة باللغات اليونانية والسريانية والارمنية ؛ ولم نعلم لمن كانت تلك القبور ، اذ لم يرافقنا المترجم في هذه الجولة • وقد عثرنا في اروقة الدير المتهدم على قبرين لاثنين من الرهبان التياتين(٢٩) ، كانوا في طريقهم الى غوا Goa قبل سنوات قليلة فمروا بهذه المدينة في فصل الصيف،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٢٧) اسفي على تلك المخطوطات الثمينة ! ما مصيرها اليوم يا ترى ؟

(٢٨) **مار يعقوب النصيبيني** من اشهر رجال الكنيسة الكلدانية في المائة الرابعة للميلاد • ولد في نصيبين • له مؤلفات عديدة دينية ، ضاع اكثرها • سقف على المدينة سنة ٣٠٩م وتوفي سنة ٣٣٨م • اسس مدرسة عهد ادارتها الى تلميذه **مار افرام** فذاع في الافاق اسمها • شيد كنيسة فخمة (٣١٣ـ٣٢٠م) • قال ادي شير عن هذه الكنيسة « •• ضبطها اليعاقبة من الكلدان في منتصف الجيل الماضي » كلدو واثور جـ٢ ص ٤٢ •

(٢٩) التياتون Teatini اتباع رهبنة منتشرة في اوربة ، اسسها في ايطالية سنة ١٥٢٤ كايتانو دي تيان وبيترو كارافا الذي صار بابا باسم بولس الرابع •

وكان الحر شديدا فاودى بحياتهم ، وهكذا استراحوا بالقرب من هـذا القديس ، ولا يوجد في الدير رهبان ، فقد رحلوا ، وحل محلهم عدد كبير من الحمائم الذين يرثون بهديلهم المتواصل ايام الدير الذهبية ، يوم كان عامرا باهلـه ....

... اخـيرا وبعد سـير حثيث ، وصلنا صباح اليوم الاول مـن اب [١٦٥٦] الى تلك المدينة العريقة نينوى ، التي تسمى الان الموصل • وتقع على نهر دجلة • فبعد ان انزل الجنود والمسافرون احمالهم ، ذهب الجميع الى رئيس القافلة لالقاء التحية وتأدية الشكر • وفي هذه الاثناء فتحت ابواب المدينة فدخلنا للحال • وكان رئيس القافلة قد قرر المكوث بضعة ايام فـي المدينة ، فلما وصلنا الى ساحة القلعة تفرق المسافرون ، وذهب كل واحـد في سبيله ، وبقينـا نحن وحدنا بالقرب من قبـور المسلمين وانتظرنا ساعات طوال لا نعلم اين نتوجه ، حتى حل المساء ، فعاد الرجال الارمن واخذونا معهم الى الخان حيث استأجرنا غرفا لنستريح من عناء السفر •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت مدينة الموصل في سالف الازمنة من اهم مدن اشور وابعدهـم شهرة • اما حالتها الحاضرة فهي اقل بكثير مما كانت عليه • فبيوتها بسيطة مشيدة بالطـين وهي اشبه ما تكون ببيوت الرعاة من ان تكون مساكن اناس متحضرين ، ومركز ولاية • وليس فيها ما يلفت النظر سوى قلعتها حيث يوجد عدد كبير من العسكر الانكشاري • ويحيط القلعة سور فيه مزاغل للدفاع ضد الهجمات ، على عادة الاقدمين • وليس هناك من يثير الاعجاب •

اما مواد البناء فهي الجص والحجر الرخو • وهذا النوع من البنـاء لا يقاوم عوادي الزمن ، فالامطار الغزيرة تهدده كل حين ، ولهذا السبب راينا بعض اقسام القلعـة مائلة للسـقوط ومتهدمة وليس هناك من يفكـر بترميمها •

وقد لاحظت كثرة المدافع على السور • وعادة الاتراك انهم يكثرون من عدد المدافع فوق الاسوار ، لكن المدافع كانت مطمورة الى نصفها في الارض ، ولم تكن مجهزة بعربات ، بل كانت مهملة كليا • ورأينا عند الابراج عددا من المدافع وقد اسندت الى حجارة ، وقد وجهوا فوهاتها بحيث تتسلط على السهول المنبسطة امام المدينة •

تقع القلعة في طرف المدينة الايسر ، ويحدق بها خندق تجري فيه مياه النهر • والقلعة مهملة • ولو اعتنى القوم بها واصلحوا بنيانها لامست قوية ، نظرا لحسن موقعها • اما الان فهي اشبه بان تكون مقهى الوالي لا اكثر ! وهو يسكن فيها •

اما نينوى القديمة فانها تقع في الجهة الثانية من النهر ، وهي مطمورة تحت ركام كثير • وقد ذهبت في احد الايام لالقي نظرة عليها ، فلم اجد سوى مرتفعات من التراب ، وعددا كبيرا من القطع الاجرية المفخورة وهي مبعثرة هنا وهناك • فلم يكن هناك ما يلفت النظر • فعدت ادراجي وانا افكر في نفسي الى اي حال تصل امور العالم وامجادها !

وقد اخبرني احد الرجال الارمن عن وجود قبور جديرة بالزيارة ، تبعد نحو ميلين او ثلاثة خارج المدينة ، لكني امتنعت عن الذهاب بسبب بعد المكان، ولان التعب كان قد انهكني، اضافة الى خوفي من تحرشات الاعراب•

مدينة الموصل الحالية صغيرة ، ضيقة المسالك ، فقيرة المنازل • لكنها من جهة اخرى تتمتع بخيرات وافرة نظرا لخصوبة حقولها •

هناك الى شمال المدينة قرى عديدة يسكنها شعب مسيحي من نساطرة ويعاقبة • وقد قيل لي ان النساطرة يقدرون بثلاثمائة الف ونيف ، ويعملون في فلاحة الارض ويجيدون عملهم بحيث ان اراضيهم اشبه ما تكون بالجنائن الغناء •

ويسكن العرب على ضفاف النهر ، وتكثر لديهم اللحوم والقمح ومختلف انواع الحبوب ، اضافة الى الفواكه ، والدجاج الى ما هناك من اشياء مفيدة •

وقد مررت اكثر من مرة باسواق المدينة ، فاخذني العجب من الاسعار البخسة التي تطلب لمختلف البضائع ، وقد اشتريت اشياء كثيرة ••• فالشاة الواحدة تباع باربع شاهيات(٣٠) التي تعادل اربع قطع يولية رومانية ••• وقد اعطونا حملا كبيرا من الفواكه بدريهم واحد اي باقجة(٣١) واحدة لا غير ••• اما ابقار الموصل فهي من جنس جيد جدا ، ولا يزيد سعر البقرة الواحدة عن قطعتين ابو شلبي(٣٢) وتساوي القطعة الواحدة من ابو شلبي (Talero) واحد لا غير • اما الخيول فحدث عنها ولا حرج ، فهي من مختلف الاجناس • فهناك الخيول الفارسية والتركية والخيول العربية الاصيلة • لقد رايت اعداد كبيرة تباع باربعة قروش(٣٣) او

---

(٣٠) **الشاهي** : نقد انتشر في العراق ، ينسب الى السلطان العثماني ، كان في بدء امره من الذهب ، ثم ضرب من الفضة والنحاس • عباس العزاوي : تاريخ النقود العراقية (بغداد ١٩٥٨) ص ١٣٤ ــ ١٣٥ و ١٤١ • وكان هناك شاهية بغداد ضربت سنة ١٠٣٥هـ في بغداد وهذه معاصرة لرحلتنا راجع : **يعقوب سركيس** : مباحث عراقية (بغداد ــ ١٩٤٨) ج١ ص ٣٤٦ ــ ٣٤٧ •

(٣١) **الاقجة** : نقد فضي ، دخل العراق منذ ايام المغول ، وشاع استعماله في العهد العثماني • راجع الاب **انستاس الكرملي** : النقود العربية وعلم النميات (القاهرة ١٩٣٩) ص ١٦٥ • اما عن قيمة هذه القطعة في مختلف الازمنة فراجع العزاوي : تاريخ النقود العراقية ص ١٤١ــ ١٤٢ ••• والاقجة في نظر المؤلف تساوي اسبير واحد aspro

(٣٢) **التالير** Talero (ويلفظها البعض مضخمة طالير) نقد الماني الاصل من فضة : **الكرملي** ، المرجع المذكور اعلاه ص ١٧٠ ، اطلق العوام عليه اسم «ابو شلبي» •

(٣٣) ترجمنا كلمة Piastra الافرنجية بكلمة غرش او قرش •

خمسة Piastra . اما الحصان الذي تصل قيمته الى اثني عشر قرشا او خمسة عشر قرشا فهذا يباع في اوربا بخمسين دينارا (Scudo) او ستين على اقل تقدير[٣٤] .

رايت عند ضفة النهر كنيسة متداعية ، لكن هندستها جميلة لانها مشيدة على الطراز القورنثي ، ولها قبة غريبة الشكل مزينة بزخارف من الموزائيك المعشق وبنقوش تشبه الزهور واشكال اخرى مرتبة بذوق رفيع .

لقد كان هذا البناء كنيسة للنصارى ، ثم ال الى المسلمين ، فجعلوا من صحن الكنيسة الاوسط مسجدا[٣٥] . بينما اتخذ احد الدراويش القسم المحاذي للمدخل مسكنا له ، وكان يعتني بحديقة صغيرة يزرع فيها الاعشاب العطرة خاصة الريحان والحبق ، وقد قسم حديقته الى اقسام منسقة ، وكان يقدم الاعشاب هدية للزوار .

كان الحر شديدا في الموصل ايضا ، فانزعجنا وتالمنا منه بشكل اعجز عن شرحه . وكانت الغرفة التي استاجرناها في الخان اشبه ما تكون بالتنور ، من ان تكون موضعا للراحة . ولست اتكلم عن غرفتنا فقط بل عن سائر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٣٤) لفظة Scudo تعني الترس (عن اللاتينية Scutum) اطلق على الدينار الذي صور فيه الترس منذ عهد الرومان . الكرملي : المرجع نفسه ص ١٤٨ .

(٣٥) جدير بالذكر ان سائحا معاصرا لصاحبنا ، هو السيد تيفنو M.D. Thevenot الذي زار الموصل سنة ١٦٦٤ نوه بهذه الكنيسة ايضا . (راجع مجلة La couronne de roses, Mossoul, II (1907) n. 3) وليس بالامكان تحديد اسم الكنيسة المذكورة ؛ خاصة وان التقليد النصراني المحلي يدعي باكثر من كنيسة تحولت الى جامع ؛ وهذا القول يحتاج الى دراسة تاريخية موضوعية نزيهة اضافة الى تنقيب اثاري متخصص . راجع :
Fiey : Mossoul Chretienne, Beyrouth 1959, PP. 31 55.

غرف الخان • وكان البناء كله من الجص ، وغرفه صغيرة وحقيرة لا يلجها النور الا من منفذ وحيد هو الباب ، وكان الباب بدوره ضيقا مخفيا في رواق قذر • وهنا اترك للقاري لكي يقدر العذاب الذي يتحمله شخص في مكان ضيق مطمور كالقبر ، وفي مناخ حار كالنار ! لقد كنا نشعر بالساعات طويلة لا نهاية لها والنهار يكاد ان يكون دهرا من الزمن • اما الليل فكان اطيب نسبيا ، وكان النزلاء يصعدون الى سطح الخان ليلا فينامون فوقه • وكان يحدث ان بعض الموسيقاريين الفطريين ياتون ليلا فيمضون بضع ساعات يعزفون على طنبورين بدائيين(٣٦) ليروحوا عن خاطر المقيمين في الخان • وكان الصوت المنبعث عن الالتين حادا ناشزا يصحبه غناء مستهجن • لقد كان النزلاء ينتعشون من تلك الاصوات ، اما نحن فقد ضجرنا جدا ، لاني لم اسمع في حياتي كلها اسوأ من تلك الموسيقى • ان اولئك القوم لا يجيدون الغناء ولا يتقنون الانغام وليس للاتراك الات موسيقية اخرى عدا الطنبور وهذه الالة تختلف عن الة القيثارة المنتشرة في ربوعنا ، فهي اطول من القيثارة ولها اربعة اوتار فقط ، والاوتار معدنية ، من النحاس او الحديد ، وكان شد الاوتار رديئا لذا لم تؤنس السمع بل كانت تقض المضاجع ، لان النغم الصادر عنها كان على وتيرة واحدة لا طراوة فيها ولا حلاوة !

لقد استمتعنا كثيرا في اكل البطيخ ، وخاصة الرقي • ولم اشاهد في حياتي نظير الرقي الموصلي • فهو كبير الحجم جدا ، يبلغ قطر بعضه اكثر من ذراع •••

الفصل الخامس والعشرون : السفر من الموصل الى بغداد

عندما كنا في الموصل ، اختلفت اراء المسافرين بخصوص الطريق الذي

---

(٣٦) استعمل المؤلف لفظة Cetra ، التي تدل ـ حسب اعتقادنا ، وحسب وصفه للالة ـ الى الطنبور •

يتخذونها في السفر الى بغداد • فرئيس القافلة قرر السفر عن طريق جبل كلدو لكيما يجمع في الطريق ذخيرة للجنود ، بينما امتنع التجار من السير في ركابه بسبب طول الطريق ••• وقرروا اتخاذ اقرب الطرق اعني طريق الصحراء • وكانت امنيتنا ان نسير في نهر دجلة لانه اسهل الطرق ، لكن انحسار الماء في هذا الموسم حال دون تحقيق رغبتنا • ثم اقنعنا الرجال الارمن بالسفر في صحبتهم ••• وهكذا بارحنا الموصل في ٤ اب [١٦٥٦] وسرنا في قافلة قوامها ثلثمائة فارس ، فتوغلنا في الطريق الصحراوي • وكانت الليلة الاولى صعبة جدا ، فالارض قاحلة جرداء وقد احرقتها الشمس ، فكان الغبار يتصاعد بكثرة من جراء سير الخيول ، فصعبت الرؤية وضاق التنفس ، فاخذ جميع المسافرين يشدون المناديل على افواههم ، وغمرنا الغبار من قمة رؤوسنا الى اخمص ارجلنا • وبعد سير طويل متعب ، وصلنا مع بزوغ الشمس الى منطقة تقع قرب النهر حيث راينا سرادق من القصب منصوبة هناك ، وذلك بالقرب من برك من المياه الساخنة التي كانت تنبع من الارض مشبعة بالقار الذي كان يطفو على وجه الماء • وكان العمال يجمعونه ويحملونه الى النهر حيث يغسلونه جيدا ويصفوه اكواما اكواما ويعدونه للتصدير • ان هذا الموضع يسمى جهينه[٣٧] Giena واعتقد انه موضع قديم ، فقد لاحظت اثار بناء قديم قرب النهر استنتجت منه ان في ذلك المكان كان يقوم بناء عظيم ، خاصة لان الاسس كانت عريضة جدا ، ثم وجدت قنوات عديدة من الطين المفخور • اما الان فليس هناك الا السرادق المذكورة وبيوت ثلاثة مبنية بالجص تعلوها قباب مطلية بالقار ليقيها من ماء الامطار • وفي هذه الغرف توجد حمامات الماء الحار ، التي يقصدها المرضى طلبا

(٣٧) جهينة « قرية كبيرة من نواحي الموصل على دجلة وهي اول منزل لمن يريد بغداد من الموصل •• » معجم البلدان ٢ : ١٦٨

للشفاء من امراض الاعصاب فيجدون فائدة غير قليلة •

في صباح اليوم التالي مررنا بجدول لا ماء فيه ، بينما كان القار ينبع على جانبيه بكميات كبيرة ، فكان القوم يجمعونه • وقد صعب علينا السير في ذلك المكان ، فكنا نرش التراب على القار ليتمكن الخيل من السير ، وبالرغم من ذلك فقد كنا نسير بحذر كبير وببطء • وبعد اميال قليلة راينا تلا صغيرا تخرج من سفحه المادة نفسها بكميات كبيرة ايضا وقد انتشرت في السهل، فحولته الى مستنقع اسود كريه الرائحة ، ولذلك اضطررنا الى تبديل طريقنا •

هذه هي ينابيع القار التي كان قدماء الاشوريين يستخرجونها فيستخدمونها في البناء عوضا عن الملاط بعد ان يخلطوا القار بالتبن • ولا تزال الاثار القديمة تشهد على ذلك في المدن الخربة • اما الان فلا يستعملونه في البناء بل في اكساء السطوح المبنية بالجص ليمنع تسرب مياه الامطار الى داخل البيوت • وتكثر هذه المادة في الطريق بين الموصل وبغداد ، فهي تنبع هنا وهناك ، بل وفي نهر دجلة نفسه فتطفو على وجه الماء ثم تتحول الى جداول بالقرب من ضفاف دجلة وتنتشر في مساحات شاسعة ، ولذا لا تقوم النباتات هناك • كما ان الارض رملية عقيمة ، وبعضها كبريتية ، فتنبعث عنها روائح كريهة تعكر صفاء الهواء • وكنا نلاحظ في اثناء سيرنا الليلي ظاهرة غريبة وهي ان الكواكب تبدو وكأنها تتهاوى على الارض فتنبعث الشرارة ويحدث كل ذلك نتيجة حرارة الشمس القوية اثناء النهار •••

كانت مياه دجلة صافية وطيبة المذاق ، ولكن بعد ان اختلطت بالقار تغير طعمها واخذت المعدة ترفضها ، فتالمنا جدا من جراء ذلك ••• اما حالتنا العامة فقد كانت بائسة جدا فالحر الشديد يبس حلوقنا ونشف السنتنا، واستولى علينا خوف شديد من الاسود اذ كنا نسمع زئيرها وهي قرب ساحل

النهر وراينا اثار سيرها هنا وهناك ... فاخذنا نوقد النار دائما ونتناوب الحراسة(٣٨) ...

بعد ثمانية ايام من مبارحتنا الموصل ، انحرفنا عن ساحل النهر ، وتوغلنا في الصحراء ، فكان منظر الصحراء الشاسعة رهيبا ، اذ لا حياة ولا نبات فيها ، وكل ما فيها ينذر بالخوف والموت . ثم وصلنا الى الموضع الذي لاقى فيه الانكشاريون حتفهم قبل ايام ، وبقيت جثثهم في العراء دون ان توارى الثرى ، فنهشت الوحوش لحومهم ، وتفرقت في الفيافي عظامهم .. يا له من منظر اليم !

نحو منتصف النهار ، هبت ريح قوية حملت معها هواء حارا كان اشبه ما يكون بالسنة اللهيب المحرق ... وفي المساء عدنا الى طريقنا السابق اعني بالقرب من النهر ، فما ان اقتربنا منه حتى هرع المسافرون جميعهم الى الماء، فقد كان العطش قد اهلكهم ، فشربوا وسقوا الخيول وتزودوا بكمية كافية من الماء .... وبعد ان عاودنا السير مرونا بخان متهدم ، كان يسكنه قبل سنوات رجل عربي عرف بالشجاعة والقوة ، وكان يترأس زمرة من اللصوص وقطاع الطرق ، فكانوا يتحرشون بالقوافل ويسلبونها . فصعب المرور من تلك البقعة .وبعد محاولات متكررة ، استطاع والي الموصل من القاء القبض عليه فكبله بالحديد والقاه في قلعة الموصل ليكفر عن جرائمه .

اخذنا نشعر باشتداد الحر ، وبالرغم من ذلك واصلنا السفر ، فقطعنا مسافات شاسعة ، واخيرا وصلنا في الليلة التالية الى مدينة تكريت

---

(٣٨) كانت الاسود موجودة في العراق منذ القديم ، كما تشهد على ذلك الاثار الاشورية القديمة . ويظهر انها بقيت الى القرن السابع عشر، اذ يذكر وجودها صاحب رحلتنا ، وسبستياني وتافرنية وتيفنو وغيرهم .

القديمة • لقد كانت تكريت في غابر الزمان مدينة كبيرة واسعة الاطراف ، لكنها الان ليست سوى قرية عادية • وكانت تكريت [على المستوى الديني – الطائفي] من الولايات الخاضعة لسلطة البطريرك اليعقوبي ، ولذا فانه كان يقيم فيها عادة • وبامكان المرء ان يشاهد الى اليوم بقايا قلعة كبيرة واقعة على تل جميل وتسيطر على النهر ولها اربعة ابراج ، ان هذه القلعة هي ما تبقى من الصرح البطريركي والمصلى ، وهما واسعان فخمان • وبالرغم من مقارعتهما احداث الزمن ومحاولتهما الصمود ، لكن اجلهما قريب وسقوطهما وشيك ، فسيلقيان النهاية المحتمة التي الت اليها مختلف الابنية الاخرى •

لقد رايت اثارا اخرى في ذلك الموضع ، ولكن ، ليس باستطاعتي ان اصفها واشرح طبيعتها ، لانه لم يكن معي من يدلني الى اصلها ؛ انما بامكاني ان اقول ، ان عظمة الاسوار ونوعية البناء والاعتناء البالغ الذي صرف في تشييدها ، كل ذلك يدل على فخامة وعظمة قديمة • واخص بالذكر تلك البنايات المقامة في الطرف المواجه للنهر المقابلة لاراضي كلدية ، فهناك اثار رفيعة القدر بديعة الصنع • وهنا اقول اني اكتفيت بالقاء نظرة عن بعد والتمتع بتلك الاثار ، اذ لم يكن معي مرافق يشرح لي ، كما ان قواي البدنية لم تكن تسمح لي بالتجوال في اطراف تلك الاثار •

لم يبق لنا سوى اربعة ايام لنصل الى بغداد • وقد انقضت تلك الايام ، ونحن نمر بمدن قديمة ، ونرى كمية كبيرة من الاجر المفخور منتشرة هنا وهناك في الصحراء الواسعة ، وكلها بقايا ابنية قديمة نالها الخراب • وهذه الكميات الكبيرة من الاجر المفخور تدل على ان ذلك الموضع كان في سالف الازمان مأهولا بعدد كبير من السكان ؛ والا كيف يفسر المرء وجود تلك القطع المعتنى بصنعها وبكميات كبيرة ، وكلها بحجم واحد ، وهي مبعثرة هنا

وهناك ، كما نشاهد في بعض المواضع اخربة كبيرة الحجم • فهناك سور عظيم لا تزال اسسه ظاهرة ؛ كما رايت بعض القصور وهي مائلة الى الخراب، وفيها صفوف جميلة من الاقواس الكبيرة، ومنها بشكل الاهرامات، اضافة الى ابراج ، وكل تلك الاثار تشهد على عظمة سابقة هي الان في طريقها الى الزوال •

كما وجدنا على مسافة من تكريت بناء تعلوه قباب صغيرة بسيطة ، ويقع البناء فوق تل تحيطه اسوار قوية جدا • ويكاد البناء ان يكون كاملا، لكنه غير اهل بالسكان •

وفي الليلة التالية سرنا ساعات طويلة حول بقايا مدينة ، كانت ماثلة امامنا منذ ساعات الصباح عندما وصلنا الى النهر(٣٩) • وقد لاحظت ان بناءها كان يسير مع حافة النهر • ويشق المدينة شارعان فسيحان • وقد اخبرني المرافقون الارمن بان هذا الموضع كان في سالف الزمن مثوى امراء بغداد ، وكانوا يحتفظون فيه بالعربات والخيول وبقسم كبير من قواتهم التي يعتمدون عليها ؛ واضاف الارمن فقالوا ان ذلك المكان يضم قبر خسرو ملك الفرس •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد امضينا اليوم الاخير من سفرتنا قرب مدينة كبيرة لها ابراج وبنايات جميلة جدا • لكن اهاليها هجروها منذ سنوات قليلة ، بالرغم من خصوبة السهول القريبة منها ، ولم نجد في المدينة انسانا • وقد قيل لنا ان سبب هجرة السكان لها شحة المياه ، وحيث يكثر القار والاملاح فان مياه الابار لا تنفع للسكان • وكان هناك جدول ماء يمر بالقرب من المدينة ، لكن السد الذي كان يحميه تحطم قبل سنوات ، فتحول مجراه الى جهة اخرى ، ولم يهتم الوالي بشأن الاهالي فقرر جميعهم تركها في يوم واحد ، وهكذا بين ليلة وضحاها اصبحت المدينة خالية خاوية ينعق على اطلالها البوم !

[ثم يتابع الاب فنشنسو رحلته الى بغداد ومن ثم الى البصرة]

---

(٣٩) لابد ان المؤلف يشير الى اثار مدينة **سامراء** •

نقـد وتعريف :

نهضة سريانيـة لدى المسيحيين العراقيين

كتـب البروفسـور اندريـه دي هالـه مقـالا شـيقا بعنـوان :
Une Renaissance Syriaque Chez Les Chrétiens Iraqiens, IRENIKON XLVII (1974) , 209 — 217.

احببنا ان نوجزه للقراء في الاسطر التالية •

يعدّ العراق عشرة ملايين نسمة تقريبا ، من بينهم حوالي نصف مليون مسيحي ، وينتمي هؤلاء المسيحيون الى اربع كنائس او طوائف : الكلدانية ، الاثورية ـ النسطورية ، السريانية الارثوذكسية ، السريانيـة الكاثوليكية • وسكناهم عادة المناطق الشمالية حتى السنوات الاخـيرة حيث نزح معظمهم الى بغداد •

وقد كان قرارا تاريخيا ذاك الذي صدر عن مجلس قيادة الثورة في ١٦ نيسان ١٩٧٢ وفيه اعتراف رسمي بحقوق هؤلاء الجماعات من الناحية الثقافية ، بل هو قرار فريد من نوعه ولا مثيل له في البلدان الاخرى ، منطلق من ايمان الثورة وحزب البعث العربي الاشتراكي بالانفتاح عـلى الجميع ، ومتجاوب وأماني جماعات الناطقين بالسريانية •

وكانت الانطلاقة مع البشرى ، حيث نشطت بعض المؤسسات والفعاليات التي تعنى بشؤون الناطقين بالسريانية من الناحية الثقافية خاصة • فالنادي الثقافي الاثوري المؤسس عام١٩٧٠ شرع يصدر مجلة باسم المثقف الاثوري منذ اواخر سنة ١٩٧٣ • وأجيزت مجلة (بين النهرين) الحضارية التراثية في اواخر سنة ١٩٧٢ وصدر اول عدد منها في ١٩٧٣/١/١ بمقالات علمية وطابع حضاري عام واخراج انيق •

وتأسست اثر القرار ثلاث جمعيات مهمة للناطقين بالسريانية وهي : الجمعية الثقافية ، اتحاد الادباء ، جمعية الفنانين • واصدرت الجمعية الثقافية نشرة ثم مجلة باسم (قالا سوريايا) •

ممـا لا ريب فيـه ان أبـرز وجـه للقرار التاريخي هـو تأسيس (مجمع اللغة السريانية) بقانون رقـم ٨٢ صادر عن مجلس قيادة الثورة بتاريخ ١٩٧٢/٦/٢٦ • وبالرغم مـن ان اعضاء المجمع خمسـة فقـط (كتبت المقالة قبل تعيين الاستاذ كوركيس عواد عضوا سادسا) فهو قد حقق انجازات عظيمة ويطمح في القيام بمشاريع ضخمة • فثمة نواة للمكتبـة تضم من جملة الكتب جمهرة الكتاب المسيحيين الشرقيين المطبوعة في لوفان، وهي النسخة الكاملة الوحيدة في البلد • كما ان المجمع الفتي اصدر ثلاثة كتب حتى الان وهي : سيرة مار افرام للمطران زكا عيواص عضو المجمع، حنين بن اسحق للاب الدكتور يوسف حبي عضو المجمع ايضا ، اثار حنين بن اسحاق للاستاذين عامر رشيد السامرائي وعبد الحميد العلوجي ، وقد نشرتها دار الحرية في بغداد في مطلع العام ١٩٧٤ تمهيدا لمهرجان افرام ـ حنـين •

وبكل حق يعد مهرجان افرام ـ حنين اكبر انجاز قام به المجمع • فقد اجتمع في بغداد من الرابع وحتى العاشر من شباط ١٩٧٤ نخبة من كبار المعنيين بالتراث العربي والاسلامي ، من العراق والاقطار العربيـــة والدول الاوربية وغيرها ، لاحياء الذكرى المئوية السادسة عشرة على وفاة مار افرام ، والذكرى المئوية الحادية عشرة على وفاة حنين بن اسحق • ويذكر البروفسور اسماء الوفود المشتركين في المهرجان ومواضيع ابحاثهم، ثم يتحدث عن الامسيات الثقافية والفنية والزيارات السياحية التي تمت اثناء

المهرجان ، كما عن مشاركة الصحف والاذاعة والتلفزيون في تتبع خطوات المهرجان وتسجيل وقائعه ، وينـوه بالمقررات المتخـذة وضرورة تطويـر السريانية وتوحيد الخط المطبعي) • ويختم : ان قرار مجلس قيادة الثورة التاريخي سيتخطى مسيحيي العراق الى بلدان الشرق المتوسط ، وسيحقق نهضة سريانية ، بل حضارية كبرى •

Gotthard STROHMAIER ,
GALEN Über DIE VERSCHIEDENHEIT
DER HOMOIOMEREN KÖRPERTEILE
Akademie — Verlag . Berlin — 1970 . 17 x 24 CM.

الاستاذ شتروهماير من المعنيين بالمترجم الطبيب الشهير حنـين بـن اسحق ، وله اكثر من بحث حوله • وفي كتابه هذا تحقيق (كتاب جالينوس في اختلاف الاعضاء المتشابهة الاجزاء) نقل حنين بن اسحق مع ترجمـة المانية له • بعد ذكر المصادر ومقدمة بسيطة ، يستعرض المحقق المخطوطتين اللتين يستند اليهما وهما : آيا صوفيا ٣٦٣١ ، جامعة اسطنبول ٦١٧٧ ، ثم الترجمات العربيـة المختلفـة للكتاب ـ ويلحق الكتاب بفهارس للاعـلام والالفاظ العربية والالمانية واليونانية ـ والكتاب يدخل ضمن جمهرة الاطباء اليونان ، الملحق الشرقي •

واذ نشكر الأستاذ المحقق على هديته الثمينة هذه ، يطيب لنا ان نعلن عن اعتزازنا بهذا العمل الجليل الذي اضاف الى المكتبة العربية ، كما والى التراث السرياني ، جوهرة جديدة •

الاب الدكتور يوسف حبي